

منشورات جامعة النجف الدينية

٢

جامع السعادات

للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى

محمد مهدي الزرق

المتوفي ١٢٠٩ هـ

الجزء الثاني

تصدي لنشره والتعليق عليه وتصحيحه

السيد محمد كلانتر

قدم له

الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه

الطبعة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مطبعة النجف - النجف الاشرف

١٣٨٣ هـ - ١٣٨٣

مَشُورَات جَامِعَةِ النَجْفِ الدِّينِيَّةِ

Jāmi' al-sa'ādāt ٢

جَامِعُ السَّعَادَاتِ

لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ أَحَدِ أَعْلَامِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمَوْلَى

مُحَمَّدِ مَهْتَدِي النُّزَاقِ

الْمُتَوَفَى ١٢٠٩ هـ

الْجِزْءُ الثَّانِي

تَصَدَّى لِنَشْرِهِ وَالتَّعَايِقِ عَلَيْهِ وَتَصْحِيحِهِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ كَلَايْتَر

قَدِمَ لَهُ

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ رِضَا الْمَظْفَرِ عَمِيدِ كَلِيَّةِ الْفِقْهِ

الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشِرِ

مَطْبَعَةُ النَجْفِ - النَجْفِ الْأَشْرَفِ

١٣٨٣ - ١٩٦٣

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

المقام الثالث

(فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج)

الشرة - فوائد الجوع - الشهوة الجنسية - خمود الشهوة - العفة - الاعتدال
في الشهوة - حب الدنيا - لا بد للمؤمن من مكسب - الدنيا المذمومة هي
الهوى - ذم الدنيا وانها عدوة الله والانسان - خسائس صفات الدنيا -
تشبيهات الدنيا وأهلها - عاقبة حب الدنيا وبغضها - الجمع بين ذم المال ومدحه -
حب المال - ذم المال - غوائل المال وفوائده - الأمور المنجية من غوائل
المال - الزهد - مدح الزهد - اعتبارات الزهد ودرجاته - الزهد الحقيقي - ذم
الغنى - الفقر - اختلاف أحوال الفقراء - مراتب الفقر ومدحه - الموازنة
بين الثمقر والغنى - ما ينبغي للفقير - وظيفة الفقراء - موارد قبول العطاء وردها -
لا يجوز السؤال من غير حاجة - الحرص وذمه - القناعة - علاج الحرص -
الطمع وذمه - الاستغناء عن الناس - البخل - ذم البخل - السخاء - معرفة
ما يجب أن يبذل - الايثار - علاج البخل - الزكاة - سر وجوب الزكاة وفضيلة
سائر الانفاقات - الحث على التمجيل في الاعطاء - فضيلة اعلان الصدقة
الواجبة - ذم المن والأذى في الصدقة - ما ينبغي للمعطي - ما ينبغي للفقراء في
أخذ الصدقة - زكاة الابدان - الخس - الانفاق على الأهل والعيال - ما ينبغي في
الانفاق على العيال - صدقة التطوع - فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة -
الهدية - الضيافة - ما ينبغي أن يقصد في الضيافة - آداب الضيافة - الحق المعلوم وحق
الحصاد والجذاذ - القرض - إنظار المعسر والتحليل - بذل الكسوة والسكنى
ونحوهما - ما يبذل لوقاية العرض والنفس - ما ينفق في المنافع لعامة - الفرق
بين الانفاق والبر والمعروف - طلب الحرام - عزة تحصيل الحلال - أنواع
الاموال - الفرق بين الرشوة والهدية - الورع عن الحرام - مدح الورع - مداخل
الحلال - درجات الورع - الغدر - أنواع الفجور - الخوض في الباطل - التكلم
بما لا يعنى - حد التكلم بما لا يعنى - أسباب الخوض فيما لا يعنى - الصمت .

فنقول : أما جنسا رذائلها (١) فاحدهما :

الشهوة

وهو اطاعة شهوة البطن والفرج ، وشدة الحرص على الأكل والجماع ، وربما فسر باتباع القوة الشهوية في كل ما تدعو اليه : من شهوة البطن والفرج ، وحب المال ، وغير ذلك ؛ ليكون أعم من سائر رذائل قوة الشهوة ، و تتحقق جنسيته ، وعلى الأول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أعم منه ، إلا أن القوم لما فسروه بالأول فنحن اتبعناهم ، إذ الأمر في مثله هين .

وبالجملة : رذيلة الشهوة من طرف الافراط ولا ريب في كونه أعظم المهلكات لابن آدم ، ولذا قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من وقى شر قبحه وذبحه ولقلقه فقد وقى » ، والقبح : البطن ، والذبح : الفرج ، والقلق : اللسان . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ويل للناس من القبيحين ! ، فقيل : وما هما يا رسول الله ؟ ! قال : الحلق والفرج » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « أكثر ما يلج به أمتي النار الأجوفان : البطن والفرج » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ثلاث أخافهن على أمتي من بعدى : الضلالة بعد المعرفة ، ومضلات الفتن ، وشهوة البطن والفرج » .

ويدل على ذم (الأول) - أعنى شهوة البطن والحرص على الأكل والشرب - قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لا تميموا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثرت

عليه الماء ، . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعاً وتفكيراً ، وأبغضكم إلى الله تعالى كل نؤم أكل شروب ، وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء » ، أى يأكل سبعة أضعاف ما يأكله المؤمن أو تكون شهوته سبعة أمثال شهوته ، فالمعاء كناية عن الشهوة . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إن أبغض الناس إلى الله المتخمون المملأى ، وما ترك عبد أكلة يشتهبها إلا كانت له درجة في الجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « بنس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغب ونعظ شديد » (١) . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شعباً في الدنيا » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لا يدخل ملكوت السموات من ملاً بطنه » . وفى التوراة : « إن الله ليبغض الحبر السمين » ، لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل . وفى بعض الآثار : « ان الله يبغض القارىء السمين » . وقال لقمان لابنه : « يا بنى ! اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » . وقال الباقر - عليه السلام - : « إذا شبع البطن طغى » . وقال - عليه السلام - : « ما من شئ أبغض إلى الله - عز وجل - من بطن مملوء » . وقال الصادق - عليه السلام - : « إن البطن ليطغى من أكلة ، وأقرب ما يكون العبد من الله اذا خف بطنه ، وأبغض ما يكون العبد إلى الله اذا امتلأ بطنه » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ليس لابن آدم بد من أكلة يقيم بها صلبه ، فاذا أكل أحدكم

(١) صححنا الحديث على نسخ الوسائل الصحيحة فى كتاب الاطعمة ، والواف

- ١١ : ٦٦ - . وكذا ذكره فى مجمع البحرين مادة (نخب) ، والنخب : الجبان الذى لا فؤاده . والرغب : الواسع .

طعاماً ، فليجعل ثلث بطنه للطعام ، وثلث بطنه للشراب ، وثلثه للنفس ، ولا تسمّنوا تسمن الخنازير للذبح ، . وقال - عليه السلام - : « ما من شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل ، وهي مورثة شيئين : (قسوة) القلب ، و(هيجان) الشهوة . والجوع إدام للمؤمن ، وغذاء الروح ، وطعام للقلب ، وصحة للبدن . » .

والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، ولا ريب في أن أكثر الأمراض والأسقام تترتب على كثرة الأكل . قال الصادق - عليه السلام - : « كل داء من التخمّة إلا الحمى فإنها ترد وروداً » . وقال - عليه السلام - : « الأكل على الشبع يورث البرص » . وكفى لشهوة البطن ذماً أنها صارت منشأ لا خراج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار ، إذ نهيا عن أكل الشجرة فغلبت بها شهواتهما حتى أكلتا منها ، فبذت لهما سوآتهما .

والبطن منبت الأدوية والآفات وينبوع الشهوات ، إذ تتبعها شهوة الفرج وشدة السبق إلى المنكوحات ، وتتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في الجاه والمال ، ليتوسل بهما إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات ، ويتبع ذلك أنواع الرعونات ، وضروب المحاسدات والمنافسات ، وتتولد من ذلك آفة الرياء ، وغائلة التفاخر والتكاثر والمعجب والكبر ، ويداعى ذلك إلى الحقد والعداوة والبغضاء ، ويفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنسكر والفحشاء . وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء . ولو ذل العبد نفسه بالجوع ، وضيق مجارى الشيطان ، لم يسلك سبيل البطر والطغيان ، ولم ينجر به إلى الانهماك في الدنيا والانغمار فيما يفضيه إلى الهلاك والردى ، ولذا ورد في فضيلة الجوع والصبر عليه ما ورد من الأخبار ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش،

فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله ، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش ، . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « أفضل الناس من قلّ مطعمه وضحكه ، ورضى بما يستر عورته » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « سيد الأعمال الجوع ، وذل النفس لباس الصوف ، وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « اشربوا وكوا في انصاف البطون ، فانه جزء من النبوة » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « قلّة الطعام هي العبادة » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إن الله يباهي الملائكة بمن قلّ مطعمه في الدنيا ، يقول : انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما ، اشهدوا يا ملائكتي : ما من أكلة يدعها إلا ابدلته بها درجات في الجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - « أقرب الناس من الله - عز وجل - يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا ، . وقال عيسى عليه السلام : « أجيئوا أ كبادكم وأعرّوا اجسادكم ، لعل قلوبكم ترى الله - عز وجل - . » وقالت بعض زوجاته - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إن رسول الله لم يمتلي قط شبعاً ، وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي ، وأقول : نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع ، فيقول : اخواني من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا ، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فآكرم ما بهم وأجزل ثوابهم ، فاجدنى أستحي إن ترفهت في معيشتى أن يقصر بي غداً دونهم ، فاصبر أياماً يسيرة أحب إلى من أن ينقص بي حظى غداً في الآخرة ، وما من شيء أحب إلى من اللحوق بأصحابي وإخواني ، . وروى : « انه جاءت فاطمة - عليها السلام - ومعها كسيرة من خبز ، فدفعتها إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : ما هذه الكسيرة ؟ قالت : قرص خبزته للحسن والحسين - عليهما السلام - جنتك

منه بهذه الكسيرة ، فقال : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث ، (١).

فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد : هي صفاء القلب ورقته ، وانقاد الذهن وحدته ، والالتذاذ بالمناجاة والطاعة ، والابتهاج بالذكر والعبادة ، والترحم لارباب الفقر والفاقة ، والتذكر بجوع يوم القيامة . والانكسار المانع عن الطغيان والغفلة ، وتيسر المواظبة على الطاعة والعبادة ، وكسر شهوات المعاصى المستولية بالشبع ، ودفع النوم الذى يضيع العمر ويكل الطبع ويفوت القيام والتهجد ، والتمسك من الايثار والتصديق بالزائد ، وخفة المؤنة الموجبة للفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد ، وصحة البدن ودفع الامراض ، إذ المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء ، وورد : «كوا فى بعض بطونكم تصحوا» ، وأضداد هذه الفوائد من المفاسد يترتب على الشبع .

ثم علاج الشره بالأكل والشرب : أن يتذكر الأخبار الواردة فى ذمه ، وينبه نفسه على رذالة المأكولات وخساستها ، وعلى خسة الشركاء من الحيوانات ، ويتأمل فى المفاسد المترتبة على الولوغ به : من الذلة ، والمهانة ، وسقوط الحشمة والمهابة ، وفتور الفطنة ، وظهور البلادة ، وحدث العمل والامراض الكثيرة ، وبعد ذلك يحافظ نفسه عن الافراط فى الاكل ولو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عادة .

الشره الجنسية

(وأما الثانى) - اعنى طاعة شهوة الفرج والافراط فى الوقاع - فلا ريب فى أنه يقهر العقل حتى يجعل الانسان مقصور الهم على التمتع

بالنسون والجوارى ، فيحرم من سلوك طريق الآخرة ، أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش. وربما انتهت هذه الشهوة بمن غلب وهمه على عقله إلى العشق البهيمى الذى ينشأ من استيلاء الشهوة ، فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة ، وقد خلق العقل ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة . وهذا مرض قلوب فارغة خلت عن محبة الله وعن الهمم العالية .

ويجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة الفكر والنظر ، وإذا استحکم عسر دفعه ، وكذلك حب باطل من الجاه والمال والعقار والأولاد . فمثل من يكسره فى اول انبعائه مثل من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله ، وما أهون منها بصرف عنانها ، ومثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابة حتى تدخل وتتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها ، وما اعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر والعسر . فليكن الاحتراز والاحتياط فى بدايات الامور ، إذ فى أواخرها لا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يوازى نزع الروح .

وربما انتهى افراط هذه الشهوة بطائفة الى أن يتناولوا ما يقويها ليستكثرها من الجماع ، ومثلهم كمثل من بلى بسباع ضارية تغفل عنه فى بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهيجها فى هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها . والتجربة شاهدة بأن من ينقاد لهذه الشهوة ويسعى فى تكثير ما يهيجها من النسوان وتجديدهن والتخيل والنظر وتناول الأغذية والأدوية المحركة لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر ، وقد ينجر افراطها الى سقوط القوة واختلال القوى الدماغية وفساد العقل - كما برهن عليه فى السكتب الطيبة - . والوقاع أضرب الأشياء بالدماغ ، إذ جلّ المواد المنوية يجلب منه ، ولذا شبه الغزالي هذه الشهوة بالعامال الظالم الذى لو أطلقه السلطان ولم

يمنعه من ظلمه أخذ أموال الرعية على التدريج بأسرها وابتلاهم بالفقر والفاقة، فأهلكهم الجوع وعدم تمكسبهم من تحصيل القوت ، وكذا هذه القوة لو لم يقهرها سلطان العقل ولم يقمها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحة والاخلاط المحمودة التي اكتسبتها القوى الغازية لبذل ما يتحلل من الأعضاء في مصارف نفسها وجعلها بأسرها منياً ، وتبقى جميع الأعضاء بلا قوت ، فتضعف ويدركها الفناء بسرعة . ولو كانت مطيعة للعقل ، بحيث تقدم على ما يأمرها به وتنزجر عما ينهاها عنه ، كانت كالعامل الذي يأخذ الخراج على طريق العدل والمرورة ، ويصرفه في مصارف المملكة من سد الثغور واصلاح القناطر وخروج العساكر ، وتبقى سائر أموال الرعية لا أنفسهم ، فيبقى لهم القوت وسائر ما يحتاجون اليه .

ولعظم آفة هذه الشهوة واقتضائها هلاك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم ترد الى حد الاعتدال ، ورد في ذمها ما ورد من الأخبار ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في بعض دعواته : « اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر مني » . وروى : « أنه إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله » . وورد في تفسير قوله تعالى :

« وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ » (١)

أى : ومن شر الذكر إذا قام أو دخل . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « النساء حباثل الشيطان » وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ما بعث الله نبياً فيما خلا إلا لم ييأس ابليس أن يهلكه بالنساء ، ولا شئ أخوف عندي منهن » (٢) . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « انقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء ، فإن

(١) الفلق ، الآية : ٣ .

(٢) في احياء العلوم - ٣ : ٨٦ - ان هذا الكلام من قول سعيد بن المسيب

لا من كلام النبي - صلى الله عليه وآله -

أول فتنة بنى اسرائيل كانت من قبل النساء . وروى : « أن الشيطان قال لموسى **بِإِيَّاهُ** : لا تحل بامرأة لا تحل لك . فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى افتنته بها . وروى أيضاً : « أن الشيطان قال : المرأة نصف جندي ، وهي سهمي الذي أرمى فلا اخطى ، وهي موضع سرى ، وهي رسولى فى حاجتى . ولا ريب فى أنه لولا هذه الشهوة لما كان للنساء تسلط على الرجال .

وقد ظهر بالعقل والنقل : أن الافراط فى هذه الشهوة وكثرة الطروقة والنزوع على النسوان مذموم . ولا تغرنك كثرة نسكاح رسول الله - صلى الله عليه وآله - فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا ، وكان استغراقه فى حب الله بحيث يخشى احتراق قلبه والسراية منه الى قلبه ، فكان - صلى الله عليه وآله - يكثّر من النسوان ويشغل نفسه الشريفة بهن ، ليمبق له نوع التفات الى الدنيا ، ولا يؤدى به كثرة الاستغراق الى مفارقة الروح عن البدن ، ولذا إذا غشيتته كثرة الاستغراق وخاض فى غمرات الحب والانس ، يضرب يده على فخذه عائشة ويقول - صلى الله عليه وآله - : « كلبى واشغلبنى يا حميراء ، » وهي تشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه ، لقصور طاقة قلبه عنه .

ثم لما كانت جبلته الانس بالله ، وكان أنسه بالخلق عارضاً يتكلفه رفقاً ببدنه ، فاذا طالت مجالسته معهم لم يطق الصبر معهم وضاق صدره ، فيقول : « ارحنا يا بلال ! » ، حتى يعود الى ما هو قرّة عينه . فالضعيف إذا لاحظ احواله فهو معذور ، لأن الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله (١) . ثم علاج افراط هذه الشهوة - بعد تذكر مفسدها المذكورة - كسرها بالجوع ، وسدّ الطرق المؤدية اليها : من التخيل والنظر والتكلم والخلوة ،

(١) هذا الكلام كله عن تمليل كثرة طروق النبي - صلى الله عليه وآله - مأخوذ

فإن أقوى الأسباب المهيبة لها هو النظر والحلوة ، ولذا قال الله تعالى :

« قُلْ لِمُؤْمِنِينَ يَفُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » (١)

وقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : « النظره سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه . »
وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لكل عضو من أعضاء ابن آدم حظ من الزنا ، فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - :
« لا تدخلوا على المغيبات - أى التي غاب عنها زوجها - فان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم ، . وقال عيسى بن مريم - عليهما السلام - : « اياكم والنظره ، فإنها تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها فتنة . » وقيل ليحيى بن زكريا : ما بدء الزنا ؟ قال : « النظره والتنى . » وقال داود - عليه السلام -
لابنه : « يا بني ! امش خلف الأسد (و) (٢) الاسود ولا تمش خلف المرأة ، .
وقال ابليس : « النظره قوسى وسهمى الذى لا اخطى به ، . »

ولكون النظر مهيجاً للشهوة ، حرم في الشريعة نظر كل من الرجل والمرأة الى الآخر ، وكذا حرم استماع كل منهما لكلام الآخر ، إلا مع الضرورة وعموم الحاجة ، وكذا حرم نظر الرجال الى المرد من الصبيان إذا كان مورثاً للفتنة ، ولذا كان كبراء الأخيار وعظماء الأبرار في الأعصار والامصار محترزين عن النظر الى وجوه الصبيان ، حتى قال بعضهم : « ما انا بأخوف على الشباب الناسك من سبع ضار كخوفى عليه من غلام أمرد يجلس اليه ، . »

(١) النور ، الآية : ٣٠ .

(٢) حرف (و) موجود في نسخةنا الخطية وفي احياء العلوم - ٣ : ٨٧ - ، ولكنه

قد شطب عليها في النسخة المطبوعة .

ثم إن لم تنقمع الشهوة بالجوع والصوم وحفظ النظر ، فينبغي كسرها بالنكاح ، بشرط الاستطاعة والأمن من غوائله . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « معاشر الشباب ! عليكم بالباة ، فمن لم يستطع فعله بالصوم ، فإن الصوم له وجاء » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فإن معها مثل الذى معها » .

(وثانيتها) - أى ثانى جنسى ردائل قوة الشهوة - :

الخمود

وهو التفريط فى كسب ضرورى القوت ، والفتور عما ينبغى من شهوة النكاح ، بحيث يودى إلى سقوط القوة وتضييع العيال وانقطاع النسل . ولا ريب فى كون ذلك مذموماً غير مستحسن فى الشرع ، إذ تحصيل المعارف الآلهية واكتساب الفضائل الخلقية والعبادات البدنية موقوف على قوة البدن ، فالتفريط فى إيصال بدل ما يتحلل الى البدن يوجب الحرمان عن تحصيل السعادات وهو غاية الخسران . وكذا إهمال قوة شهوة النكاح يوجب الحرمان عن الفوائد المترتبة عليها ، فإن هذه القوة إنما سلطت على الإنسان لبقاء النسل ودوام الوجود ، ولأن يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة ، فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى اللذات الجسمانية ، كما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدانية ، فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق إلى سعاداتهم ، وليس ذلك إلا بلذة مدركة وألم محسوس مشابهن للذات والآلام الآخروية .

ولبقاء النسل فوائد : موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لبقاء نوع الإنسان ، وعدم قطعه السلسلة التى وصلت إليه من مبدأ النوع ، وطلب

حجة رسول الله - صلى الله عليه وآله - في تكثير من به مباحاته ، وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده ، وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله ، كما استفاضت به الأخبار .

ومن فوائد النكاح : كسر التوقان والتجن من الشيطان ، بغض البصر وحفظ الفرج وقطع الوسوس وخطرات الشهوة من القلب ، وإليه الإشارة بقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من تزوج فقد أحرز نصف دينه » .
ومن فوائد النكاح : تفريغ القلب عن تدبير المنزل ، والتسكفل بشغل الطبخ والفرش والكنس ، وتنظيف الاواني وتهيئة أسباب المعيشة ، فان الفراغ عن ذلك أعون شيء على تحصيل العلم والعمل ، ولذا قال النبي - صلى الله عليه وآله - : « ليتخذ أحدكم لساناً ذا كراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » .

ومنها : مجاهدة النفس ورياضتها بالسعى في حوائج الأهل والعيال ، والاجتهاد في اصلاحهم وارشادهم الى طريق الدين ، وفي تحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبة ، والقيام بتربية الأولاد ، والصبر على اخلاق النساء ، وكل ذلك من الفضائل العظيمة ، ولذا قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « السكاد في نفقة عياله كالمجاهد في سبيل الله » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من حسنت صلواته ، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغترب المسلمين : كان معي في الجنة كهاتين » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من الذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من كانت له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله تعالى له الجنة » .

ولا ريب في أن الخمود عن الشهوة يلزمه الحرمان عن الفوائد

المذكورة ، فهو مرجوح .
ثم لما كان للنكاح آفات أيضاً ، كالاختياج الى المال وصعوبة تحصل
الخلال منه - لا سيما في أمثال زماننا - والعجز عن القيام بحقوق النساء ،
والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن ، وتفرق الخاطر لأجل القيام
بتدبير المعيشة وتهيئة ما يحتاجون اليه ، وتأدية ذلك غالباً الى مالا ينبغي من
الانغمار في الدنيا والغفلة عن الله - سبحانه - وعمّا خلق لأجله . فاللائق أن
يلاحظ في كل شخص أن الراجح في حقه ماذا ؟ - بعد ملاحظة الفوائد
والمفاسد - فيأخذ به .

وصل

(العفة)

قد عرفت أن ضد الجنسين (العفة) ، وهو انقياد قوة الشهوة للعقل
في الاقدام على ما يأمرها به من المأكل والمنسكح كماً وكيفاً ، والاجتناب عما
ينهاها عنه ، وهو الاعتدال الممدوح عقلاً وشرعاً ، وطرفاه من الافراط
والتفريط مذمومان ، فان المطلوب في جميع الأخلاق والأحوال هو الوسط ،
إذخير الامور أوساطها ، وكلا طرفيها ذميم ، فلا تظن مما ورد في فضيلة
الجوع أن الافراط فيه ممدوح ، فان الأمر ليس كذلك ، بل من أسرار حكمة
الشريعة أن كلما يطلب الطبع فيه طرف الافراط بالغ الشرع في المنع عنه على
وجه يتوهم الجاهل منه أن المطلوب طرف التفريط ، والعالم يدرك أن
المقصود هو الوسط ، فان الطبع اذا طلب غاية الشبع ، فالشرع ينبغي أن
يطلب غاية الجوع ، حتى يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً ، فيتقاومان
ويحصل الاعتدال . ولما بلغ النبي - صلى الله عليه وآله - في الثناء على قيام
الليل وصيام النهار ، ثم علم من حال بعضهم أنه يقوم الليل كله ويصوم الدهر

كله ، فنهى عنه . والأخبار الواردة في مدح العفة وفضيلتها كثيرة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أفضل العبادة العفاف » . وقال الباقر عليه السلام : « ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج » . وقال عليه السلام : « ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج » . وقال عليه السلام : « أى الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج » . وفي معناها أخبار أخر .

واذ عرفت هذا ، فاعلم أن الاعتدال فى الأكل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا بألم الجوع ، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلاً ، فإن المقصود من الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة ، وثقل الطعام يمنع العبادة ، وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها . فالمقصود أن يأكل أكل معتدلاً بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر ، ليكون متشبهاً بالملائكة المقدسين عن ثقل الطعام وألم الجوع ، واليه الإشارة بقوله تعالى :

« وَكُلُوا وَأُشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » (١)

وهذا يختلف بالنسبة إلى الأشخاص والاحوال والاعذية ، والمعيار فيه ألا يأكل طعاماً حتى يشتميه ، ويرفع يده عنه وهو يشتميه ، وينبغي ألا يكون غرضه من الأكل التلذذ ، بل حفظ القوة على تحصيل ما خلق لاجله ، فيقتصر من أنواع الطعام على خبز البر فى بعض الاوقات ، وعلى خبز الشعير فى بعضها ، ولو ضم اليه الأدام فيكتفى بأدام واحد فى بعض الأحيان ، ولا يواظب على اللحم ، ولا يتركه بالمرّة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ، ومن داوم عليه أربعين يوماً قسى قلبه » .

(الاعتدال فى الشهوة)

والاعتدال أن يكتفى فى اليوم بليته بأكلة واحدة فى وقت السجر ،

بعد الفراغ عن التمجيد أو بعد صلاة العشاء ، أو باكتئين : التغدى والتعشى -
إن لم يقدر على الاكتفاء بمرة واحدة - وقد استفاضت أخبار أئمتنا
الراشدين - عليهم السلام - بالحث على التعشى .

ثم للمعرفة ترغيبات على الجوع وتصريحات على كثرة فوائده ، وعلى
توقف كشف الاسرار الالهية والوصول الى المراتب العظيمة عليه ، ولهم
حكايات فى امكان الصبر عليه ، وعلى عدم الاكل شهراً أو شهرين أو سنة ،
ونقلوا حصوله عن بعضهم ، وهذا أمر وراء ما وردت به السنة وكلفت به
عموم الامة ، فان كان ممدوحاً فانما هو لقرم مخصوصين .

وأما الجماع ، فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على ما لا ينقطع عنه النسل ،
ويحصل له التحصن ، وتزول به خطرات الشهوة ، ولا يؤدي الى ضعف
البدن والقوى .

وأما غير الجنسين من الأنواع والنتائج والآثار المتعلقة بالقوة الشهوية
- وإن كان بعضها أعم من الجنسين أو مساوياً لهما - :
فمنها :

حب الدنيا

اعلم أن للدنيا ماهية فى نفسها وماهية فى حق العبد ، أما ماهية الدنيا
وحقيقتها فى نفسها ، فعبارة عن أعيان موجودة : هى الأرض وما عليها ،
والأرض هى العقار والضياع وأمثالها ، وما عليها تجمعها المعادن والنبات
والحيوان ، والمعادن تطلب لكونها إمامن الآلات والزينة كالنحاس والرصاص
والجواهر وأمثالها ، أو من النقود كالذهب والفضة ، والنبات يطلب لكونه
من الأقوات أو الادوية ، والحيوانات تطلب إما للملكية ابدانها واستخدامها

كالعبيد والغلمان أو للملكية قلوبها وتسخيرها ليرتب عليه التعظيم والاكرام وهو الجاه، أو للتمتع والتلذذ بها كالجوارى والنسوان، أو للقوة والاعتضاد كالأولاد. هذه هي الاعيان المعبر عنها بالدنيا، وقد جمعها الله سبحانه في قوله:

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ

الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (١).

وحب جميع ذلك من رذائل قوة الشهوة ، إلا حب تسخير القلوب لقصد الغلبة والاستيلاء ، فانه من رذائل قوة الغضب - كما تقدم - وبذلك يظهر أن حب الدنيا المتعلق بقوة الشهوة أعم من الشره باول تفسيريه - كما اشير اليه - .

وأما ما هيتها في حق العبد ، فعبارة عن جميع ماله قبل الموت ، كما أن بعد الموت عبارة عن الآخرة ، فكل ما للعبد فيه نصيب وشهوة وحظ وغرض ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقه ، وللعبد فيه علاقتان، علاقة بالقلب وهو حبه له، وعلاقة باليدن: وهو اشغاله بأصلاحه، ليستوفي منه حظوظه . إلا أن جميع ماله اليه ميل ورغبة ليس بمذموم ، وذلك لأن ما يصحبه في الدنيا وتبقى ثمرته معه بعد الموت - أعنى العلم النافع والعمل الصالح - فهو من الآخرة في الحقيقة ، وإنما سمي بالدنيا باعتبار دنوه ، فان كلام العالم والعابد قد يلتذ بالعلم والعبادة بحيث يكون ذلك ألد الأشياء عنده ، فهو وان كان حظاً عاجلاً له في الدنيا . إلا أنه ليس من الدنيا المذمومة ، بل هو من الآخرة في الحقيقة ، وإن عد من الدنيا من حيث دخوله في

الحس والشهادة ، فان كل ما يدخل فيهما فهو من عالم الشهادة - أعنى الدنيا - ولذا جعل نبينا - صلى الله عليه وآله - الصلاة من الدنيا ، حيث قال : « حبيب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرّة عيني في الصلاة » ، مع أنها من أعمال الآخرة .

فالدنيا المذمومة عبارة عن حظ عاجل ، لا يكون من أعمال الآخرة ولا وسيلة اليها ، وما هو إلا التلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل .

وأما قدر الضرورة من الرزق ، فتحصيله من الأعمال الصالحة - كما نطقت به الأخبار - قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « العبادة سبعون جزءاً ، أفضلها طلب الحلال » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ملعون من اتقى كله على الناس » . وقال السجاد عليه السلام : « الدنيا دنيا آن : دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة » . وقال الباقر عليه السلام : « من طلب الدنيا استعفاً عن الناس ، وسعياً على أهله ، وتعطفاً على جاره ، لقي الله - عز وجل - يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر » . وقال الصادق عليه السلام : « الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله » . وقال عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق » . وقال عليه السلام : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه » . وقال - عليه السلام - : « لا تكسلوا في طلب معاشكم ، فان آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها » . وقال له عليه السلام رجل : « انا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها ، فقال : تحب أن تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي وعيالي ، وأصل بها وأتصدق ، وأحج وأعتمر ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : ليس هذا طلب الدنيا ، هذا طلب الآخرة » . وكان أبو الحسن عليه السلام يعمل في أرض قد استنقعت قدماء في العرق ، فقيل له : « جعلت فداك ! اين الرجال ؟ فقال :

وقد عمل باليد من هو خير منى في أرضه ومن أبى، فقيل : ومن هو؟ فقال : رسول الله - صلى الله عليه وآله - وأمير المؤمنين وآبأى كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين . وقد ورد بهذه المضامين أخبار كثيرة آخر مشهورة .

تنزيب

(لا بد للمؤمن من مكسب)

قد ظهر من هذه الأخبار أن الراجح - بل اللازم - لكل مؤمن أن يكون له مكسب طيب يحصل منه ما يحتاج إليه من الرزق وغيره من الخارج المحمودة ، وقد صرح بذلك في أخبار كثيرة آخر ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أوحى الله - عز وجل - إلى داود عليه السلام : إنك نعم العبد لو لا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً ، قال : فبكى داود أربعين صباحاً ، فأوحى الله - عز وجل - إلى الحديد أن لن لعبدى داود ، فألان الله له الحديد ، وكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم ، فعمل ثلثمائة وستين درعاً فباعها بثلثمائة وستين الفاً ، واستغنى عن بيت المال . » وقال الصادق عليه السلام « من احبنا أهل البيت فليأخذ من الفقير جلباباً أو تجفافاً ، » والجلباب : كناية عن الستر على فقره ، والتجفاف (١) : كناية عن كسب طيب يدفع فقره . وقيل له في رجل قال : لأفعدن في بيتي ، ولأصلين ، ولأصومن ، ولأعبدن ربى ، فأما رزقى فسيأتينى : قال أبو عبد الله : « هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم . » وهذا - أى ملكة تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبة وصرفها

(١) التجفاف : آلة للعرب بتق بها كالاربع - وعن تفسير أمثال هذا الحديث راجع

الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من البحار ص ٦٥ ، ففيه تفصيل معناه . وقد نقل عن

ابن الأثير في النهاية ، وابن أبي الحديد في شرحه : كلاماً في هذا الباب .

في الخارج المحموده - هو الحرية بأحد المعنيين، إذ للحرية اطلاقان: (أحدهما) ذلك، وهو الحرية بالمعنى الأخص، (وثانيهما) التخلص عن أسر الهوى وعبودية القوة الشهوية، وهو الحرية بالمعنى الأعم المرادفة، وضده الرقية بالمعنى الأعم الذي هو طاعة قوة الشهوة ومتابعة الهوى.

وضده الأول - أعنى الرقية بالمعنى الأخص - هو افتقاره الى الناس فيما يحتاج اليه من الرزق، والقاء نظره إلى ايديهم، وحوالة رزقه على اموالهم، إما على وجه محرم، كالغصب والنهب والسرقة وأنواع الخيانات، أو غير محرم، كأخذ وجوه الصدقات وأوساخ الناس، بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل يده يداً سفلى ويدهم يداً عليا. ولا ريب في كون الرقية بهذا المعنى مذمومة، إذ الوجه (الأول) محرم في الشريعة وموجب للهلاك الأبدى، والوجه (الثاني) وإن لم يكن محرماً إذا كان فقيراً مستحقاً، إلا أنه لإيجابه التوقع من الناس وكون نظره اليهم يقتضى المذلة والانكسار والتخضع للناس والرقية والعبودية لهم، وهذا يرفع الوثوق بالله والاعتماد والتوكل عليه، وينجر ذلك الى سلب التوكل على الله بالكلية، وترجيح المخلوق على الخالق، وهذا يناقض مقتضى الايمان والمعرفة الواقعية بالله سبحانه.

فصل

(الدنيا المذمومة هي الهوى)

قد ظهر مما ذكر : أن الدنيا المذمومة حظ نفسك الذي لا حاجة اليه لأمر الآخرة ، ويعبر عنه بالهوى ، واليه أشار قوله تعالى :

« وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » (١)

ومجامع الهوى هي المذكورة في قوله تعالى :

« إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمِيبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ » (١).

والاعيان التي تحصل منها هذه الأمور هي المذكورة في قوله سبحانه :

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ مَحَبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ عِنْدَهُ مُحْسِنُ الْمَآبِ » (٢).

فهذه أعيان الدنيا ، وللعبد معها علاقتان :

(علاقة مع القلب) : وهي حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها ،
حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بها ، ويدخل في هذه العلاقة جميع
صفات القلب المتعلقة بالدنيا : كالرياء ، والسمعة ، وسوء الظن ، والمداهنة ،
والحسد ، والحقد ، والغل ، والكبر ، وحب المدح ، والتفاخر والتكاثر . فهذه
هي الدنيا الباطنة ، والظاهرة هي الاعيان المذكورة .

و (علاقة مع البدن) : وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح
لحظوظه وحفظه غيره ، وهذا الاشتغال عبارة عن الصناعات والحرف التي
اشتغل الناس بها ، بحيث أنستهم انفسهم وخالقهم وأغفلتهم عما خلقوا
لأجله ، ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا على قدر الضرورة ، لم

(١) الحديد ، الآية : ٢٠ .

(٢) آل عمران ، الآية : ١٤ .

يستغرقهم اشتغال الدنيا والانهمك فيها ، ولما جهلوا بالدنيا وحكمتها وحظهم منها لم يقتصروا على قدر الاحتياج ، فأوقعوا انفسهم في اشغالها ، وتتابعت هذه الأشغال واتصلت بعضها ببعض ، وتداعت الى غير نهاية محدودة ، فغفلوا عن مقصودها ، وتاهوا في كثرة الاشغال . فان أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا وتفتح لأجله عشرة أبواب اخر ، وهكذا يتداعى الى غير حد محصور ، وكأنها هاوية لانهاية لعمقها ، ومن وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى . . . وهكذا على التوالى . ألا ترى أن ما يضطر اليه الانسان بالذات منحصر بالمأكل والملبس والمسكن ؟ ولذلك حدثت الحاجة الى خمس صناعات هى أصول الصناعات : الفلاحة ، والرعاية للبهائم ، والحياكة ، والبناء ، والاقتناص - أى تحصيل ما خلق الله من الصيد والمعادن والحشائش والأحطاب - وتترتب على كل من هذه الصناعات صناعات آخر ، وهكذا الى أن حدثت جميع الصناعات التى تراها فى العالم ، وما من أحد إلا وهو مشتغل بواحدة منها أو أكثر، إلا أهل البطالة والكسالة. حيث غفلوا عن الاشتغال فى أول الصبا ، أو منهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم ، حتى نشأوا بلا شغل واكتساب ، فاضطروا الى الاخذ بما يسعى فيه غيرهم ، ولذلك حدثت حرفتان خبيثتان هى (اللصوصية) و (الكذبة) (١) ، ولكل واحد منهما أنواع غير محصورة لا تخفى على المتأمل .

فصل

(ذم الدنيا وانها عدوة الله والانسان)

اعلم أن الدنيا عدوة لله ولأوليائه ولاعدائه : أما عداوتها لله ، فإنها قطعت الطريق على العبادة ، ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها ، كما ورد فى

(١) قال فى المنجد : الكذبة : الاستعطاء وحرفة السائل الملح .

الأخبار (١) . وأما عداوتها لاوليائه واحبائه ، فانها تزينت لهم بزينةها وعمتهم بزهرتها ونضارتها ، حتى تجر عوا مرارة الصبر في مقاطعتها . وأما عداوتها لاعدائه ، فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها وحبائلها حتى وثقوا بها وعولوا عليها ، فاجتبا منها حيرة وندامة تنقطع دونها الاكباد ، ثم حرمتهم عن السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون ، ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم :

« أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (٢) . « أُولَئِكَ

الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ
الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ » (٣) .

والآيات الواردة في ذم الدنيا وحبها كثيرة ، وأكثر القرآن مشتمل على ذلك وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة ، بل هو المقصود من بعثة الأنبياء ، فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها . فلنشر الى نبذة من الأخبار الواردة في ذم الدنيا وحبها وفي سرعة زوالها ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء ، وألزم الله قلبه أربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبداً ، وشغلا لا يتفرغ منه أبداً ، وفقراً

(١) سيأتي الخبر بهذا المعنى - ص ٢٥ - وهو عامي .

(٢) المؤمنون ، الآية : ١٠٩ .

(٣) البقرة ، الآية : ٨٦ .

لا ينال غناه أبداً ، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً ، . وقال - صلى الله عليه وآله - :
 « يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ! » . وقال
 - صلى الله عليه وآله - : « لتأتينكم بعدى دنياً تأكل إيمانكم كما تأكل النار
 الحطب » . وقال : « أهلكم التكائر ، يقول ابن آدم : مالى مالى . وهل لك
 من مالك إلا ما تصدقت فأبقيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ؟ » .
 وقال : « أوحى الله - تعالى - إلى موسى : لا تركنن إلى حب الدنيا ، فلن تأنين
 بكبيرة هي أشد عليك منها » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « حب الدنيا
 رأس كل خطيئة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أحب دنياه أضر
 بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه . فأثروا ما يبقى على ما يفنى » . ومر
 - صلى الله عليه وآله - على مزبلة ، فوقف عليها وقال : « هلبوا إلى الدنيا ! ،
 وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظماً قد نخرت ، فقال : « هذه الدنيا » .
 وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الله لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا ،
 وإنه لم ينظر اليها منذ خلقها » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الدنيا دار
 من لا دار له ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادى
 من لا علم عنده ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له » .
 وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لما هبط آدم من الجنة إلى الأرض قال
 له : إن للخراب ولد للفناء » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لتجيئن أقوام
 يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة . فيؤمر بهم إلى النار » ، فقيل : يا رسول الله !
 أمصلين ؟ قال : « نعم ، اكانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيئة من الليل ،
 فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه » . وقال - صلى الله عليه وآله - :
 « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ؟ ألا إنه من رغب
 في الدنيا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر ذلك ، ومن زهد في الدنيا

وقصر أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية . وقال - صلى الله عليه وآله - : « فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، وليكني أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتتافسوها كما تتافسوها ، وتهلككم كما اهلكتهم » . وقال : « أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض » ، فقيل : ما بركات الأرض ؟ قال : « زهرة الدنيا » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « دعوا الدنيا لأهلها ، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « سيأتي قوم بهدى يأكلون أطيب الطعام وانواعها ، وينكحون أجمل النساء وألوانها ، ويلبسون ألين الثياب والوانها ، ويركبون أقوى الخيل والوانها ، لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا ، يغدون ويروحون اليها ، اتخذوها آلهة دون إلههم ورباً دون ربهم إلى امرهم ينتهون وهواهم يلعبون ، فعزيمة من محمد بن عبدالله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أبداً لا يسلم عليهم ولا يعوّد مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ، ومن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « مالى والدنيا وما انا والدنيا ؟ ! إنما مثلى ومثلها كمثل ركب سار في يوم صائف ، فرفعت له شجرة ، فقال تحت ظلها ساعة ، ثم راح وتركها » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « احذروا الدنيا ، فانها أسجر من هاروت وماروت » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « حق على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » . وقال عيسى بن مريم - عليه السلام - : « ويل لصاحب الدنيا ! كيف يموت ويتركها ، ويأمنها وتغره ، ويثق بها وتخذله ، ويل للمغتربين ! كيف ألزمهم ما يكرهون ، وفارقهم ما يحبون ، وجاءهم ما يوعدون ، ويل لمن اصبح الدنيا همه والخطايا عمله ! كيف يفتضح غداً

بذنبه . . وقال - عليه السلام - : « من ذا الذى يبنى على أمواج البحر داراً
تلكم الدنيا ، فلا تتخذوها قراراً . » وقال ﷺ : « لا يستقيم حب الدنيا
والآخرة فى قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار فى اناء واحد . » وأوحى
الله - تعالى - الى موسى : « يا موسى ! مالك ودار الظالمين ! إنها ليست لك
بدار ، اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى ، إلا لعامل يعمل
فيها فنعمت الدار هى ، يا موسى ! إنى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم . »
وأوحى اليه : « يا موسى ! لا تركنن الى حب الدنيا ، فلن تأتين بكبيرة هى أشد
منها . » ومر موسى ﷺ برجل وهو يبكى ، ورجع وهو يبكى ، فقال موسى :
« يا رب ! عبدك يبكى من مخافتك » ، فقال تعالى : « يا بن عمران ! لو نزل
دماغه مع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم اغفر له وهو يحب الدنيا ! . »

وقال أمير المؤمنين ﷺ - بعد ما قيل له صف لنا الدنيا - : « وما أصف
لك من دار من صح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ،
ومن استغنى فيها افتتن ، فى حلالها الحساب ، وفى حرامها العقاب . » وقال
- عليه السلام - : « إنما مثل الدنيا كمثل الحية ، ما ألين مسها وفى جوفها السم
الناقع ، يحذرها الرجل العاقل ويهوى اليها الصبي الجاهل . » وقال فى وصف
الدنيا : « ما أصف من دار اولها عناء وآخرها فناء ، فى حلالها حساب وفى
حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن ساعاها
فائته ، ومن قعد عنها اتته ، ومن بصر بها بصرته ، ومن أبصر اليها اعتمته . »
وقال ﷺ فى بعض مواضعه : « ارفض الدنيا ، فان حب الدنيا يعمى ويصم
ويبكم وينزل الرقاب ، فتدارك ما بقى من عمرك ، ولا تقل غداً وبعد غد ،
فإنما هلك من كان قبلك باقامتهم على الامانى والتسوييف ، حتى اتاهم أمر الله
بغتة وهم غافلون ، فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة ، وقد اسلمهم

الأولاد والأهلون ، فانقطع الى الله بقلب منيب . من رفض الدنيا وعزم
ليس فيه انكسار ولا انخزال ، . وقال - عليه السلام - : « لا تغرنكم الحياة
الدنيا ، فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، فكل
ما فيها إلى زوال ، وهى بين أهلها دول وسجال ، لا تدوم احوالها ، ولا يسلم
من شرها نزالها ، بينا أهلها منها فى رخاء وسرور إذا هم منها فى بلاء وغرور ،
احوال مختلفة ، وتارات متصرمة ، العيش فيها مذموم ، والرّخاء فيها لا يدوم ،
وإنما أهلها فيها اغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بجهاها . واعلموا
عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ، بمن كان
اطول منكم اعماراً ، واشد منكم بطشاً ، واعمر دياراً وابعث آثاراً ، فاصبحت
اصواتهم هامة خامدة من بعد طول قلبها ، واجسادهم بالية ، وديارهم على
عروشها خاوية ، وآثارهم عافية ، استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنارق
الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطئة الملحدة . فحلها مقرب ،
وساكنها مغترب ، بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ،
لا يستأنسون بال عمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان ، على
ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل ، وقد
طحنهم بسكك البلاء ، وأكثتهم الجنادل والثرى ، واصبحوا بعد الحياة
أمواتاً ، وبعد نضارة العيش رفاتاً ، فجع بهم الاحباب ، وسكنوا تحت
التراب ، وظعنوا فليس لهم إياب ، هيئات هيئات ا

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ

بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (١).

فكان قد صرتم إلى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المشوى ،
 وارتهنتم في ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، وكيف بكم لو عاينتم
 الأمور ، وبعثت القبور ، وحصل ما في الصدور ، وأوقفتم للتحصيل بين
 يدي الملك الجليل ، فطارت القلوب لا شفاقها من سالف الذنوب ، وهتكت
 عنكم الحجب والاستار ، فظهرت منكم العيوب والاسرار ، هنالك

« تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » (١) «

وقال أيضاً - عليه السلام - في بعض خطبه : « اوصيكم بتقوى الله
 والترك للدنيا التاركة لكم ، وان كنتم لا تحبون تركها ، المبلية أجسامكم ،
 وانتم تريدون تجديدها ، فإما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقاً ،
 وكانهم قد قطعوه ، وافضوا الى علم ، فكانهم قد بلغوه ، وكم عسى أن يجرى
 المجرى حتى ينتهي الى الغاية ، وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا ، وطالب
 حثيث يطلبه حتى يفارقها ، فلا تجزوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع ،
 ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال ، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ،
 وغافل وليس بمغفول عنه . »

وقال السجاد - عليه السلام - : « إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن
 الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من ابناء
 الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا
 الراغبين في الآخرة ، ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطاً والتراب
 فراشاً والماء طيباً ، وقرضوا من الدنيا تقريضاً ، ألا ومن اشتاق الى الجنة
 سلا عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في

الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إن الله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة ومخلدن،
 وكن رأى أهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ،
 أنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة ، فصاروا بعقبى راحة
 طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، وهم
 يجأرون إلى ربهم ، يسمعون فى فكك رقابهم ، وأما النهار فخلعاء علماء بررة
 اتقياء كأنهم القداح ، قد براهم الخوف من العبادة ، ينظر اليهم الناظر فيقول
 مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا ، فقد خالط القوم أمر عظيم
 من ذكر النار وما فيها . وقال - عليه السلام - : « ما من عمل بعد معرفة الله
 - عز وجل - ومعرفة رسوله - صلى الله عليه وآله - أفضل من بغض الدنيا ،
 فان لذلك لشعباً كثيرة ، وللعاصى شعباً . فأول ما عصى الله به الكبر
 معصية ابليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين . ثم الحرص ، وهى
 معصية آدم وحواء حين قال الله - عز وجل - لها :

« فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ » (١) .

فأخذوا مالا حاجة بهما اليه ، فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيامة ،
 وذلك إن أكثر ما يطلب ابن آدم مالا حاجة به اليه . ثم الحسد، وهو معصية
 ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء ، وحب الدنيا،
 وحب الرئاسة ، وحب الراحة ، وحب الكلام ، وحب العلو والثروة ، فصرن
 سبع خصال ، فاجتمعن كلهن فى حب الدنيا. فقال الانبياء والعلماء - بعد معرفة
 ذلك - : حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا آن: دنيا بلاغ ودنيا مأمونة .

وقال الباقر عليه السلام لجابر : « يا جابر ! إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه ، يا جابر ! ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا ؟ اهل هي إلا طعام أكلته ، أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر ! إن المؤمنين لم يطمأنوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ، ولم يأمنوا قدومهم الآخرة . يا جابر ! الآخرة دار قرار ، والدنيا دار فناء وزوال ، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة ، وكان المؤمنون هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة ، لم يصممهم عن ذكر الله - جل اسمه - ما سمعوا بأذانهم ، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم (١) . وقال الصادق - عليه السلام - : « مثل الدنيا كمثل ماء البحر ، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله . » وقال : فيما ناجى الله - عز وجل - به موسى : « يا موسى ! لا تركز إلى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً وأماً . يا موسى ! لو وكلتك إلى نفسك لتنظر لها إذن لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها . يا موسى ! ناس في الخير أهله واستبقهم إليه ، فإن الخير كاسمه ، واترك من الدنيا ما بابك الغنى عنه . ولا تنظر عينك إلى كل مفتون بها وموكل إلى نفسه ، واعلم أن كل فتنة بدؤها حب الدنيا ، ولا تغبط أحداً بكثرة المال ، فإن مع كثرة المال تكثير الذنوب لو اوجب الحقوق . ولا تغبط أحداً برضى الناس عنه . حتى تعلم أن الله راض عنه ، ولا تغبطن مخلوقاً بطاعة الناس له ، فإن طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه . » وأوحى الله - تعالى - إلى موسى وهرون لما أرسلهما إلى فرعون : « لو شئت أن ازينكما بزينة من الدنيا ، يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته

(١) صححنا الحديث على الكافي في باب ذم الدنيا ، وصدر الحديث هكذا : « قال

جابر : دخلت على ابن جعفر - عليه السلام - فقال : يا جابر ! والله لبحزون ! واني لمشغول القلب ، قلت : جعلت فداك ! وما شغلك وما حزن قلبك . . . » إلى آخر الحديث .

تعبجز عما أو تيتما لفعلت ، ولسكنى أرغب لكما عن ذلك وازوى ذلك عنكما ، وكذلك افعل بأوليائى ، إني لازويهم عن نعيمها ، كما يزوى الراعى الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة ، وإني لاجنبهم عيش سلوتها ، كما يجنب الراعى الشفيق إبله عن مواقع الغرّة ، وما ذلك لهوانهم علىّ ، ولسكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالماً موفراً ، إنما يتزين لى أوليائى : بالذل والخشوع والخوف والتقوى .

وقال الكاظم - عليه السلام - : « قال ابو ذر - رحمه الله - : جزى الله الدنيا عنى مذمة بقدر رغيفين من الشعير ، اتعدى باحدهما واتعشى بالآخر ، وبعد شملتى الصوف ، اتزر باحدهما واتردى بالآخرى . وقال لقمان لابنه : « يا بنى ! بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً . » وقال له : « يا بنى ! إن الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيها ناس كثير ، فلتسكن سفينتك فيها تقوى الله - عز وجل - وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل على الله ، لعلك ناج وما اراك ناجياً . » وقال : « يا بنى ! إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم ، فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له ، وانما أنت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه أجرأ ، فاوف عملك واستوف أجرك ، ولا تسكن فى هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت فى زرع أخضر فاكلت حتى سمنت ، فكان حتفها عند سمئها ، ولسكن اجمل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ، ولم ترجع اليها آخر الدهر ، أخرجها ولا تعمر ، فانك لم تؤمر بهارتها ، واعلم أنك ستسأل غداً اذا وفقت بين يدى الله - عز وجل - عن أربع : شبابك فيما أبليتة ، وعمرك فيما أفنيتة ، ومالك مما أكتسبته . وفيما أنفقتة ، فتأهب لذلك ، وأعد له جواباً ، ولا تأس على ما فانك من الدنيا . فان قليل الدنيا لا يدرم بقاؤه ، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه ، فخذ حذرک وجدّ فى أمرک ، واكشف الغطاء عن وجهك ، وتعرض لمعروف ربك ، وجدد التوبة فى

قلبك ، واكش في فراغك قبل أن يقصد قصدك ، ويقضى قضاؤك ، ويحال بينك وبين ما تريد .

وقال بعض الحكماء : « الدنيا دار خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها . والجنة دار عمران ، وأعمر منها قلب من يعمرها . » وقال بعضهم : « الدنيا لمن تركها ، والآخرة لمن طلبها . » وقال بعضهم : « إنك إن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ، ويكون له أهل بعدك ، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداً يوم ، فلا تمك نفسك في أكلة ، وصم الدنيا ، وافطر على الآخرة ، فان رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار . »

وقال بعض أكابر الزهاد : « الدنيا تخلق الابدان ، وتجدد الآمال ، وتقرب المنية ، وتبعد الأمنية ، ومن ظفر بها تعب ، ومن فاتته نصب . » وقال بعضهم : « ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد التزق به شيء يسؤك . » وقال آخر : « لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما امل ، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه . » وقال حكيم : « كانت الدنيا ولم اكن فيها ، وتذهب ولا أكون فيها ، فكيف اسكن اليها ؟ فان عيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، إما بنعمة زائلة ، أو بلية نازلة ، أو منية قاضية . » وقال بعض العرفاء : « الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً ، فيجىء في طلبك ويأخذك . »

وقال بعضهم : « لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى ، لكان ينبغي أن يختار العاقل خزفاً يبقى على ذهب يفنى ، فكيف والآخرة ذهب يبقى والدنيا أدون من خزف يفنى ؟ » وقد ورد : « أن العبد اذا كان معظماً للدنيا ، يوقف يوم القيامة ، ويقال : هذا عظم ما حقره الله . » وروى : « أنه لما بعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أتت ابليس جنوده ،

فقالوا : قد بعث نبي واخرجت أمة ، قال : يحبون الدنيا ؟ قالوا : نعم !
قال : إن كانوا يحبونها ما أبالي ألا يعبدوا الأوثان ، وأنا اغدو عليهم
واروح بثلاثة : أخذ المال من غير حقه ، وانفاقه في غير حقه ، وامساكه
عن حقه ، والشر كله لهذا تبع . . وروى : « انه أوحى الله تعالى الى
بعض انبيائه : احذر مقتك ، فتسقط من عيني ، فاصب عليك الدنيا صبا . .
وقال بعض الصحابة : « ما اصبح أحد من الناس في الدنيا إلا وهو ضيف ،
وماله عارية . فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة . . وقال بعضهم : « إن
الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن ، وجزء للمنافق ، وجزء
للكافر . فالمؤمن يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع . . وقيل :
« من أقبل على الدنيا احرقته نيرانها حتى يصير رماداً ، ومن أقبل على
الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها ، ومن أقبل على الله
سبحانه ، احرقته نيران التوحيد ، فصار جوهراً لاخذ لقيمته . .
وقيل أيضاً : « العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبني قبره
قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل ان يلقاه . . وسأل بعض الامراء رجلاً
بلغ عمره مائتي سنة عن الدنيا ، فقال : « سنيات بلاء ، وسنيات رخاء ،
يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد ولد ، ويهلك هالك ، فلولا المولود باد
الخلق ، ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له الأمير : سل ماشئت ،
قال : « اريد منك أن ترد علي ما مضى من عمري ، وتدفع عني ما حضر
من أجلي ، قال : لا أملك ذلك ، قال : « فلا حاجة لي اليك . .

والاخبار والآثار في ذم الدنيا وحبها ، وفي سرعة زوالها وعدم
الاعتبار بها ، وفي هلاك من يطلبها ويرغب اليها ، وفي ضديتها للآخرة ،
أكثر من أن تحصى . وما ورد في ذلك من كلام أئمتنا الراشدين ،

(لا) سيما عن مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليهم أجمعين الى يوم الدين - فيه بلاغ لقوم زاهدين. ومن تأمل في خطب علي عليه السلام ومواعظه - كما في نهج البلاغة وغيره - يظهر له خساسة الدنيا ورذالتها . وقضية السؤال والجواب بين روح الأمين ونوح في كيفية سرعة زوال الدنيا مشهورة ، وحكاية مرور روح الله على قرية هلك أهلها من حب الدنيا معروفة (١) . ولعظم آفة الدنيا وحقارتها ومهانتها عند الله ، لم يرضها لأحد من أوليائه ، وحذرهم عن غوائلها ، فترهدوا فيها وأكلوا منها قصداً ، وقدموا فضلاً ، أخذوا منها ما يكفي ، وتركوا ما يلهي . لبسوا من الثياب ما ستر العورة ، وأكلوا من الطعام ما سد الجوع . نظروا الى الدنيا بعين أنها فانية ، والى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا منها كزاد الراكب ، فخرّبوا الدنيا وعمرّوا بها الآخرة ، ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعملوا أنهم سينظرون اليها باعينهم ، فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بآبائهم . صبروا قليلاً ونعموا طويلاً .

فصل

(خسائس صفات الدنيا)

اعلم أن الدنيا صفات خسيسة قد مثلت في كل صفة بما تماثلها فيها :
فمثالها في سرعة الفناء والزوال وعدم الثبات : مثل النبات الذي اختلط به ماء السماء فاخضر ، ثم اصبح هشياً تذروه الرياح ، أو كتزلزلته ثم ارتحلت عنه ، أو كتقنطرة تعبر عنها ولا تمسك عليها . وفي كونها مجرد الوهم والخيال ، وكونها مما لا أصل لها ولا حقيقة ، كنف الظلال ،

(١) ذكرها (الكناني) عن أبي عبد الله الصادق (ع) في باب حب الدنيا بتامها .

أو خيالات المنام وأضغاث الأحلام ، فإنك قد تجرد في منامك ما تهواه ،
فاذا استيقظت ليس معك منه شيء .

وفي عداوتها لأهلها وأهل آكلها أيام : بامرأة تزينت للخطاب ، حتى اذا
نكحتهم ذبحتهم . فقد روى : « أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا ، فرآها في
صورة عجوز شماء هتاء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت :
لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم
قتلت ، فقال عيسى - عليه السلام - : بؤساً لزوجك الباقين ، كيف
لا يعتبرون بالماضين ؟ كيف تهلكينهم واحد واحداً ولا يكونون منك
على حذر ؟ » .

وفي مخالفة باطنها لظاهرها : كعجوز متزينة تحدد الناس بظاهرها .
فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ، ظهرت لهم قبايحها .
روى : « أنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شماء زرقاء ، انيابها
بادية ، مشوه خلقها ، فتشرف على الخلائق ، ويقال لهم : تعرفون هذه ؟
فيقولون : نعموذ بالله من معرفة هذه ! فيقال : هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها ،
وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغررتم ، ثم يقذف بها في
جهم ، فتنادى : أي رب أين اتباعي وأشياعي ؟ فيقول الله - عز وجل - :
ألقوا بها اتباعها وأشياعها . » .

وفي قصر عمرها لسكل شخص بالنسبة الى ما تقدمه من الأزل وما
يتأخر عنه من الأبد : كمثل خطوة واحدة ، بل أقل من ذلك ، بالنسبة
الى سفر طويل ، بل بالنسبة الى كل مسافة الأرض اضعافاً غير متناهية .
ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ، ولم يبالي كيف انقضت أيامه في
ضيق وضره أو في سعة ورفاهية ، بل لا يبني لبنة على لبنة . توفي سيد

الرسول ﷺ وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبه على قصبه . ورأى بعض أصحابه يبني بيتاً من جص ، فقال : « أرى الأمر أعجل من هذا ، . والى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال : « الدنيا قنطرة ، فاعبروها ولا تعمروها ، . وفي نعومة ظاهرها وخشونة باطنها : مثل الحية التي يلين مسها ويقتل سمها .

وفي قلة ما بقي منها بالاضافة الى ما سبق : مثل ثوب شق من أوله الى آخره ، فبقي متعلقاً في آخره ، فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع . وفي قلة نسبتها الى الآخرة : كمثل ما يجعل احد اصبعه في اليم ، فلينظر بم يرجع اليه من الاصل .

وفي تأدية علائقها بعض الى بعض حتى ينجر الى الهلاك : كما البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله .

وفي تأدية الحرص عليها الى الهلاك غماً : كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لغماً كان ابعدها من الخروج حتى تموت غماً .

وفي تعذر الخلاص من تبعاتها واستحالة عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فيها : كالماشى في الماء ، فإنه يمتنع ألا تبتل قدماه .

وفي نضارة أولها وخبائثة عاقبتها : كالأطعمة التي تؤكل ، فكما أن الطعام كلما كان الذ طعماً واكثر دسومة كان رجيحه اقدر واشد نتناً ، فكذلك كل شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب اشهى واقوى ، فنتنها وكرهيتها والتأذى بها عند الموت أشد ، وهذا مشاهد في الدنيا . فإن المصيبة والألم والتفجع في كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده وحرصه عليه وحببه له ، ولذا ترى أن من نهبت داره واخذت اهله واولاده ، يكون تفجعه وألمه أشد مما اذا اخذ عبده من عبيده ، فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ ،

فهو عند الفقد أدهى وأمر ، وما لل موت معنى إلا فقد ما في الدنيا .
 وفي تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها : مثل طبق ذهب عليه بخور
 ورياحين ، في دار رجل هيأه فيها ، ودعا الناس على الترتيب واحداً بعد
 واحد ليدخلوا داره ، ويشمه كل واحد وينظر اليه ، ثم يتركه لمن يلحقه ،
 لا ليتملكه ويأخذه ، فدخل واحد وجعل رسمه ، فظن أنه قد وهب ذلك
 له ، فتعلق به قلبه ، لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر وتألم ، ومن
 كان عالماً برسمه انتفع به وشكره وردّه بطيب قلب وانسراح صدر . فكذلك
 من عرف سنة الله في الدنيا ، علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لينتفعوا
 بما فيها ، كما ينتفع المسافر بالعواري ، ثم يتركوها ويتوجهوا الى مقصدهم
 من دون صرف قلوبهم اليها ، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها ، ومن جهل
 سنة الله فيها ، ظن أنها مملوكة له ، فيتعلق بها قلبه ، فلما اخذت منه
 عظمت بليته واشتدت مصيبته .

وفي اغترار الخلق بها وضعف ايمانهم بقوله تعالى في تحذيره إياهم
 غوائلها : كفازة غبراء لا نهاية لها ، سلكوها قوم وتاهوا فيها بلا زاد
 وماء وراحلة ، فأيقنوا بالهلاك ، فبيناهم كذلك إذ خرج عليهم رجل وقال :
 أرأيتم إن هديتكم الى رياض خضر وماء رواء ما تعملون ؟ قالوا : لا نعصيك
 في شيء . فأخذ منهم عهداً وموآثيق على ذلك ، فأوردهم ماء رواء ورياضاً
 خضراء ، فمكث فيهم ما شاء الله ، ثم قال : الرحيل ! قالوا : الى أين ؟
 قال : الى ماء ليس كائسكم ، والى رياض ليست كرياضكم . فقال اكثرهم :
 لا نريد عيشاً خيراً من هذا ، فلم يطيعوه . وقالت طائفة - وهم الأقلون - :
 ألم تعطوا هذا الرجل عهدكم وموآثيقكم بالله ألا تعصوه ، وقد صدقكم في
 أول حديثه ؟ فوالله إنه صادق في هذا الكلام أيضاً ! فاتبعه هذا الأقل ،

فذهب فيهم إلى أن أوردتهم في ماء ورياض أحسن بمراتب شتى مما كانوا فيه أولاً ، وتخلف عنه الأكثرون ، فبدرهم عدو ، فأصبحوا من بين قتيل وأسير .

تنبيه

(تشبيهات الدنيا وأهلها)

قد شبه بعض الحكماء حال الانسان واغتراره بالدنيا ، وغفلته عن الموت وما بعده من الأحوال ، وانهماكة في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات : بشخص مدلى في بئر ، مشدود وسطه بحبل ، وفي أسفل ذلك البئر شعبان عظيم متوجه إليه ، منتظر سقوطه ، فاتح فاه لا لتقامه ، وفي أعلى ذلك البئر جردان أبيض وأسود ، لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ، ولا يفتران عن قرضه أنا من الآنات ، وذلك الشخص ، مع أنه يرى ذلك الشعبان ويشاهد انقراض الحبل أنا فأنا ، قد أقبل على قليل عسل قد لطح به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمعت عليه زنابير كثيرة ، وهو مشغول بلطمه منهمك فيه ، ملتذ بما أصاب منه ، مخاصم لتلك الزنابير عليه ، قد صرف باله باجمعه الى ذلك ، غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته . فالبئر هو الدنيا ، والحبل هو العمر ، والشعبان الفاتح فاه هو الموت ، والجرذان الليل والنهار القارضان للعمر ، والعسل المختلطة بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام ، والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها .

وشبه بعض العرفاء الدنيا وأهلها ، في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الآخرة ، وحسراتهم العظيمة بعد الموت ، من فقدهم نعيم الجنة بسبب انهمارهم في خسائس الدنيا : يقوم ركبوا السفينة ، فانتهمت بها الى جزيرة ، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة ، وحذرهم المقام فيها ، وخوفهم مرور

السفينة واستعجالها ، فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، ففقد بعضهم حاجته ، وبادر الى السفينة ، فصادف المقام خالياً ، فأخذ أوسع الأماكن وأوفقها بمراده . وبعضهم توقف في الجزيرة ، واشتغل بالنظر الى أزهارها وانوارها واشجارها واحجارها ونفحات طيورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة ، فرجع اليها ، فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً ، فاستقر فيه . وبعضهم ، بعد التنبيه لخطر مرور السفينة ، لما تعلق قلبه ببعض احجار الجزيرة وازهارها وثمارها ، لم تسمح نفسه باهمالها ، فاستصحب منها جملة ورجع الى السفينة ، فلم يجد فيها إلا مكاناً ضيقاً لا يسعه إلا بالتكلف والمشقة ، وليس فيه مكان لوضع ما حمله ، فصار ذلك ثقلاً عليه ووبالاً ، فندم على أخذها ، ولم يقدر على زميلها ، فحملها في السفينة على عنقه متأسفاً على أخذها . وبعضهم اشتغل بمشاهدة الجزيرة ، بحيث لم يتنبه اولاً من خطر مرور السفينة ومن نداء الملاح ، حتى امتلأت السفينة ، فتنبه أخيراً ورجع اليها ، مثقلاً بما حمله من احجار الجزيرة وحشائشها ، ولما وصل إلى شاطئ البحر سارت السفينة ، أو لم يجد فيها موضعاً أصلاً ، فبق على شاطئ البحر . وبعضهم لكثرة الاشتغال بمشاهدة الجزيرة وما فيها نسوا المركب بالمرّة ، ولم يبلغهم النداء اصلاً ، لكثرة انغماسهم في أكل الثمار وشرب المياه والتنسّم بالانوار والأزهار والتفرج بين الاشجار ، فسارت السفينة وبقوا في الجزيرة من دون تنبيههم بخطر مرورها ، فتفرقوا فيها ، فبعضهم نهشته العقارب والحيات ، وبعضهم افتقرسته السباع ، وبعضهم مات في الأوحال ، وبعضهم هلك من الندامة والحسرة والغصة . وأما من بقى على شاطئ البحر فمات جوعاً ، وأما من وصل الى المركب مثقلاً بما اخذه ، فشغله الجزن بحفظها والخوف من فوتها ، وقد ضيق عليه مكانه ، فلم يلبث ان ذابت ما اخذه من

الأزهار ، وعفنت الثمار ، وكمدت الوان الأحجار ، فظهرت نين رائحتها ، فتأذى من نين رائحتها ولم يقدر على القائها في البحر لصيرورتها جزءاً من بدنه ، وقد أثر فيه ما أكل منها ، ولم ينته الى الوطن إلا بعد احاطة الامراض والأسقام عليه لأجل ما لم ينفك عنه من النين ، فبلغ اليه سقيماً مدنفأ ، فبقي على سقمه ابدأ ، او مات بعد مدة . واما من رجع الى المركب بعد تضيق المسكن ، فإفاته إلا سعة المحل ، فتأذى بضيق المسكن مدة ، ولا يمكن لما وصل الى الوطن استراح ، ومن رجع اليه اولاً ووجد المسكن الأوسع فلم يتأذ من شيء اصلاً ووصل إلى الوطن سالماً . فهذا مثال اصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ، ونسيانهم وطنهم الحقيقي ، وغفلتهم عن عاقبة امرهم . وما اقبح بالعاقل البصير ان تغره بأحجار الأرض وهشيم النبات ، مع مفارقتها عند الموت وصيرورته كلاً ووبالاً عليه .

فصل

(عاقبة حب الدنيا وبغضها)

اعلم انه لا يبلغ مع العبد عند الموت إلا صفاء القلب ، اعنى طهارته عن ادناس الدنيا وحبه لله وانسه بذكره ، وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا ، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ، والمعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكرة ، والانس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه ، وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدت بعد الموت ، وهي الباقيات الصالحات .

أما طهارة القلب عن ادناس الدنيا ، فهي الجنة بين العبد وبين عذاب الله ، كما ورد في الخبر : « ان اعمال العبد تناضل عنه ، فإذا جاء العذاب من قبل رجله جاء قيام الليل يدفع عنه ، وإذا جاء من قبل يديه جاءت

الصدقة تدفع عنه . . . الحديث .

وأما الحب والانس ، فهما يوصلان العبد الى لذة المشاهدة واللقاء . وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة ، وكيف لا يصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غاية البهجة ونهاية اللذة بمشاهدة جمال الحق ، ولا يكون القبر عليه روضة من الرياض الخلد ، ولم يكن له إلا محبوب واحد ، وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله ، وبالموت ارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسروراً سالماً من الموانع آمنة من الفراق ؟ وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت مهذباً ولم يكن له محبوب إلا الدنيا ، وقد غصبت منه وحيل بينه وبينها ، وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ؟ وليس الموت عدماً ، إنما هو فراق لمحباب الدنيا وقدم على الله ، فإذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث ، وهي : الذكر ، والفكر ، والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها . وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن ، وصحة البدن لا تنال إلا بانقوت والملبس والمسكن ، ويحتاج كل واحد إلى أسباب ، فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة ، وإن اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها . إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لجذاب الله في الآخرة ، وسمى ذلك حراماً ، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ، ويسمى ذلك حلالاً . والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً .

عذاب ، فمن فوَّش في الحساب عذب ، ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « في حلالها حساب وفي حرامها عقاب » . بل لو لم يكن الحساب ، لكان ما يفوت عن الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بمحظوظ حقيرة خسيصة لا بقاء لها ، هو أيضاً عذاب . ويرشدك إلى ذلك حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك ، وقد سبقوك إلى السعادات الدنيوية ، كيف ينقطع قلبك عليها حسرات ، مع علمك بأنها سعادات متصرمة لا بقاء لها ، ومنغصة بكدورات لاصفاء لها ، فما جالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الأذهان والدهور دون غايتها ؟ وكل من تنعم في الدنيا ، ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو بشربة ماء بارد ، فهو ينقص من حظه في الآخرة ، والتعرض لجواب السؤال فيه ذل ، وحذر ، وخوف ، وخطر ، وخجل ، وانكسار ، ومشقة ، وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ .

فالدنيا - قليلها وكثيرها ، حلالها وحرامها - ملعونة ، إلا ما أعان على تقوى الله ، فان ذلك القدر ليس من الدنيا ، وكل من كانت معرفته أقوى واتم كان حذره من نعيم الدنيا أشد وأعظم ، حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رمى به ، إذ تمثل له إبليس وقال : رغبت في الدنيا . وحتى أن سليمان - عليه السلام - في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير ، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدة ، فان الصبر من لذيذ الأطعمة مع وجودها أشد . ولذا زوى الله - تعالى - الدنيا على نبينا - صلى الله عليه وآله - فكان يطوى أياماً ، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ، ولهذا سلط الله المحن والبلاء على الأنبياء والأولياء ، ثم الامثل فالأمثل في درجات العلي . كل ذلك نظراً

لهم وامتناناً عليهم ، ليتوفر من الآخرة حظهم ، كما يمنع الوالد المشفق ولده لذات الفواكه والأطعمة ويلزمه الفصد والحجامة ، شفقة عليه وحباً له لا بخلاً به عليه . وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا .

ثم الأشياء على أقسام ثلاثة :

(الأول) ما لا يتصور أن يكون لله ، بل من الدنيا صورة ومعنى ، وهي انواع المعاصي والمحظورات واصناف التمتع بالمباحات ، وهي الدنيا المحضة المذمومة على الاطلاق .

(الثاني) ما صورته من الدنيا ، كالأكل والنوم والنكاح وأمثالها ، ويمكن أن يجعل معناه لله ، فإنه يمكن أن يكون المقصود منه حظ النفس ، فيكون معناه كصورته أيضاً من الدنيا ، ويمكن أن يكون المقصود منه الاستعانة على التقوى ، فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من طلب من الدنيا حلالاً مكثراً مقاخراً لقي الله وهو عليه غضبان ، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاميوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر » .

(الثالثة) ما صورته لله ، ويمكن ان يجعل معناه من الدنيا بالقصد ، وهو ترك الشهوات ، وتحصيل العلم ، وعمل الطاعات والعبادات . فهذه الثلاث اذا لم يكن لها باعث سوى أمر الله واليوم والآخر فهي لله صورة ومعنى ، ولم تسكن من الدنيا أصلاً ، وان كان الغرض منها حفظ للمال والحمية والاشتهار بالزهد والتورع وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة صار من الدنيا معنى وان كان يظن بصورته أنه لله .

ومنها :

حب المال

وهو من شعب حب الدنيا، إذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل، والمال بعض اجزاء الدنيا، كما ان الجاه بعضها، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها، وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها، والكبر وطلب العلو بعضها.

وبالجملة : لها أبعاض كثيرة يجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل، فأفات الدنيا كثيرة الشعب والارجاء، واسعة الأرجاء والاكثاف، ولكن أعظم آفاتنا المتعلقة بالقوة الشهوية هو (المال)، اذ كل ذى روح محتاج اليه ولا غناء له عنه، فإن فقد حصل الفقر الذى يكاد أن يكون كفرًا، وإن وجد حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبة أمره إلا خسرًا، فهو لا يخلو من فوائد وآفات، وفوائده من المنجيات وآفاته من المهلكات، وتميز خيرها وشرها من المشكلات، إذ من فقده تحصل صفة الفقر، ومن وجوده تحصل صفة الغناء، وهما حالتان يحصل بهما الامتحان.

ثم (للقاقد) حالتان : القناعة، والحرص. واحدهما محمودة والآخرى مذمومة. و(للحريص) حالتان : تشمر للحرف والصنائع مع اليأس عن الخلق، وطمع بما فى ايديهم. واحدى الحالتين شر من الآخرى. و(للواعد) حالتان : امسك، وانفاق. واحدهما مذموم والآخر ممدوح. و(للمنفق) حالتان : اسراف، واقتصاد. والاول مذموم والثانى ممدوح. وهذه امور متشابهة لا بد أولًا من تمييزها، ثم الأخذ بمحمودها والترك لمذمومها، حتى تحصل النجاة من غوائل المال

وفتنتهما . ومن هنا قال بعض الأَكابر : الدرهم عقرب ، فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه ، فانه إن لدغك قتلك سيمه . قيل وما رقيته ؟ قال : أخذه من حله ، ووضعاه في حقه .

فصل

(ذم المال)

الكتاب والسنة متظاهران في ذم المال وكرهه حبه ، قال الله سبحانه :
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ
 وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » (١) . وقال : « وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا
 أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » (٢) . وقال : « الْمَالُ
 وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... » الآية (٣) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « حب المال والشرف ينبتان
 النفاق ، كما ينبت الماء البقل . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما ذئبان
 ضاريان أرسلتا في زريبة غنم باكثر فساداً من حب المال والجاه في دين الرجل
 المسلم ، » وقال : « شر امتي الأغنياء . » وقال - صلى الله عليه وآله - :
 « يقول الله - تعالى - : يا ابن آدم ! مالي ، مالي ، اوهل لك من مالك إلا ما تصدقت
 فامضيت ، أو أكلت فافنيت ، أو لبست فأبليت ؟ » وقال صلى الله عليه وآله :

(٣) الكهف ، الآية : ٤٧ .

(١) المنافقون ، الآية : ٩ .

(٢) الانفال ، الآية : ٢٨ .

د أخلاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه إلى قبض روحه وهو ماله ، وواحد يتبعه إلى قبره وهو أهله ، وواحد يتبعه إلى محشره وهو عمله . . وقال عليه السلام : د يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه ، كلما يكفأ به الصراط قال له ماله : امض وقد أدبت حق الله في . ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كفيه ، كلما يكفأ به الصراط قال ماله : ويلك ! ألا أدبت حق الله في ؟ . . . فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل . . وقال عليه السلام : د إن الدينار والدرهم أهلكما من كان قبلكم ، وهما مهلكاكم . . وقال عليه السلام : د لكل أمة ، عجل ، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم . . وقال عليه السلام : د يؤتى برجل يوم القيامة ، وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام . فيقال : اذهبوا به إلى النار . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام ، فيقال : اذهبوا به إلى النار . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال ، فيقال : اذهبوا به إلى النار . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال ، فيقال له : قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها ، وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها ، فيقول : لا يارب اكسبت من حلال وانفقت في حلال ، ولم اضيع شيئاً مما فرضت ، فيقال : لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به ، فيقول : لا يارب ! لم اختل ولم أباه في شيء ، فيقال : لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فيقول : لا يارب ! لم اضيع حق احد أمرتى أن اعطيه . فيجىء أو آئتك فيخاصمونه ، فيقولون : يارب . اعطيته واغنيتته وجعلته بين أظهرنا وامرته أن يعطينا ، فان كان قد اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء ، فيقال : قف الآن هات شكر نعمته أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة . . فلا يزال يسأل . .

فليت شعري — يا اخي — ان الرجل الذي فعل في الحلال ، وأدى الفرائض بحدودها ، وقام بالحقوق كلها ، اذا حوسب بهذه المحاسبة ، فكيف يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا ونخاليطها ، وشبهاتها وشهواتها وزينتها ، فيا لها من مصيبة ما أفضعها ، ورزية ما أجلمها ، وخسرة ما أعظمها ! لا ندرى ما تفعل بنا الدنيا غداً في الموقف عندى يدي الجبار .

ولخوف هذا الخطر قال بعض الصحابة : « ما يسرنى ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ، ولم يشغلنى المكسب عن صلاة الجماعة ، ، قالوا له : ولم ذلك رحمتك الله ؟ قال : « لاني غنى عن مقامى يوم القيامة ، فيقول الله : عبدى من أين اكتسبت وفى أى شيء انفقت ؟ ، .

فينبغي لكل مؤمن تقي ألا يتلبس بالدنيا ، فيرضى بالكيف ، وإن كان معه فضل فليقدمه لنفسه ، إذ لو بقى بعده لكان له مفسد وآفات . روى : « أنه قال رجل : يا رسول الله ، ما لي لا أحب الموت ؟ فقال : هل معك من مال ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : قدم مالك امامك ، فان قلب المؤمن مع ماله ، إن قدمه احب أن يلاحقه ، وإن خلفه احب ان يتخلف معه ، . ووضع أمير المؤمنين - عليه السلام - درهما على كفه ، ثم قال : « أما انك ما لم تخرج عنى لا تنفنى ، . وروى : « ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ، ثم وضعهما على جبهته ، ثم قبلهما وقال : من احبكما فهو عبدى حقاً ، . وقال عيسى عليه السلام : « لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا ، فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم ، . وقال بعض الاكابر : « مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته ، ، قيل : وما هما ؟ قال : « يؤخذ منه كله ، ويسأل عنه كله ، .

ثم جميع ماورد فى ذم الغنى ومدح الفقر — كما يأتى بعضه — ، وجميع

ما ورد في ذم الدنيا — كما تقدم بعضه — يتناول ذم المال ، لأنه أعظم
اركان الدنيا .

فصل

(الجمع بين ذم المال ومدحه)

اعلم أنه كما ورد ذم المال في الآيات والأخبار ورد مدحه فيهما أيضاً ،
وقد سماه الله خيراً في مواضع ، فقال :

« إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ... » (١) . وقال في مقام

الامتنان : « وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْ يَجْعَلَ

لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا » (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « نعم المال الصالح للرجل
الصالح ، وكل ما جاء في ثواب الصدقة ، والضيافة ، والسخاء ، والحج ،
وغير ذلك مما لا يمكن الوصول إليه إلا بالمال ، فهو ثناء عليه .

ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذامة هو : أن المال قد يكون
وسيلة إلى مقصود صحيح هو السعادة الآخروية ، إذ الوسائل اليها في الدنيا
ثلاث ، وهى : الفضائل النفسية ، والفضائل البدنية ، والفضائل الخارجية
التي عمدتها المال . وقد يكون وسيلة إلى مقاصد فاسدة ، وهى المقاصد
الصادئة عن السعادة الآخروية والحياة الأبدية ، والصادئة سبيل العلم والعمل .
فهو إذن محمود ومذموم بالإضافة الى المقصودين . فالظواهر الذامة محمولة على
صورة كونه وسيلة إلى مقاصد فاسدة ، والمادحة على صورة كونه وسيلة الى

(١) البقرة ، الآية : ١٨٠ .

(٢) نوح ، الآية : ١٢ .

مقاصد صحيحة . ولما كانت الطبائع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله ، وكان المال مسهلاً لها وآلة إليها ، عظم الخطر في ما يزيد على قدر الكفاية ، فاستعاذ طوائف الأنبياء والأولياء من شره ، حتى قال نبينا ﷺ : « اللهم اجعل قوت آل محمد كقافاً » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اللهم احيني مسكيناً وأمتي مسكيناً » .

فصل

(غوائل المال وفوائده)

قد ظهر بما ذكر : أن المال مثل حية فيها سم وترياق ، فغوائله سمه ، وفوائده ترياقه ، فمن عرفها أمكنه أن يحترز من شره ويستدر منه خيره .
ولبيان ذلك نقول : إن غوائله اما دنيوية أو دينية :
والدنيوية : هي ما يقاسيه أرباب الأموال : من الخوف ، والحزن ، والهلم ، والنعم ، وتفرق خاطر ، وسوء العيش ، والتعب في كسب الأموال وحفظها ، ودفع الحساد وكيد الظالمين ، وغير ذلك .
والدينية : ثلاثة انواع :

اولها - ادائه إلى المعصية . إذ المال من الوسائل إلى المعاصي ، ونوع من القدرة المحركة لداعيتها . فاذا استشعرها الانسان من نفسه ، انبعثت الداعية ، واقتحم في المعاصي ، وارتكب أنواع الفجور . ومهما كان آيساً عن القدرة لم يتحرك داعية اليها . إذ العجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ، ومن العصمة ألا يقدر ، وأما مع القدرة ، فإن اقتحم ما يشتميه هلك ، وإن صبر وقع في شدة . إذ الصبر مع القدرة أشد ، وفتنة السراء من فتنة الضراء أعظم .

وثانيها — أداؤه إلى التنعم في المباحات . فإن الغالب أن صاحب المال يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه ، فيصير التنعم محبوباً عنده مألوفاً ، بحيث لا يصبر عنه ، ويجره البعض منه إلى البعض . وإذا اشتد إلفه به وصار عادة له ، ربما لم يقدر عليه من الحلال ، فيقتحم في الشبهات ويخوض في المحرمات : من الخيانة ، والظلم ، والغصب ، والرياء ، والكذب ، والنفاق ، والمداهنة ، وسائر الأخلاق المهلكة ، والأشغال الرديئة ، لينتظم أمر دنياه ويتيسر له تنعمه . وما أقل لصاحب الثروة والمال ألا يصير التنعم مألوفاً له ، إذ متى يقدر أن يقنع بحبز الشعير ولبس الخشن وترك لذىذ الأطعمة بأسرها ، وإنما ذلك شأن نادر من أولى النفوس القوية القدسية ، كسليمان بن داود عليه السلام وأمثاله . على أن من كثير ماله كثرت حاجته إلى الناس ، ومن احتاج إلى الناس فلا بد أن ينافقهم ويسخط الله في طلب رضاهم ، فإن سلم من الآفة الأولى ، أعنى مباشرة المحرمات ، فلا يسلم من هذه أصلاً . ومن الحاجة إلى الناس ثور العداوة والصدقة ، ويحصل الحقد ، والحسد ، والكبر ، والرياء ، والكذب ، والغيبة ، والبهتان ، والنميمة ، وسائر معاصي القلب واللسان ، وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وأصلحه .

وثالثها — وهو الذي لا ينفك عنه أحد من أرباب الأموال ، وهو أنه يليه إصلاح ماله وحفظه عن ذكر الله تعالى ، وكل ما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ووبال . ولذا قال روح الله عليه السلام : « في المال ثلاث آفات ، إن يأخذه من غير حله ، ، فقيل : إن أخذه من حله ؟ قال : « يضعه في غير حقه ، ، فقيل : إن وضعه في حقه ؟ فقال : « يشغله إصلاحه عن الله ، . وهذا هو الداء العضال ، إذ أصل العبادات وروحها وحقيقتها

هو الذكر والفكر في جلال الله تعالى ، وذلك يستدعى قلباً فارغاً . وصاحب الضيعة يصبح ويمسى متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبتها وخيانتها ، ومنازعة الشركاء وخصومتهم في الماء والحدود ، وخصومة أعوان السلطان في الخراج ، وخصومة الاجراء في التقصير في المهارة وغير ذلك . وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة الشركاء وانفرادهم بالربح وتقصيرهم في العمل وتضييعهم المال ، ويكون غالباً في بلاد الغربة متفرق الهم محزون القلب من كساد ما يصحبه من مال التجارة . وكذلك صاحب المواشي وغيره من أرباب أصناف الأموال . وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنون تحت الأرض ، وصاحبه أيضاً لا يزال متفكراً متردداً فيما يصرف اليه ، وفي كيفية حفظه ، وفي الخوف ممن يعثر عليه ، وفي دفع طمع الخلق منه . وبالجملة : اودية افكار أهل الدنيا لا نهاية لها ، والذي ليس معه إلا قوت يومه أوسنته ، ولا يطلب أزيد من ذلك ، فهو في سلامة من جميع ذلك .

وأما فوائده : فهي أيضاً دنيوية ودينية :

أما الدنيوية : فهي ما يتعلق بالحظوظ العاجلة : من الخلاص من ذل السؤال ، وحقارة الفقر ، والوصول الى العز والمجد بين الخلق ، وكثرة الاخوان والأصدقاء والاعوان ، وحصول الوقار والكرامة في القلوب .

وأما الدينية : فتلاثة انواع :

اولها - أن ينفقه على نفسه في عبادة ، كالحج والجهاد ، أو فيما يقوى على العبادة ، كالمطعم والملبس والمسكن .

وثانيها - أن يصرفه الى اشخاص معينة : كالصدقة ، والمروة ، ووقاية العرض ، واجرة الاستخدام . وأما الصدقة بانواعها ، فلا يحصى ثوابها ، وربما نشير الى فضيلتها في موضعها . وأما المروة ، ونعني بها صرف

المال الى الأغنياء والأشراف في ضيافة أو هدية أو إعانة وما يجرى مجراها مما يكتسب به الاخوان والاصدقاء ويجلب به صفة الجود والسخاء ، إذ لا يتصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمرورة، فلا ريب في كونه مما يعظم ثوابه . فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام، من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها. وأما وقاية العرض ، ونعى بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء ، وهجو الشعراء ، وقطع أسنة الفاحشين والمغتربين ، ومنع شر الظالمين وامثال ذلك ، فهو أيضاً من الفوائد الدينية . قال رسول الله ﷺ : « ما وقي المرء به عرضه فهو له صدقة » . وأما اجرة الاستخدام ، فلا ريب في اعانته على أمور الدين ، إذ الأعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهميته اسبابه كثيرة ، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته ، وتعدر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ، ومن لا مال له يحتاج أن يتولى بنفسه جميع الاعمال التي يحتاج اليها في الدنيا ، حتى نسخ الكتاب الذي يفتقر اليه ، وكلما يتصور أن يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران وندامة .

وثالثها — أن يصرفه الى غير معين يحصل به خير عام ، وهي الخيرات الجارية : من بناء المساجد ، والمدارس ، والقناطر ، والرباطات ، ونصب الخشبات في الطرق ، واجراء القنوات ، ونسخ المصاحف والمكتب العلمية ، وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة ، الدائرة بعد الموت ، المستجلية ببركة أدعية الصالحين إلى اوقات متبادية .

فصل

(الأمور المنجية من غوائل المال)

من أراد النجاة من غوائل المال ، فليحافظ على أمور :

الأول - أن يعرف مقصود المال وباعث خلقه وعلّة الاحتياج إليه ، حتى لا يكتسب ولا يحفظ إلا قدر حاجته .

الثاني - أن يراعى جهة دخله ، فيجتنب الحرام والمشتبه ، والجهات المكروهة القادحة في المروءة والحرية ، كالهدايا المشوبة بالرشوة ، والسؤال الذي فيه الانكسار والذلة .

الثالث - أن يراعى جهة الخرج ، ويقتصد في الانفاق ، غير مبذر ولا مقتر . قال الله تعالى :

« وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » (١).

وقال النبي ﷺ : « ما عال من اقتصد » . ثم للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلاث : أدنى وأوسط وأعلى ، وربما كان الميل إلى الأولى أحرى وأولى ، ليدخل في زمرة الخفين يوم القيامة .

الرابع - أن يضع ما اكتسبه من حله في حقه ، ولا يضعه في غير حقه ، فإن الأثم في الأخذ من غير حله والوضع في غير حقه سواء .

الخامس - أن يصلح نيته في الأخذ والترك والانفاق والامساك ، فإذا أخذ ما أخذ استعانة به على ما خلق لأجله ، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاقاً له واجتناباً عن وزره وثقله ، وإذا فعل ذلك لم يضره وجوده . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد ، ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد » .

فينبغي لكل مؤمن أن يكون باعث جميع أفعاله التقرب إلى الله ليصير

الجميع عبادة . فإن أبعاد الأفعال عن العبادة الأكل والوقاع وقضاء الحاجة ،
ويصير بالقصد عبادة . فمن أخذ من المال ما يحتاج اليه في طريق الدين ،
وبذل ما فضل منه على اخوانه المؤمنين ، فهو الذى أخذ من حية المال
ترياقها ، واتقى سمها ، فلا تضره كثرة المال . إلا أنه لا يتأتى ذلك إلا لمن
كثرت عليه واستحكمت في الدين قدمه . والعامى إذ يشته به في الاستكثار من
المال ، فشأنه شأن الصبي الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ بالحية ويتصرف بها
ليأخذ ترياقها ، فيقتدى به ويأخذها مستحسناً صورتها وشكلها ومستليناً
جلدها فقتله في الحال . إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل ، وقتيل المال
قد لا يعرف ذلك . وكما يمتنع أن يتشبه الأعمى بالبصير في التخطفى قتل
الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة ، فيمتنع أن يتشبه العامى الجاهل
بالعالم الكامل في الاستكثار من المال .

وصل

(الزهد)

ضد حب الدنيا والرغبة اليها هو (الزهد) ، وهو ألا يريد الدنيا
بقلبه ، ويتركها بجوارحه ، إلا بقدر ضرورة بدنه . وبعبارة اخرى : هو
الإعراض من متاع الدنيا وطيباتها ، من الأموال والمناصب وسائر ما يزول
بالموت . وبتقرير آخر : هو الرغبة عن الدنيا عدولاً الى الآخرة ، أو عن
غير الله ، عدولاً الى الله ، وهو الدرجة العليا . فمن رغب عن كل ما سوى
الله حتى الفراديس ، ولم يحب إلا الله ، فهو الزاهد المطلق . ومن رغب
عن حظوظ الدنيا خوفاً من النار أو طمعاً في نعيم الجنة ، من الحور
والقصور والفواكه والأنهار ، فهو أيضاً زاهد ، ولكنه دون الأول .

ومن ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض ، كالذى يترك المال دون الجاه ، أو يترك التوسع فى الأكل دون التجميل فى الزينة ، لا يستحق اسم الزاهد مطلقاً .

وبما ذكر يظهر : أن الزهد إنما يتحقق إذا تمكن من نيل الدنيا وتركها ، وكان باعث الترك هو حقارة المرغوب عنه وخساسته ، أعنى الدنيا بالإضافة إلى المرغوب اليه وهو الله والدار الآخرة . فلو كان الترك لعدم قدرته عليها ، أو لغرض غير الله تعالى وغير الدار الآخرة ، من حسن الذكر ، واستمالة القلوب ، أو الاشتهار بالفتوة والسخاء ، أو الاستئصال لما فى حفظ الأموال من المشقة والعناء ، أو امثال ذلك ، لم يكن من الزهد أصلاً .

فصل

(مدح الزهد)

الزهد أحد منازل الدين وأعلى مقامات السالكين . قال الله سبحانه :

« نَخْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ... وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَا أَكْفَمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ » (١) .

فنسب الزهد الى العلماء، ووصف أهله بالعلم ، وهو غاية المدح . وقال :

« وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ

خَيْرٌ وَأَبْقَى» (١). وقال : « وَمَنْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤُوتَهُ مِنْهَا وَمِمَّا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » (٢).

وقال رسول الله ﷺ : « من أصبح وهمه الدنيا ، شئت الله عليه أمره ، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له . ومن أصبح وهمه الآخرة ، جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة . » وقال ﷺ : « إذا رأيتم العبد قد أعطى صنماً وزهداً في الدنيا فاقربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة . » وقال ﷺ : « من أراد أن يؤتبه الله علماً بغير تعلم ، وهدى بغير هداية ، فليزهد في الدنيا . » وقال ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس . » وقال - صلى الله عليه وآله - لأمير المؤمنين عليه السلام : « يا علي ، من عرضت له دنياه وآخرته فاختار الآخرة وترك الدنيا لله الجنة ، ومن اختار الدنيا استخفافاً بآخرته فله النار ، وقال - صلى الله عليه وآله - : « سيكون بعدى قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ، ولا المحبة إلا باتباع الهوى . ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم ، فضبر على الفقر وهو يقدر على الغناء ، وصبر للبعضاء وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز ، لا يريد بذلك إلا وجه الله ، أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً . » وقال - صلى الله عليه وآله - : بعد ما سئل عن معنى شرح الصدر للإسلام :- « إن النور إذا دخل القلب انشرح له وانفسح ، قيل : يا رسول الله ، وهل لذلك من علامة ؟ قال : « نعم ! التجافي عن دار الغرور ، والانابة إلى

دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله ، . وقال - صلى الله عليه وآله - :
 « استحيوا من الله حق الحياء ، . قالوا : إنا لمستحي منه تعالى ، قال : « فليس
 كذلك ، تبون ما لا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، . وروى : « أنه
 قدم عليه بعض الوفود . وقالوا : إنا مؤمنون . قال : وما علامة إيمانكم ؟
 فذكروا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضى بمواقع القضاء ،
 وترك الشمانية بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء . فقال - صلى الله عليه وآله - :
 إن كنتم كذلك ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبون ما لا تسكنون ،
 ولا تنافسوا فيما عندهم ترحلون ، ، لجعل الزهد من مكملات إيمانهم . وقال
 - صلى الله عليه وآله - : « من جاء بلا إله إلا الله ، لا يخلط معها غيرها ،
 وجبت له الجنة » ، وفسر (غيرها) بحب الدنيا وطلبها . وقال عليه السلام : « من
 زهد في الدنيا ، ادخل الله الحكمة قلبه ، فأنتطق بها لسانه ، وعرفه داء
 الدنيا ودواها ، وأخرجه منها سالماً الى دار السلام ، . وروى : « أن
 بعض زوجاته بسكت مما رأت به من الجوع ، وقالت له : يا رسول الله ،
 ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ فقال : والذي نفسى بيده لو سألت ربي
 أن يجرى معى جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ، ولكنى
 اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غنائها ، وحزن الدنيا
 على فرحها . إن الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد . إن الله لم يرز لأولى
 العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم
 يرز لى إلا أن تيكلفنى مثل ما كلفهم ، فقال :

« فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ » (١) .

والله مالى بد من طاعته ١ وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدى ولا

قوة إلا بالله ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون ألا يعرف أحب إليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته ، . وقال - صلى الله عليه وآله - « إذا أراد الله بعبد خيراً ، زهده في الدنيا ، ورغبه في الآخرة ، وبصره بعيوب نفسه ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار هوى عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن ربي عز وجل عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يارب ، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً . فأما اليوم الذي أجوع فيه فاتضرع اليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك واثني عليك ، . وروى : « أنه - صلى الله عليه وآله - : خرج ذات يوم يمشي ومعه جبرئيل ، فصعد على الصفا ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وآله - : يا جبرئيل ، والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كسف سويق ولا سفة دقيق فلم يتم كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته ، فقال رسول الله ﷺ : أمر الله القيامة أن تقوم ؟ قال : لا ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك . فاتاه اسرافيل ، فقال : إن الله - عز وجل - سمع ما ذكرت ، فبعثني بمفاتيح الأرض ، وأمرني أن اعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت ، وإن شئت نبياً ملكاً ، وإن شئت نبياً عبداً . فأوما إليه جبرئيل أن تواضع لله . فقال : « نبياً عبداً ، ثلاثاً ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « قال الله تعالى : إن من اغبط أوليائي عندي رجلاً حفيف الحال ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب ، وكان غامضاً في الناس ، جعل رزقه كفافاً فصبر عليه ، جعلت

منيته فقل تزائه وقل بواكيه (١). وعن علي بن الحسين - صلوات الله عليهم - قال : «مر رسول الله - صلى الله عليه وآله - : براعى ابل ، فبعث يستسقيه ، فقال : أما ما فى ضروعها فصبروح الحى ، وأما فى آيتنا فقبوقهم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : اللهم كثر ماله وولده . ثم مر براعى غنم ، فبعث اليه يستسقيه ، فحلب له ما فى ضروعها واكفأ ما فى اناثه فى انا رسول الله - صلى الله عليه وآله - ، وبعث اليه بشاة ، وقال : هذا ما عندنا ، وإن أحببت أن تزيدك زدناك ، قال : رسول الله - صلى الله عليه وآله - : اللهم ارزقه الكفاف . فقال له بعض اصحابه : يا رسول الله ، دعوت للذى ردك بدعاء عامتنا نجبه ، ودعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . اللهم ارزق محمداً وآل محمد الكفاف ، (٢). وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «الناس ثلاثة : زاهد ، وصابر ، وراغب . فاما الزاهد ، فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه ، فلا يفرح بشىء من الدنيا ولا يأسى على شىء منها فاته ، فهو مستريح . وأما الصابر ، فانه يتمناها بقلبه ، فاذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها وشنأها . ولو اطلعت على قلبه لمعجب من عفته وتواضعه وحزمه . وأما الراغب ، فلا يبالى من أين جاءته الدنيا ، من حلها أو حرامها ، ولا يبالى مادنس فيها عرضه وأهلك نفسه واذهب مروته ، فهم فى غمرته يعمهون ويضطربون . وقال عليه السلام : «إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد فى الدنيا . وقال

(١) صحنا الحديث على (الكافي) : باب الكفاف . قال فى (الرواى) : الحنيف

- بالمهجة - : العيش السوء وقلة المال . والفاوض : الحامل الدليل .

(٢) صحنا الحديث على ما فى (اصول الكافي) : باب الكفاف .

عليه السلام : « من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً ، عرف الله فاطمته ، وعرف الشيطان فعضاه ، وعرف الدنيا فتركها ، وعرف الآخرة فطلبها ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الحق فاتبعه » . وقال - عليه السلام - : « من اشتاق الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف النار هوى عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » . وقال عليه السلام : « إن علامة الراجب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا ، أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد وإن حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيد فيها وإن حرص . فالمغيبون من حرم حظهم من الآخرة (١) . وقال علي بن الحسين - عليهما السلام - : « ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله ﷺ أفضل من بغض الدنيا . . . الحديث » (٢) . وقال الجاهل الباقر عليه السلام : « ذكر الموت ، فإنه لم يتكلم به إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا » . وقال عليه السلام : « قال الله تعالى : وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي إلا يؤثر عبد مؤمن هو أي على هواه في شيء من أمر الدنيا ، إلا جعلت غناه في نفسه ، وهيمته في آخرته ، وضمنت السماوات والأرض رزقه ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر » . وقال عليه السلام : « اعظم الناس قدراً من لا يتناول الدنيا في يد من كانت . فمن كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينيه ، ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيا في عينيه » . وقال الصادق - عليه السلام - : « جعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد

(١) صحنا الحديث على (الكافي) : باب ذم الدنيا .

(٢) الحديث مرصود في (اصول الكافي) : باب ذم الدنيا وقد مضى ذكره

في الدنيا ، . وقال - عليه السلام - : « ما كان شيء أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله - من ان يظل خائفاً جائعاً في الله تعالى ، . وقال ﷺ : « اذا أراد الله بعبده خيراً ، زهده في الدنيا ، وفقهه في الدين ، وبصره عيوبها . ومن أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة ، . وقال ﷺ : « لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا ، وهو ضد لما طلب اعداء الحق ، قلت : جعلت فداك ، بماذا ؟ قال : « من الرغبة فيها ، ، وقال : « ألا من صبار كريم ؟ فانما هي أيام قلائل ! ألا إنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا (١) وقال ﷺ : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار ، وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ، ولا إعجاب في تركها ، ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ، ولا عوض منها ، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ويكون أبدأ هاربا من الآفة معتصما بالراحة ، والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة ، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة ، ، وقال الرضا ﷺ : « من أصبح وأمسى معافى في بدنه ، آمناً في سر به عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا ، .

وكفى للزهد فضيلة ومدحاً أنه اعرف صفات الانبياء والاولياء ، ولم يبعث نبي إلا به ، ولو لم يتوقف التقرب الى الله والنجاة في دار الآخرة عليه ، لما ضيق عطاء نوع الانسان واعرف الناس بحقيقة الحال على انفسهم في فطامها عن شهوات الدنيا ولذاتها .

فانظر الى كليم الله موسى - عليه السلام - كيف كان غالب قوته نبت

(١) صححنا الحديث على (الكافي) : باب ذم الدنيا .

الأرض وأوراق الأشجار ، وكان ضعف بدنه من كثرة رياضته ، بحيث ترى الخضرة من صفاق بطنه ، كما أخبر به أمير المؤمنين - عليه السلام - في نهج البلاغة . ثم انظر إلى روح الله ﷻ كيف يلبس الشعر ويأكل الشجر ، ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد ، أينما يدركه المساء نام ، وقال له الحواريون يوماً : « يا نبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتاً تعبد الله فيه ، قال : اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء ، فقالوا : كيف يستقيم بنيان على الماء ؟ قال : « فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا ، وروى : « أنه اشتد به يوماً المطر والرعد والبرق ، فجعل يطلب بيتاً يلجأ إليه ، فرفعت إليه خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فخاد عنها ، فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد ، فوضع يده عليه وقال : « إلهي جمعت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى ، فأوحى الله إليه « مأواك في مستقر من رحمتي ، لأزوجنك يوم القيامة ألف حوراء خلقتها بيدي ، ولأطعمنك في عرسك أربعة آلاف عام ، يوم منها كعمر الدنيا ، ولأمرن منادياً ينادى أين الزهاد في الدنيا ، زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم . »

ثم انظر إلى يحيى بن زكريا ، حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللبس فسألته أمه أن يلبس مكانها جبة من صوف ففعل ، فأوحى الله إليه : « يا يحيى آثرت علي الدنيا ، فبكي ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه . »

ثم افتح بصيرتك وتأمل في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله - وزهده في الدنيا ، فإنه لبث في النبوة مالم يلبث ، ولم يشبع هو وأهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ، ولم يشبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ، ولم يشبع من التمر هو وأهل بيته حتى فتح الله عليهم خيبر ، وقرب إليه يوماً طعاماً

على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، فأمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على الأرض ، وكان ينام على عباءة مثنية فثورها له ليلة أربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة هذه بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ، وكان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة ، وروى : « أن امرأة من بنى ظفر صنعت له ~~عقدا~~ كساءين ازاراً ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل أن يبلغ الآخر ، فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك ، .

وشدة زهد علي عليه السلام وتركه الدنيا أشهر من أن يحتاج الى بيان ، وكذا من بعده من الأئمة الرشدين والاصحاب والتابعين وغيرهم من أكابر الدين والسلف الصالحين ، حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنة وستين لم يطوله ثوب ولم ينضب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً ولا أمر من في بيته بصنعة طعام ، فعلى اطرافهم يقومون ووجوههم على الأرض يفترشون تجرى دموعهم على خدودهم ويناجون ربهم في فكك رقابهم من النار .

وقد حكى أن بعض الخلفاء أرسل إلى بعضهم بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على أهله ، فقال أتدرون ؟ مامثلي ومثلكم إلا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هزمت ذبحوها لينتفعوا بجلودها ، فكذلك أتم أردتم ذبحي على كبر سني فموتوا جوعاً خيراً لكم من أن تذبحوني . وقد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعاً لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به . وكان لبعضهم حب مكسور ، فيه ماؤه ، لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا .

فياحيبي أفق من سكر الهوى واعرف المضادة التي بين الآخرة
والدنيا ، واقتد بالواقفين على جليلة الحال والمطلعين على حقيقة المآل في
المواظبة على الزهد والتقوى وفضام النفس عن لذائذ الدنيا ، فإن ذلك وإن
كان شاقاً فدته قريبة ، والاحتناء مدة يسيرة للتعلم على التأييد لا ينقل على
أهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المبين المعتصمين بعروة اليقين
بما وعد الله في الآخرة لعباده الزاهدين .

فصل

(اعتبارات الزهد ودرجاته)

إعلم ان للزهد اعتبارات تتحقق له بكل اعتبار درجات :
(الأول) اعتبار نفسه أى من حيث نفس الترك للدنيا وبهذا الاعتبار
له درجات ثلاث : (الأولى) أن يزهد في الدنيا مع ميله اليها وحبها لها بأن
يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة ، وهذا هو الزهد . (الثانية) أن يترك
الدنيا طوعاً وسهولة من دون ميل اليها لاستحقاره إياها بالاضافة الى مايطمع
فيه من لذات الآخرة ، وهذا كالذى يترك درهماً لأجل درهمين معاوضة
فانه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج الى قليل انتظار ، ومثله ربما اعجب
بنفسه وبزهدده لا حتمال أن يظن بنفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم
قدراً منه . (الثالثة) وهي أعلى الدرجات أن يترك الدنيا طوعاً وشوقاً ولا
يرى انه ترك شيئاً ، إذ عرف أن أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خنفساء
وأخذ ياقوته صافية حمراء ، فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركاً
شيئاً وسبب هذا الترك كمال المعرفة ، فان العارف على يقين بأن الدنيا
بالاضافة إلى الله ونعيم الآخرة أخس من خنفساء بالنظر إلى ياقوته ، ومثل

هذا الزاهد في أمن من خطر الالتفات الى الدنيا ، كما أن تارك الخنفساء بالياقوتة في أمن من طلب الاقالة في البيع .

وقد ذكر أرباب القلوب من أهل المعرفة أن مثل تارك الدنيا بالآخرة مثل من منعه عن باب الملك كلب يكون في بابه فالقى اليه لقمة خبز نالها من موائد الملك فشغله بنفسه ودخل الباب ونال غاية القرب من الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته ، أفترى أنه يرى لنفسه عوضاً عند الملك بلقمة خبز ألقاها الى كلب في مقابلة مايناله مع كون هذه اللقمة أيضاً من الملك. فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول ، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كالقمة خبز إن أكلها فلذتها في حال المضغ وتنقضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله في المعدة ثم ينتهي الى التئن والقدر ويحتاج إلى اخراجه ، فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها . ولا ريب في نسبة الدنيا لكل شخص اعنى ما يسلم له منها وإن عمر ألف سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا ، إذ لا نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي ، والدنيا متناهية ، ولو كانت تتماهى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى الأبد ، فكيف ومدة العمر قصيرة ولذاتها مكدرة غير صافية فأى نسبة لها الى نعيم الأبد .

* * *

(الثاني) اعتبار المرغوب عنه اعنى ما يترك وبهذا الاعتبار له

خمس درجات :

(الأولى) أن يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام ، ويسمى

زهد فرض .

(الثانية) ان يترك المشتبهات أيضاً وهو الزهد في الشبهة ، ويسمى زهد سلامة .

(الثالثة) ان يزهد في الزائد عن قدر الحاجة من الحلال أيضاً ولا يزهد في التمتع بالقدر الضروري من المطعم والملبس والمسكن واثائه والمنكح وما هو وسيلة اليها من المال والجاه ، والى هذه الدرجات كلاً أو بعضاً أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : « كونوا على قبول العمل أشد عناية منكم على العمل ، الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل ، (١) ومولانا الصادق عليه السلام بقوله : « الزهد في الدنيا ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ألا تكون بما في يدك أو ثق بما في يد الله عز وجل ، (٢) وهذا مع ما يأتي بعده هو الزهد في الحلال ، ويسمى زهد ثقل .

(الرابعة) أن يترك جميع ما للنفس فيه تمتع ويزهد فيه ولو في قدر الضرورة ، لا بمعنى ترك هذا القدر بالمرة ، إذ ذلك متعذر ، بل تركه من حيث التمتع به وإن ارتسكبه اضطراراً من قبيل أكل الميتة مع الاكراه له باطناً ، وهذا يتناول ترك جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرئاسة والمال والجاه وغيرها ، والى هذه الدرجة أشار الصادق عليه السلام بقوله : (الزاهد في الدنيا الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه) واليه يرجع قول أمين المؤمنين عليه السلام : (الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه :

(١) صححنا الحديث على ما في البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر في باب الزهد

« لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا
أَتَاكُمْ » (١) .

فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه ، (٢) .
وقوله **بِحَيْلٍ** (الزهد في الدنيا ثلاثة أحرف : زاء وهاء ودال أما الزاء فترك
الزينة وأما الهاء فترك الهوى وأما الدال فترك الدنيا .

(الخامسة) أن يترك جميع ما سوى الله ويزهد فيه حتى في بدنه ونفسه
أيضاً بحيث كان ما يصحبه ويرتكبه في الدنيا إيجاباً وإكراهاً من دون استلذاذ
وتمتع به ، وإلى هذه الدرجة أشار مولانا الصادق - عليه السلام - في كلامه
المنقول سابقاً (ص ٦٢) حيث قال : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراهة
من النار وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا
إحجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض منها
بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ، إلى آخر الحديث (٣) .

ثم الالتفات إلى بعض ما سوى الله والاشتغال به ضرورة ، كضرورى
الأكل واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وأمثال ذلك ، لا ينافى هذه المرتبة
من الزهد ، إذ معنى الانصراف من الدنيا إلى الله تعالى إنما هو الإقبال بكل
القلب إليه تعالى ذكر أو ففكره ، وهذا لا يتصور بدون البقاء ولا بقاء إلا بضرورات

(١) الحديد الآية ٢٣ .

(٢) هذا الحديث مروى في البحار الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر في باب

الزهد ص ١٠٢ .

(٣) صحهنا الحديث هنا وهناك على ما في البحار الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر في

باب الزهد ص ١٠٠ والحديث منقول فيه عن مصباح الفريمة الذى تقدم ذكره في الجزء

الأول ص ١٢١ ، ٢٥٤ .

المعيشة ، فمتى اقتصر من الدنيا عليها قصداً لدفع المهلكات عن البدن والاستعانة بالبدن على العبادة وسائر ما يقربه الى الله لم يكن مشتغلاً بغير الله ، إذ مالا يتوصل الى الشيء إلا به فهو منه ، فالمشتغل بعلمه دابته في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج ، ولكن ينبغي أن يكون البدن في طريق الله مثل الدابة في طريق الحج، فكما أن قصدك من تهيئة ماتحتاج اليه دابتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك دون تنعمها ، فكذلك ينبغي أن يكون قصدك من الأكل والشرب واللباس والسكنى صيانة بدنك عما يهلكك من الجوع والعطش والحر والبرد فتمتصر على قدر الضرورة وتقصد به التقوى على طاعة الله دون التلذذ والتنعم ، وذلك لا ينافي الزهد بل هو شرطه ، ثم ترتب التلذذ على ذلك لا يضرك إذا لم يكن مقصوداً بالذات لك فان الانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الأسحار وصوت الطيور وهذا لا يضر بعبادته إذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحة ، على انه لا لذة حقيقة في الأكل والشرب واللباس وإنما تندفع بها آلام الجوع والعطش والحر والبرد .

ثم لا يخفى أن الفضول من أمور الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمسكن وأثاثه والمنكح والمال والجاه ينبغي تركها والزهد فيها إذ الأخذ بما لا يحتاج اليه ينافي الزهد . (وأما) غير الفضول مما يحتاج اليه الانسان ويكون مهباله من الأمور الثمانيه ، فينبغي ألا يترك الزهد فيها ، إذ ما هو المهم الضروري يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فينبغي ألا يترك الزهد فيه أيضاً .

ومقتضى غاية الزهد فيه أن يقتصر من القوت على قوت يومه وليلته فان كان عنده أزيد من ذلك فليبدله على بعض المستحقين ، فان اقتصر من

جنسه على خبز الشعير فهو نهاية الزهد في القوت ، إلا أن أكل خبز الحنطة في بعض الأحيان بل أكل أدام واحد في بعض الأوقات إذا لم يسكن من اللذائذ الشديدة من أطعمة المتنعمين من أهل الدنيا لا ينافي الزهد ، وربما لم يكن أكل اللحم في بعض الأحيان منافياً له . ويقتصر من (اللباس) بعد كونه من القطن أو الصوف على ما يستر الأعضاء ويحفظها من الحر والبرد ، ولا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل احدهما . ومن (المسكن) على ما يحفظ نفسه وأهله من الحر والبرد . ومن (أثائه) اعنى الفرش والظرف والقدر والسكوز وامثال ذلك ، ما يدفع حاجته من غير تعد الى ما يمكن زوال ضرورته بدونه . ومن (المنكح) على ما تنكسر به سورة شبقه ويحفظه عن النظر والوساوس الشهوية المانعة عن الحضور في العبادات .

ومن (المال) على ما يقضى به حاجة يومه بلبيلته فان كان كاسباً فاذا اكتسب حاجة يومه فليترك كسبه ويشتغل بأمر الدين ، وإن كانت له ضيعة ولم يكن له مدخل آخر يمكن ان يصل اليه كل يوم قدر حاجته فيه ، فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفي لسد رمقه بسنة واحدة، بشرط ان يتصدق ببكل ما يفضل من كفاية نفقته . وربما قيل إن مثله من ضعفاء الزهاد ، بمعنى أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات العالية والدرجات الرفيعة لا يتاله ، وإن صدق عليه كونه زاهداً ، إذ مثله ليس له قوة اليقين ، لأن صاحب اليقين الواقعي اذا كان له قوت يومه لا يدخر شيئاً لغده ، ومن شرط التوكل في الزهد فلا يكون هذا من الزهاد عنده . وهذا غاية الزهد في الأمور المذكورة ، وعليه جرت طوائف الانبياء وزمرة الأوصياء ومن بعدهم من السلف الاتقياء . والحق أن حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الأشخاص والأوقات فان أمر المتفرد في جميع ذلك أخف من

أمر المعيل ، ومن قصر جميع همه على تحصيل العلم والعمل ولم يقدر على كسب ، حاله يخالف حال أهل الكسب ، وكذا في بعض الأوقات وفي بعض الأماكن يمكن تحصيل قدر الحاجة في كل يوم وفي بعض آخر منهما لا يمكن ذلك ، فاللائق لسلك أحد أن يلاحظ حاله ووقته ومكانه ويتأمل في أن الأصلح بأمر آخرته والأعوان على تحصيل ما خلق لأجله إمساك أى قدر من المال وصرف أى قدر وجنس من القوت ، بحيث لو كان أقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه الى ربه فيأخذ به ويترك الزائد ، فان بعد صحة النية وخلص القصد في ذلك لا يخرج به عن الزهد الواقعى وإن تصور الاكتفاء بأقل من ذلك مع إيجابه لفقد ما هو أهم في تكميل النفس .

وأما (الجاه) فقد تقدم أن القدر الضرورى منه فى أمر المعيشة كتتحصيل منزلة فى قلب خادمه ليخدمه ، وفى قلب السلطان ليدفع الاشرار عنه ، لا بأس به ، فالظاهر عدم منافاة هذا القدر للزهد ، وقال بعض العلماء : (هذا القدر وان لم يكن به بأس الا أنه يتهدى إلى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) وانما يحتاج الى المحل فى القلوب إما جلب نفع او لدفع ضرر او لخلاص من ظلم : اما النفع فيغنى عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن لمستأجره عنده قدر ، وانما يحتاج الى الجاه فى قلب من يخدم بغير اجرة ، ومعلوم أن من أراد أن يخدم بغير اجرة فهو من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين . وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه فى بلد لا يكمل العدل فيها وأن يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له فى القلوب أو محل له عند السلطان . وقدر الحاجة فيه لا ينضب لاسيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب ، والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك ، بل حق الزاهد

ألا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً ، فإن اشتغاله بالدين والعبادة يمد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين . وأما التوهّمات والتقديرات التي تخرج إلى الزيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة ، إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الأوقات فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه ، فإذن طلب المحل في القلوب لارخصة فيه أصلاً واليسير منه داع إلى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره ؛ نعم ما أعطاه الله لبعض عبّيده من دون سعيه في طلبه لنسره دينه أولاً تصافه ببعض الكمالات المختصة لحصول منزلة له في القلوب ، فليس به بأس ولا يتنافى الزهد ، فإن جاء رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان أوسع الجاه مع كونه أزهد الناس .

والحق كما تقدم أن الجاه كالمال في نفي البأس من قدر يضطر إليه الإنسان إذا وقع في زمان أو بلد توقف أمر معيشتة عليه . فالقدر الضروري منهما غير محذور وغير مناف للزهد ، والزائد على الحاجة سم قاتل ، فلا ينبغي أن ينسب المقتصر على الضرورة إلى الدنيا ، بل ذلك القدر من الدين ، لأنه من شرطه والشرط من جملة المشروط . ويدل عليه ما روى أن إبراهيم عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرض شيئاً فلم يقرضه ، فرجع مهموماً ، فأوحى الله تعالى إليه : (لو سألت خديك لأعطاك) ، فقال يارب : (عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها) ، فأوحى الله إليه : (ليس الحاجة من الدنيا) ويدل عليه أيضاً كلام الصادق - عليه السلام - مع سفيان الثوري كما أورده بطوله شيخنا الأقدم رحمه الله في جامعته السكافي .

فإذن قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة ، بل في

الدنيا أيضاً ، ويعرف ذلك بالتأمل في احوال الأغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه وتحمل الذل فيه ، وغاية سعادته أن يتركه لو رثته ، فياً كلونه وهم أعداؤه ، أو يستعينون به على المعصية ، فيكون معيناً لهم عليها ، ولذلك شبه جامع الدنيا وتابع الشهوات بدود القز ، لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ، ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب العمل الذي عمله بنفسه كما قيل في ذلك :

ألم تر أن المرء طول حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائماً ويهلك غمماً وسط ما هو ناسجه

فنكل مكب على الدنيا متبع للشهوات لا يزال يقيد نفسه بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ، الى أن يفرق ملك الموت بينه وبين شهواته دفعة ، فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها ، وهي تجاذبه إلى الدنيا، ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة. فأهون أحواله عند الموت أن يكون مثل شخص ينشر بالمناشير ويفصل أحد جانبيه عن الآخر . فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرات نزوله في أسفل السافلين ومنعه عن أعلى عليين وجوار رب العالمين . فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله ، وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم ، إذ النار لكل محجوب معدة ، كما قال الله تعالى :

« كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحَجُوبُونَ . ثُمَّ

لَأَنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ » (١).

ولما انكشف لأرباب القلوب أن العبد يهلك نفسه باتباع الهوى

والخوض في الدنيا إهلاك دود القز نفسه ، رفضوا الدنيا بالسكينة . فنسأل الله تعالى أن يقرر في قلوبنا ما نفتق في روع حبيبه ﷺ ، حيث أوحى إليه : « أحب ما أحببت ، فانك مفارقة » .

* * *

(الثالث) اعتبار المرغوب فيه : أعنى ما يترك لأجله . وله بهذا الاعتبار ثلاث درجات . الأولى : أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الآخرة ، وهذا زهد الخائفين . الثانية : أن يكون ثواب الله ونعيم الجنة ، وهذا زهد الراجين . الثالثة : وهي الدرجة العليا : ألا تكون له رغبة إلا في الله وفي لقاءه ، فلا يلتفت الى الآلام ليقصد منها الخلاص ، ولا إلى الذات ليقصد نيلها ، بل كان مستغرق الهم بالله ، وهذا زهد العارفين ، لأنه لا يجب الله خاصة إلا من عرفه بصفاته السكالية . فكما أن من عرف الدينار والدرهم ، وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما ، لم يجب إلا الدينار . كذلك من عرف الله ، وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم ، وعرف أن الجمع بين تلك اللذة ولذة التمتع بالحوار العين والنظر الى القصور وخضرة الأشجار غير ممكن ، فلا يجب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره .

وقال بعض العرفاء : ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى اللذة الحور والقصور متسع في قلوبهم ، بل تلك اللذة بالاضافة إلى لذة نعيم الجنة ، كاللذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق ، بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به . والطالبون لنعيم الجنة ، عند أهل المعرفة وأرباب القلوب ، كالصبي الطاب للعب بالعصفور التارك للذة الملك ، وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك ، لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق .

تعبير

(الزهد الحقيقي)

لا تظن أن كل من يترك مال الدنيا أنه زاهد ، فان ترك المال واطهار
التضييق والخشونة في المأكل والملبس سهل على من أحب المدح بالزهد . فكلم
من الرهبان والمرائين تركوا مال الدنيا وروضوا (١) انفسهم كل يوم على
قدر قليل من القوت ، واكتفوا من المسكن بأى موضع اتفق لهم ، وكان
غرضهم من ذلك أن يعرفهم الناس بالزهد ويمدحهم عليه ، فهم تركوا المال
لنيل الجاه . فالزهد الحقيقي ترك المال والجاه ، بل جميع حظوظ النفس من
الدنيا . وعلامة ذلك استواء الغنى والفقر والذم والمدح والذل والعز لأجل
غلبة الأنس بالله ، إذ ما لم يغلب على القلب الأنس بالله والحب له لم
يخرج عنه حب الدنيا بكلمته . إذ محبة الله ومحبة الدنيا في القلب كالماء والهواء
في القدح ، فاذا دخل احدهما خرج الآخر ، فكلاهما لا يجتمعان ولا
يرتفعان أيضاً . فالقلب المملوء من حب الدنيا يكون خالياً عن حب الله ،
كما أن القلب المشغول بحب الله وأنسه فارغ عن حب الدنيا ، وبقدر ما يقدر
ما يخرج أحدهما يدخل الآخر وبالعكس .

ومنها :

الغنى

وهو وجود كل ما يحتاج اليه من الأموال ، وهذا أقل مراتبه ، وفوق

(١) في بعض النسخ (ردوا) ، وفي بعض آخر (رودوا) . والظاهر أن

ذلك مراتب لا تحصى ، حتى ينتهى الى جمع اكثر أموال الدنيا ، كما اتفق لبعض الملوك .

ثم (الغنى) إما أن يكون بحيث يسمى في طلب المال وجمعه ويتعب في تحصيله ويكره خروجه عن يده ويتأذى به ، وهذا غنى حريص . أو يكون بحيث لا يتعب ولا يسمى في تحصيله ، إلا أنه لما أتاه أخذه وفرح به ، مع تأذيه بفقده وكرهته له ، وهذا أيضاً لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده . أو يكون بحيث لا يتعب في طلبه ولا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ويتأذى بفقده ، وليكن لما أتاه رضى به : إما مع تساوى وجوده وعدمه أو مع كون وجوده أحب إليه من عدمه ، ومثله الغنى الراضى والقانع . وأيضاً الغنى إما أن يكون جميع ماله حلالاً ، أو يكون بعضه أو كله حراماً .

وأيضاً إما يمسكه غاية الامساك ، بحيث لا يؤدي شيئاً من حقوقه الواجبة والمستحبة ، أو ينفقه في مصارفه اللائقة . وللانفاق مراتب شتى : ادناها أن يؤدي الحقوق الواجبة ، واعلاها أن يبذل كلما يزيد عن أقل مراتب الغنى ، بحيث لو تعدى عنه يسيراً صار فقيراً .

فصل

(ذم الغنى)

الغنى الحاصل من الحلال ، مع بذل ما يفضل عن أقل مرتبته في المصارف اللائقة ومساواة وجوده وعدمه عند صاحبه ، سالم من الآفات والأخطار . وغير ذلك من أقسامه لا يخلو عن آفة أو خطر ، وحبه بعض أفراد حب الدنيا ، بل هو راجع الى حب المال بعينه . فيدل على

ذمه ما ورد في ذمها . وقد ورد في ذمه بخصوصه بمض الأيات والأخبار ،
قال الله سبحانه :

« إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ » (١) .
وقيل لرسول الله - صلى الله عليه وآله - : أى امتك أشر ؟ قال :
« الأغنياء » . وقال - صلى الله عليه وآله - لبلال : « ألق الله فقيراً ، ولا
تلقه غنياً » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل
اغنيائهم بمخمسائة عام » . وقال عليه السلام : « اطلمت على الجنة ، فرأيت أكثر
أهلها الفقراء . واطلمت على النار ، فرأيت أكثر أهلها الأغنياء » . وفي
طريق : « فقلت : أين الأغنياء ؟ فقال : حسبهم الجحيم » . وأوحى الله تعالى
إلى موسى : « يا موسى ، اذا رأيت الفقر مقبلاً ، فقل : مرحباً بشعار
الصالحين . واذا رأيت الغنى مقبلاً ، فقل : ذنب عجلت عقوبته » . وروى :
« أنه مامن يوم إلا وملك ينادى من تحت العرش : يا ابن آدم ، قليل
يكفيك خير من كثير يطغيك » . وقال عيسى - عليه السلام - : « بشدة يدخل
الغنى الجنة » .

وصل

(الفقر)

ضد الغنى (الفقر) . وهو فقد ما يحتاج اليه . ولا يسمى فقد ما لا
حاجة اليه فقراً . فان عمم ما يحتاج اليه ولم يخص بالمال ، لسكان كل موجود
يمكن محتاجاً ، لا احتياجه الى دوام الوجود وغيره من الحاجات المستفادة من
الله سبحانه ، وانحصر الغنى بواحد واجب لذاته ومفيد لوجود غيره من

من الموجودات ، أعنى الله سبحانه . فهو الغنى المطلق ، وسائر الأشياء الموجودة فقراء محتاجون . وقد أشير إلى هذا الحصر في الكتاب الآلى بقوله تعالى :

« وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ » (١)

وإن خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء ، بل من فقد المال الذى هو محتاج اليه كان فقيراً بالاضافة اليه ، والفقر بهذا المعنى هو الذى نريد بيانه هنا .

فصل

(اختلاف أحوال الفقراء)

(الفقير) إما أن يكون راغباً فى المال محباً له ، بحيث لو وجد اليه سبيلاً لطلبه ، ولو بالتعب والمشقة ، وإنما ترك طلبه لعجزه منه ، ويسمى هذا فقيراً (حريصاً) .

أو يكون وجود المال أحب اليه من عدمه ، ولكن لم يبلغ حبه له حدّاً يبعثه على طلبه ، بل إن أتاه بلا طلب أخذه وفرح به ، وإن افتقر الى سعى فى طلبه لم يشتغل به ، ويسمى هذا فقيراً (قانماً) .

أو يكون بحيث لا يحبه ولا يرغب فيه ، ويكره وجوده ويتأذى به ، ولو أتاه هرب منه ، مبهضاً له ومحترزاً عن شره ، ويسمى هذا فقيراً (زاهداً) . فاعراضه عنه وعدم سعيه فى محافظته وضبطه لو وجده ، إن كان لحوف العقاب فهو (فقير الخائفين) . وإن كان لشوق الثواب فهو (فقير الراجين) . وإن كان لعدم التفاته اللازم لاقباله على الله تعالى بشرائره من دون غرض دنيوى أو اخروى فهو (فقير العارفين) .

أو يكون بحيث لا يحبه حباً يفرح بمصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهده فيه ، بل يستوى عنده وجوده وعدمه ، فلا يفرح بمصوله ولا يتأذى بفقده ، بل كان راضياً بالحالتين على السواء ، وغنياً عن دخوله وبقائه وخروجه من يده ، من غير خوف من الاحتياج اذا فقد ، كالخريص والقانع ، ولا حذار من شره واضرارها اذا وجد كالزاهد . فمثله لو كانت اموال الدنيا باسرها في يده لم تضره ، إذ هو يرى الاموال في خزانه الله لا في يد نفسه ، فلا تفريق بين أن تكون في يده أو في يد غيره ، فيكون بحيث يستوى عنده المال والهواء المخلوق في الجو ، فكما ان كثرة الهواء في جواره لا يؤذيه ، ولا يكون قلبه مشغولاً بالفرار عنه ولا يبغضه ، بل يستنشق منه بقدر الضرورة ، ولا يبخل به على احد ، فكذلك كثرة المال لا يؤذيه ولا يشغل قلبه ، ويرى نفسه وغيره فيه على السواء في المالكية .

ومثله ينبغي أن يسمى (مستغنياً راضياً) ، لا مستغنائته عنه وجوداً وعدمًا ، ورضائته بالحالتين من دون تفاوت ، ومرتبته فوق الزاهد ، إذ غاية درجة الزهد كمال الأبرار ، وصاحب هذه المرتبة من المقربين ، فالزهد في حقه نقصان ، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين . والسرفيه : أن الزاهد كاره للدنيا ، فهو مشغول بالدنيا ، كما أن الراغب فيها مشغول بها ، والشغل بما سوى الله حجاب عن الله ، سواء كان بالحلب أو بالبغض . فمثل ما سوى الله ، كالرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والممشوق . فكما أن التفات قلب العاشق الى الرقيب وبغضه وكراهته حضوره نقص في العشق ، فكذلك التفات قلب العبد الى غير الله تعالى وبغضه وكراهته نقصان في الحب والانس ، كما أن التفاتيه بالحلب نقص فيهما . إذ كما لا يجتمع في قلب واحد حبان في حالة واحدة ، فكذلك لا يجتمع فيه حب وبغض في حالة

واحدة . فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها ، وإن كان الثاني اسوأ حالا من الآخر . إذ المشغول بحبها غافل في غفلته ، سالك في طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل ، وهو في غفلته سالك في طريق القرب ، فيحتمل زوال غفلته وتبديلها بالشهود ، فالكمال مرتقب له ، إذ بغض الدنيا مظنة توصل العبد إلى الله .

وهرب الإنبياء والأولياء من المال ، وفرارهم عنه ، وترجيحهم فقده على وجوده — كما اشير إليه في بعض الأخبار والآثار — : إما نزول منهم الى درجة الضعفاء ليقتدوا بهم في الترك ، إذ الكمال في حقهم حب الترك وبغض الوجود ، لأن مع وجوده يتعذر في حقهم استواء وجوده وفقده وكونه عندهم كماء البحر ، فلو لم يظهر الانبياء النفار والكرهية من المال ويقتدى الضعفاء بهم في الأخذ لهلكوا . فمثل النبي كمثل المعزم الحاذق ، يفر بين يدي أولاده من الحية ، لا لضعفه عن أخذها ، بل لعلمه بأنه لو اخذها لأخذها أولاده أيضاً إذا رأوها ، وهلكوا . فالسير بسيرة الضعفاء صفة الانبياء والأوصياء . أو غير الهرب والنفار اللازمين للبغض والكرهية وخوف الاشتغال به ، بل كان نفارهم منه كنفارهم من الماء ، على معنى أنهم شربوا منه بقدر حاجتهم ، وتركوا الباقي في الشطوط والأنهار للمحتاجين ، من غير اشتغال قلوبهم بحبه وبغضه . ألا ترى أنه قد حملت خزائن الأرض الى رسول الله وخلفائه ، فأخذوها ووضعوها في مواضعها ، من غير هرب منه وبغض له ، وذلك لا استواء المال والماء والحجر والذهب عندهم .

ثم تسمية صاحب هذه المرتبة بالفقير والمستغنى لا يوجب التنافي ، إذ إطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجاً إليه تعالى في جميع أموره عامة

وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة ، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقرّ بها ، فإنه أحق باسم العبد من الغافلين ، وإن كان عاماً للخلق . ثم كل مرتبة من المراتب المذكورة للفقر ، ماعدا الأخيرة ، أهم من أن يكون بالغاً حد الاضطرار ، بأن يكون ما فقده من المال مضطراً إليه ، كالجائع الفاقده للخبز والغاري الفاقده للشوب ، أم لا .

وأنت ، بعد ما فهمت اشتراك الفقر بين المعاني المذكورة ، لم يشكل عليك الجمع بين ما ورد في مدح الفقر - كما يأتي - وبين ما ورد في ذمه ، كقولهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : « كاد الفقر أن يكون كفراً » ، وقوله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : « الفقر الموت الأكبر » . وقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال : بالضعف في يقينه ، والنقصان في عقله ، والروقة في دينه ، وقلة الحياء في وجهه . فنعوذ بالله من الفقر ! » .

فصل

(مراتب الفقر ومدحه)

قد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع إلى الزهد ، وبعضها إلى ما هو فوقه ، اعنى الرضى والاستغناء ، وبعضها إلى القناعة . ففضيلة هذه المراتب ظاهرة ، والأخبار الواردة في فضيلة الزهد والرضى والقناعة تدل على فضيلة المراتب المذكورة من الفقر . وأما المرتبة الأولى المتضمنة للحرص ، فهو أيضاً لا يخلو عن فضيلة بالنظر إلى الغنى المتضمن له والأخبار الواردة في مدح الفقر تتناول بعمومها جميع مراتبه ، قال الله سبحانه :

« لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

« وَأَمْوَالِهِمْ » (١) . وقال : « لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . » الآية (٢) .

ساق الله سبحانه الكلام في معرض المدح ، وقدم وصفهم بالفقر
 على وصفهم بالهجرة الإحصار ، وفيه دلالة جلية على مدح الفقر (٣) . وقال
 رسول الله ﷺ : « خير هذه الأمة فقراؤها ، وأسرعها تصعداً في الجنة
 ضعفاؤها » . وقال - صلى الله عليه وآله : « اللهم احبني مسكيناً وأمتي
 مسكيناً ، واحشرنى في زمرة المساكين » . وقال ﷺ : « إن لي حرفتين
 اثنتين ، فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني : الفقر والجهاد » .
 وقال - صلى الله عليه وآله - : « الفقراء أزين للمؤمنين من العذار الحسن على
 خد الفرس » . وسئل عن الفقر ، فقال : « خزائنه من خزائن الله » .
 وسئل عنه ثانياً ، فقال : « كرامة من الله » . وسئل عنه ثالثاً ، فقال :
 « شيء لا يعطيه إلا نبياً مرسلأ أو مؤمناً كريماً على الله » . وقال ﷺ :
 « إن في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ، ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل
 الأرض الى نجوم السماء ، لا يدخل فيها إلا نبي فقير أو مؤمن فقير » . وقال :
 « يوم فقراء أمتي يوم القيامة وثيابهم خضر ، وشعورهم منسوجة بالدر
 والياقوت ، وبايديهم قضبان من نور يخطبون على المنابر ، فيمر عليهم
 الانبياء ، فيقولون : هؤلاء من الملائكة ، وتقول الملائكة : هؤلاء
 من الانبياء . فيقولون : نحن لا ملائكة ولا انبياء ! بل من فقراء أمة

(١) الحشر ، الآية : ٨ .

(٢) البقرة ، الآية : ٢٧٣ .

(٣) قال المحقق (الفيض) في (احياء الاحياء) : « لدلالة في الآيتين على مدح

الفقر ، وإنما سيقنا لبيان ان مصرف المال انما هم الفقراء المتصفون بهذه الصفات » .

محمد - صلى الله عليه وآله - ، فيقولون : بم نلتهم هذه الكرامة ؟ فيقولون :
لم تكن أعمالنا شديدة ، ولم نصم الدهر ، ولم نقم الليل ، ولكن أقنبا على
الصلوات الخمس ، وإذا سمعنا ذكر محمد فاضت دموعنا على خدودنا . وقال
- صلى الله عليه وآله - : « كفى ربي فقال : يا محمد ، إذا احببت عبداً ،
اجعل له ثلاثة اشياء : قلبه حزينا ، وبدنه سقيماً ، ويده خالية من حطام
الدنيا . وإذا أبغضت عبداً ، اجعل له ثلاثة اشياء : قلبه مسروراً ، وبدنه
صحيحاً ، ويده مملوءة من حطام الدنيا . » وقال - صلى الله عليه وآله - :
« الناس كلهم مشتاقون الى الجنة ، والجنة مشتاقة الى الفقراء . » وقال - صلى
الله عليه وآله - : « الفقر خرى . » وقال عليه السلام : « تحفة المؤمن في الدنيا الفقر . »
وقال - صلى الله عليه وآله - : « يؤتى بالعبء يوم القيامة ، فيعتذر الله تعالى
اليه كما يعتذر الاخ إلى أخيه في الدنيا ، فيقول : وعزتي وجلالي ! ما زويت
الدنيا عنك هو انك علي ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة .
اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف ، فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك
وجهي ، فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم الفرق . فيتخلل الصفوف ،
وينظر من فعل ذلك به ، ويدخله الجنة . » وقال - صلى الله عليه وآله - :
« أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي ، فان لهم دولة ، قالوا :
يا رسول الله ، وما دولتهم ؟ قال : « إذا كان يوم القيامة ، قيل لهم :
انظروا إلى من اطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً ، فخذوا بيده ثم
امضوا به الى الجنة . » وقال عليه السلام : « ألا اخبركم بملوك أهل الجنة ؟ ، قالوا :
بلى يا رسول الله اقال : « كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين
لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره . » ودخل - صلى الله عليه وآله - على
رجل فقير ، ولم ير له شيئاً ، فقال : « لو قسم نور هذا على أهل الأرض

لو سقمهم . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إذا أبغض الناس فقراءهم ، وأظهروا عمارة الدنيا ، وتكالبوا على جمع الدراهم والدنانير ، رماهم الله بأربع خصال : بالقطط من الزمان ، والجور من السلطان ، والجنابة من ولادة الحكام ، والشوكة من الأعداء ، (١) .

وورد من طريق أهل البيت عليهم السلام : « إن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه ، فإذا أحبه الحب البالغ افتناه . قيل : وما اقتناه ؟ قال : لم يترك له أهلاً ولا مالاً » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « وكل الرزق بالحق ، وكل الحرمان بالعقل ، وكل البلاء بالصبر » . وقال الباقر عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة ، أمر الله تعالى منادياً ينادى بين يديه : ابن الفقراء ؟ فيقوم عنق من الناس كثير ، فيقول : عبادى ! فيقولون : لبيك ربنا ! فيقول : إني لم أفقركم لهون بكم علي ، وإنما اخترتكم لمثل هذا اليوم . تصفحوا وجوه الناس ، فمن صنع إليكم معروفاً لم يصنعه إلا في فكافوه عنى بالجنة » . وقال الصادق عليه السلام : « لولا إلحاح المؤمنين على الله في طلب الرزق ، لنقلهم من الحال التي هم فيها إلى حال أضيقت منها » . وقال عليه السلام : « ليس لمصاص (٢) شيعتنا في دولة الباطل إلا القوت ، شرقوا إن شتمت أو غربوا ، لن ترزقوا إلا القوت » . وقال عليه السلام : « ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيراً ولا كافر إلا غنياً ، حتى جاء إبراهيم عليه السلام ، فقال :

« رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » (٣)

فصير الله في هؤلاء أموالاً وحاجةً . وقال - عليه السلام - : « إن

(١) هذه الاخبار كلها عامية ، فصحتها على (احياء العلوم) ، و (احياء الاحياء) .

(٢) المصاص : خالص كل شيء . قاله الجوهرى .

(٣) المتنحة ، الآية : ٥٥ .

فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفاً ، ثم قال : « سأضرب لك مثل ذلك : انما مثل ذلك مثل سفينتين مر بهما على عاشر ، فنظر في أحدهما فلم ير فيها شيئاً ، فقال : اسربوها . ونظر في الأخرى ، فاذا هي موقرة ، فقال : احبسوها ، . وفي بعض الأخبار : فسر الخريف بألف عام ، والعام بألف سنة . وعلى هذا ، فيكون المراد من أربعين خريفاً أربعين الف الف عام . وقال الصادق عليه السلام : « المصائب منح من الله ، والفقر مخزون عند الله ، : أى المصائب عطايا من الله يعطيها عباده ، والفقر من جعلتها مخزون عنده عزيز لا يعطيه إلا من خصه بمزيد العناية . وقال عليه السلام : « إن الله عز وجل يلتفت يوم القيامة الى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمتذر اليهم ، فيقول : وعزتي وجلالى ! ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي ، واترون ما أصنع بكم اليوم ، فمن زود منكم في دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فأدخلوه الجنة ، قال : « فيقول رجل منهم : يا رب ، إن أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم ، فنكجوا النساء ، وابسبوا الثياب اللينة ، وأكلوا الطعام ، وسكنوا الدور ، وركبوا المشهور من الدواب . فأعطاني مثل ما أعطيتهم . فيقول تبارك وتعالى : لك واسكل عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا الى أن انقضت الدنيا سهون ضعفاً ، وقال - عليه السلام - : « إن الله جل ثناؤه ليهتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يهتذر الاخ الى أخيه ، فيقول : وعزتي وجلالى ! ما أجوجتكم في الدنيا من هوان كان بك علي ، فأرفع هذا السجف ، فانظر الى ما عوضتكم من الدنيا . قال : فيرفع ، فيقول : ما ضرتني ما منعتني ما عوضتني . وقال عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة ، فيضربوا باب الجنة ، فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن الفقراء ،

فيقال لهم : اقبلوا الحساب ، فيقولون : ما اعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليه ، فيقول الله عز وجل : صدقوا ، ادخلوا الجنة ، . وقال - لبعض اصحابه : « أما تدخل للسوق ؟ أما ترى الفاكهة تباع والشئ مما تشتهيهِ ؟ فقلت : بلى ! فقال : أما إن لك بكل ما تراه فلا تقدر على شراء حسنة ، . وقال الكاظم عليه السلام : « إن الله عز وجل يقول : إني لم اغن الغنى لكرامة به علي ، ولم أفقر الفقير لهوان به علي ، وهو مما ابتليت به الأغنياء بالفقراء ، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة ، (١) . وقال - عليه السلام - : « إن الأنبياء وأولاد الأنبياء واتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال : السقم في الأبدان ، وخوف السلطان ، والفقير ، . وقال الرضا - عليه السلام - : « من لقي فقيراً مسلماً وسلم عليه خلاف سلامه على الغنى ، لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان ، . وقال عليه السلام : « الفقير شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة ، وقال موسى - عليه السلام - في بعض مناجاته : « إلهي ، من أحبائك من خلقك حتى أحبهم لأجلك ؟ فقال : كل فقير ، . وقال عيسى - عليه السلام - : « إن أحب الأسمى إلي أن يقال : يا مسكين ، . وقال بعض الصحابة : « ملعون من أكرم الغنى وأهان الفقير ، . وقال لقمان لابنه : « لا تحقرن أحداً لخلقنا ثيابه ، فان ربك وربك واحد ، .

وما يدل على فضيلة الفقير ، اذا كان مع الرضى أو القناعة أو الصبر أو الصدق أو الستر ، قوله عليه السلام : « يا معشر الفقراء : اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم ، فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم ، . وقوله

(١) صححنا اغلب الأحاديث المروية عن أهل البيت - عليهم السلام - في هذا الفصل

على (الكافي) : باب الفقير . وعلي (سفينة البحار) : ٣٧٧/٢ . وعلي (أحياء الأحياء) : كتاب الفقر .

- صلى الله عليه وآله - : « إن أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى ، . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً ، . وقوله ﷺ : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين صفوتى من خلقتى ؟ فتقول الملائكة : من هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعين بعطائى الراضين بقدرى ، ادخلوهم الجنة . فيدخلونها ، ويأكلون ويشربون ، والناس فى الحساب يترددون ، . وقوله ﷺ : « ما من أحد ، غنى ولا فقير ، إلا ود يوم القيامة انه كان أوتى قوتاً فى الدنيا ، وقوله ﷺ : « طوبى للمساكين بالصبر ! وهم الذين يرون ملكوت السماوات والأرض ، . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « من جاع أو احتاج ، فكتمه عن الناس وأفشاه إلى الله تعالى ، كان حقاً على الله أن يرزقه رزق السنة من الحلال ، . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « إن لكل شىء مفتاحاً ، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصابرين ، وهم جلساء الله يوم القيامة ، . وما روى : « إن الله أوحى إلى اسماعيل - عليه السلام - : اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى . قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون ، . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « يا علي ، إن الله جعل الفقر أمانة عند خلقه ، فمن ستره أعطاه الله تعالى مثل أجر الصائم القائم ، ومن أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله أما إنه ما قتله بسيف ولا رمح ولكن قتله بما نكأ من قلبه ، .

ثم لا ريب فى أن كل من لم يجد القوت من التعفف وستر احتياجه هذا وصبر ورضى يكون داخل تحت هذه الأخبار وثبت له الفضيلة التى وردت فيها ، ولا ريب فى أن هذه صفة لا توجد فى الف الف واحد .
وأما الفقير الحريص الذى يظهر فقره ويجزع معه ، فظاهر بعض

الأخبار وإن تناوله ، إلا أن الظاهر خروج منه كما أو مات إليه بعض
الأخبار المذكورة وإن كان أحسن حالا من الغنى الذي مثله في الحرص .

فصل

(الموازنة بين الفقر والغنى)

لا ريب في أن الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ أفضل من الغنى
مع الحرص والامساك ، كما لا ريب في أن الغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة
على العبادة أفضل من الفقر مع الحرص والجزع ، وإنما وقع الشك في
الترجيح بين الفقر والغنى في مواضع :

(الأول) في الترجيح بين الفقر مع الصبر ، والقناعة والغنى مع
الانفاق ، وقصد الاستعانة على العبادة ، فقال قوم إن الأول أفضل ، لما
روى : « أن رسول الله ﷺ قال لا صحابه : أى الناس خير ؟ فقالوا :
موسر من المال يعطى حق الله تعالى من نفسه وماله ، فقال : نعم الرجل
هذا وليس به المراد ، قالوا فمن خير الناس يا رسول الله ؟ فقال : فقير
يعطى جمده ، وما روى : « أن الفقراء بعثوا رسولا الى رسول الله
ﷺ ، فقال : إني رسول الفقراء اليك ، فقال : مرحباً بك وبمن جئت
من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم ، فقال : قالوا إن الأغنياء ذهبوا
بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ، ويعتمرون ولا نقدر عليه ، وإذا مرضوا
بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ، فقال النبي ﷺ : بلغ عنى الفقراء أن
لمن صبر واختسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء : أما (الأولى) فإن
في الجنة غرفا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء ،
لا يدخلها إلا نبي فقير ، أو شهيد فقير ، أو مؤمن فقير ، (والثانية)

يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام . (والثالثة)
 اذا قال الغنى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ، وقال الفقير
 مثل ذلك ، لم يلحق الغنى بالفقير وإن انفق فيها عشرة آلاف درهم ، وكذلك
 اعمال البر كلها ، فرجع اليهم ، فقالوا رضينا . . .

وقال آخرون : الثاني أفضل ، لأن الغنى من صفات الربوبية ،
 والفقر من لوازم العبودية ، ووصف الحق أفضل من وصف العبد .
 (واجيب عنه) بأن غنى الواجب سبحانه ليس بالاسباب والاعراض ،
 وغنى العبد بهما ، إذ هو غنى بوجود المال ومفتقر الى بقائه ، فأنى يكون
 الغنى الذى يتصف العبد به من أوصاف الربوبية ، نعم الغنى بمعنى الاستغناء
 من وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوى كلاهما عنده يشبه أوصاف الحق ،
 إلا أنك قد عرفت أنه نوع من الفقر ، وبأن التكبر من أوصاف الربوبية ،
 فينبغى أن يكون أفضل من التواضع ، مع ان الامر ليس كذلك ، بل الحق
 أن الافضل للعبد إنما هو صفات العبودية كالخوف والرجاء . إذ صفات الربوبية
 لا ينبغى أن ينازع فيها ، ولذلك قال الله سبحانه : « والعظمة ازارى ،
 والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى فيها قصمته . » وعلى هذا فالفقر أفضل
 من الغنى .

والحق أن ترجيح واحد من صفات الربوبية وصفات العبودية على
 الآخر للعبد على الاطلاق غير صحيح ، إذ كما ينتقض ترجيح الاولى على
 الثانية بالتكبر ينتقض العكس بالعلم والمعرفة والجهل والغفلة ، فان العلم من
 صفات الربوبية ، والجهل من صفات العبودية ، مع أن الاول أفضل من
 الثانى ضرورة .

والحق أن الافضل من الفقر والغنى ما لا يشغل العبد عن الله ، فإن

كان الفقر يشغله فالغنى أولى به، وإن كان الغنى يشغله عن الله فالفقر أولى به ، وذلك لأن الغنى ليس محذوراً بعينه ، بل لكونه عائقاً عن الوصول الى الله ، والفقر ليس مطلوباً لذاته ، بل لعدم كونه عائقاً عن الله ، وليس مانعية الأول وعدم مانعية الثاني كلياً ، إذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد ، وكمن غنى لا يصرفه الغنى عنه ، إذ الشاغل ليس إلا حب الدنيا ، لمضاداته حب الله تعالى ، والمحبة للشئ مشغول به ، سواء كان في وصاله أو في فراقه . فاذن فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال وجوداً وعدمياً ، فان تساويهما فيه تساوت درجتهم . وإن تفاوتتا فيه فأيهما أقل تعلقاً درجته أعلى وأفضل ، بل مع وجود تعلق لهما وتساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجة من المال أفضل من فقدته ، إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة والطاعة . ومع عدم تعلق قلبهما أصلاً بحيث يستوى عندهما وجود المال وعدمه كان المال عندهما كماء الجو وماء البحر - وبالجملة حصلت لهما المرتبة الأخيرة من الفقر ، أعنى الاستغناء والرضا - كان الواجد أفضل من الفاقد ، لا ستوائيهما في عدم الالتفات اليه ، ومزية الواجد باستفادة ادعية الفقراء والمساكين .

ثم الحكم بانقطاع القلب رأساً عن المال وجوداً وعدمياً إنما يتصور في الشاذ النادر الذي لا يسمح الدهر بمثله إلا بعد ازمة متطاولة ، وقلوب جل الناس غير خالية عن حب المال والتعلق به . فتفصيل القول بافضلية من هو أقل تعلقاً بالمال ، استواء درجتهم مع استوائيهما في التعلق ، ومزية الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبهما بالكيفية عنه منزلة الأقدام وموضع الغرور ، إذ الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به ، وإنما يشعر به إذا فقدته ، فما عدا الأنبياء والأولياء وشرذمة قليلة من أكابر الأتقياء لو ظنوا انقطاعهم عن الدنيا إذا

جربوا انفسهم باخراج المال من أيديهم يظهر لهم أنهم مغرورون وليس لهم تمام الانقطاع عن الدنيا ، واذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فليطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الناس وأفضل، لأنه عن الخطر أبعد، إذ فتنة السراء من فتنة الضراء أشد ، وعلاقة الفقير وانسه بالدنيا غالباً أضعف ، وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره وعبادته ، إذ حركات اللسان والجوارح ليست مرادة لا عيائها بل ليتأكد بها الأناشيد بالذكور وتأثيرها في إثارة الأناشيد في قلب فارغ عن غير المذكور أشد من تأثيرها في قلب مشغول ، ولهذا وردت الأخبار المطلقة في فضل الفقر على الغنى ، وفي فضل الفقراء على الأغنياء .

(الثاني) في الترجيح بين الفقر مع الحرص والجزع ، والغنى مع الحرص والامساك . والتحقيق فيه أن مطلوب الفقير إن كان مالا بد منه في المعيشة وكان حرصه في تحصيل هذا القدر دون الزائد منه وكان قصده الاستعانة به على الدين ، وكذلك كان حرص الغنى وامساكه في هذا القدر بهذا القصد ، فحال الوجود أفضل لأن الفقد يصده عن أمور الدين لا اضطرابه في طلب القوت ، وهو أولى بالتفضيل إذا كان قصد الغنى ذلك وكان مطلوب الفقير فوق الحاجة ، أو قدر الحاجة بدون قصد الاستعانة به إلى أمر الدين . وإن كان مطلوب كل منهما فوق الحاجة ، أو لم يكن قصدهما الاستعانة به على أمر الدين ، فالفقر أصلح وأفضل ، لانهما استويا في الحرص وحب المال ، وفي عدم قصد الاستعانة به على الدين ، لكنهما افترقا في أن الواحد يتأكد حب الدنيا في قلبه ، ويطمئن إليها لأنسه بها ، والآخر يتجافى قلبه عنها اضطراباً ، أو تكون الدنيا عنده كالمسجن الذي يطلب الخلاص منه . وهو أولى وأحرى بالتفضيل ، إذا كان قصد الفقير ذلك وكان قصد الغنى

فوق الحاجة ، أو قدر بدون الاستعانة به على امر الدين .

(الثالث) في الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه ، وغنى هو دونه في الحرص على حفظ المال ، وتفجعه بفقد المال لو فقده أقل من تفجع الفقير بفقده ، والظاهر حينئذ كون الفقير اسوأ حالا ، إذ البعد عن الله بقدر قوة التفجع بفقد المال ، والقرب بقدر ضعف التفجع به .

فصل

(ما ينبغي للفقير)

ينبغي للفقير ألا يكون كارهاً للفقير من حيث إنه فعل الله ومن حيث انه فقير ، بل يكون راضياً به طالباً له فرحانا به لعلمه بغوائل الغنى ، وأن يكون متوكلاً في باطنه على الله ، واثقاً به في اتيان قدر ضرورته ، ويكون قانماً به ، كارهاً للزيادة عليه ، منقطع الطمع عن الخلق ، غير ملتفت الى ما في أيديهم ، وغير حريص على اكتساب المال كيف كان ، وأن يكون صابراً شاكراً على فقره ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الله عقوبات بالفقير ، ومشوبات بالفقير ، فمن علامات الفقر اذا كان مشوبة أن يحسن عليه خلقه ، ويطيع به ربه ، ولا يشكو حاله ، ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته اذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ، ويعصى ربه بترك طاعته ، ويكثر الشكاية ، ويتسخط بالقضاء ، وهذا يدل على أن كل فقير ليس مثاباً على فقره ، بل من يرضى بفقره ، ويفرح به ، ويقنع بالكفاف ، ويقصر الأمل ، وان لم يرض به وتشوف الى الكثرة وطول الأمل ، وفاته عز القناعة ، وتدنس بذل الحرص والطمع ، وجره الحرص والطمع الى مساوى

الاخلاق ، وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات حبط أجره وكان آثماً قلبه .
وينبغي أن يظهر التعفف ويستر الفقر ويستر أنه يستر ، والأيتخاط
الأغنياء ، ولا يرغب في مجالستهم ، ولا يتواضع لهم لاجل غناهم بل
يتكبر عليهم . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما احسن تواضع الغنى
للفقير رغبة في ثواب الله ، واحسن منه تبه الفقير على الغنى ثقة بالله ، ، وألا
يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء ، وطمعاً بما في أيديهم ، ولا يفتر
بسبب فقره عن عبادة الله ، ويبذل قليل ما يفضل عنه ، فان ذلك جهد
المقل ، وفضله اكثر من أموال كثيرة يبذلها الغنى ، قال رسول الله ﷺ :
« درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف دينار ، ، قيل وكيف ذلك
يا رسول الله ؟ قال : « أخرج رجل من عرض ماله مائة الف دينار يتصدق
بها ، وأخرج رجل درهما من درهمن لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار
صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائة الف دينار ، ، وينبغي ألا يدخر ازيد
من قدر الحاجة ، فإن لم يدخر اكثر من قوت يومه وليلته فهو من الصديقين ،
وإن لم يدخر اكثر من قوت اربعين يوماً كان من المتقين ، وإن لم يدخر اكثر
من قوت سنة - وهو الفضل المشترك بين الفقر والغنى - كان من الصالحين ،
ولو زاد عليه خرج عن زمرة الفقراء .

فصل

(وظيفة الفقراء)

ما يعطى الفقير بغير سؤاله : إن كان (حراماً أو شبهة) وجب عليه
رده والاجتناب عنه ، وإن كان (حلالاً) ، فان كان (هدية) استحب
قبوله تأمياً برسول الله ﷺ إن لم تكن فيه منة ، ولو كانت فيه منة فالأولى

تركة . وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئاً يقول له اتركه عندك ، وانظر إن كنت انا بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فاخبرني حتى آخذه وإلا فلا ، وعلامة ذلك أن يشق على المعطى رده ، ويفرح بالقبول ، ويرى المنة على نفسه في قبوله ، وإن كان (صدقة أو زكاة) أو غير ذلك مما يكون للشواب المحض فينبغي أن ينظر في استحقاقه لذلك . فان كان من أهله قبله وإلا رده ، وإن كان المعطى أعطاه لوصف يعلمه فيه كعلم أو ورع أو كونه علوياً ، ولو لم يكن له هذا الاختصاص لتفر طبعه ، ولما تقرب الى الله بأعطائه ، ولم يكن له باطناً كذلك فأخذه حرام ، وإن لم يكن هدية ولا صدقة بل اعطاه للشهرة والرياء والسمعة فينبغي أن يرد عليه ولا يقبله ، والا كان معيناً له على غرضه الفاسد ، والاعانة على الإثم اثم .

فصل

(موارد قبول العطاء وردھا)

ما يعطى الفقير ان كان محتاجاً اليه ولم يكن أزيد من حاجته فالأفضل له الأخذ اذا سلم من الآفات المذكورة ، قال رسول الله ﷺ : « ما المعطى من سعة بأعظم أجراً من الأخذ اذا كان محتاجاً ، » وقال ﷺ : « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه فلا يردّه ، » وان كان زائداً على قدر حاجته فليرد الزائد إن كان طالباً طريق الآخرة ، إذ الزيادة على قدر الحاجة انما يأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ما ذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة يأتيك رفقاً بك ، فأنت في اخذ قدر الحاجة مثاب ، وفيما زاد عليه إما عاص أو متعرض للحساب ، قال رسول الله - صلي الله عليه وآله - : « لا حق لابن آدم إلا في ثلاث :

طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يسكنه ، فما زاد فهو حساب ، ، فلا ينبغي لطالب السعادة أن يأخذ الأزيد من قدر الحاجة ، إذ النفس اذا رخصت في تقص العزم والعهد ألقت به ، وردها بعد الالف والعادة مشكل .

والحاصل أن أخذ قدر الحاجة راجح لكونه مما لا بد منه ، وإيجابه ثواب المعطى ، ولذلك لما أمر موسى بن عمران ﷺ بأن يفطر عند بني اسرائيل قال : إلهى ما بالى فرقت رزقى على أيدي بنى اسرائيل يغدينى هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة ، فأوحى الله اليه : « هكذا أصنع بأوليائى أجرى أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم ، . فلا ينبغي أن يرى المعطى إلا من حيث انه مسخر ماجور .

وأما أخذ الزيادة على قدر الحاجة فليس مما ينبغي ، نعم من كان حاله التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم ، لما في طبعه من البذل والسخاء ، والرفق والعطاء ، فيجوز له أخذ الزيادة لبيد لها على المستحقين ، ولا يمكن يلزم ان يبادر الى الصرف اليهم ولا ينبغي أن يدخر ، إذ فى امساكه ولو فى يوم واحد أوليلة واحدة فتنة واختبار ، فر بما مالت النفس الى الامساك ويصير وبالا عليها ، وقد نقل أن جماعة تصدوا لخدمة الفقراء والتكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الأمارة باعانة الشيطان فاتخذوها وسيلة الى التوسع فى المال ، والتنعيم فى المطعم والمشرب ، وانجر أمرهم الى الهلاك .

فصل

(لا يجوز السؤال من غير حاجة)

ينبغي للمؤمن ألا يسأل الناس من غير حاجة اضطر اليها ، بل يستعفف

عن السؤال ما استطاع ، لأنه فقير معجل ، وحساب طويل يوم القيامة .
والأصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من الله ، واذلال السائل نفسه عند
غير الله ، وايداء المسؤل غالباً ، إذ ربما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب
القلب ، وبعد السؤال أجهأ الحياء أو الرياء إليه ، ومعلوم أن الاعطاء
استجياها أو رياء لتلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إياه الى البخل لا يكون
له حلية شرعاً .

وتضمنه هذه المفاسد ورد في الشريعة المنع منه ، قال رسول الله
- صلى الله عليه وآله - : « مسألة الناس من الفواحش » ، وقال ﷺ : « من
سأل عن ظهر غنى فأنما يستكثر من جمر جهنم ، ومن سأل وله ما يغنيه جاء
يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم » . وقال ﷺ : « من سأل
الناس وعنده قوت ثلاثة أيام لقي الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم » ، (١)
وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما من عبد فتح على نفسه باباً من المسألة إلا
فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » . وقال : « إن المسألة لا تحل إلا لفقر
مدقع أو غرم مفضع » . وقال : « السؤال عن ظهر غنى صداع في الرأس ،
وداء في البطن » . وقال : « من سأل الناس أموالهم تكثراً فأنما هي جمره
فليستقل منه أو ليستكثر » .

وروى : « أنه جاءت نخذ من الانصار الى رسول الله - صلى الله عليه وآله -
وآله وسلم - فسلموا عليه فرد عليهم السلام ، فقالوا يا رسول الله ان لنا
اليك حاجة فقال : (هاتوا حاجتكم) فقالوا إنها حاجة عظيمة فقال : (هاتوها
ما هي) قالوا : تضمن لنا على ربك الجنة ، فنكس رأسه ، ثم نكت (٢)

(١) روى هذا الحديث عينه عن الصادق - عليه السلام - (الوسائل كتاب الزكاة

ابواب الصدقة الباب ٣٢ الحديث ٥) .

(٢) نكت الارض بقضيب او باصبعه ضربها به حال التفكير فاكثرت فيها .

في الأرض ، ثم رفع رأسه فقال : (أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا أحداً شيئاً) ، فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه ، فيكره أن يقول لا نسان ناولنيه فراراً من المسألة وينزل فيأخذه ، ويكون على المائدة ويكون بعض الجلوساء أقرب الى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب ، (١) وبإيعاز قوماً على الاسلام . فاشتراط عليهم السمع والطاعة ، ثم قال لهم خفية : لا تسألوا الناس شيئاً ، فكان بعد ذلك تقع المحفرة من يد احدهم فينزل لها ولا يقول لأحد ناولنيها . وكان صلى الله عليه وسلم يأمر غالباً بالتعفف عن السؤال ، ويقول : « من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى اغناه الله ، ومن لم يسألنا فهو أحب الينا ، وقال : « وما قل من السؤال فهو خير ، قالوا : ومنك يا رسول الله ؟ قال : « ومنى » . وقال : « لو أن أحدكم أخذ حبلًا فبأني بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل » .

وقال سيد الساجدين عليه السلام : « ضمننت على ربي أنه لا يسأل أحد احداً من غير حاجة إلا اضطرته المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة ، ونظر صلى الله عليه وسلم يوم عرفة الى رجال ونساء يسألون ، فقال « هؤلاء شرار خلق الله ، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس » . وقال الباقر عليه السلام : « أقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » ، وقال الصادق عليه السلام : « طلب الحوائج الى الناس استلاب (٢) للعز مذهبة للحياء ، والياس مما في أيدي الناس عز للمؤمن في دينه ، والطمع هو الفقر الحاضر » . وقال

(١) صححنا الحديث على الوسائل (كتاب الزكاة ابواب الصدقة الباب ٣٣

الحديث ٤) وهو يرويه عن السكاك .

(٢) الاستلاب بمعنى السلب ، وهو من باب الافتعال .

الأصايق عليه السلام : « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحدًا ، ولو يعلم المسؤول ما عليه اذا منع مامنع أحد أحدًا » . وقال : « من سأل من غير حاجة فكأنما يأكل الجمر » .

ثم المنع والتحریم إنما هو في السؤال بدون الاضطرار ، وأما مع الحاجة والاضطرار فلا ريب في جوازه ، وقد وردت به الرخصة ، قال الله سبحانه :

« وَأَتَى السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » (١)

وقال رسول الله : « لا تردوا السائل ولو بشق تمر » ، وقال عليه السلام : « لو لا أن السائل يكذب ما قدس من رده » ، وقال عليه السلام : « للسائل حق وإن جاء على الفرس » ، وقال عليه السلام : « لا تردوا السائل ولو بظلف محترق » (٢) . ولو كان السؤال مطلقاً حراماً لما أجاز الله ورسوله إعانة العاصي على معصيته .

ثم الحاجة المجوزة للسؤال : ما بلغت حد الاضطرار ، كسؤال الجائع الخائف على نفسه بالموت أو المرض لو لم يصل إليه قوت ، وسؤال العارى الذى يبدنه مكشوف ويخاف من الحر والبرد - أو لم تبلغ إليه ، وهى إما حاجة (مهمة) كالاحتياج الى الجبة فى الشتاء بحيث لو لاها لتأذى بالبرد تأذياً لا ينتهى الى حد الضرورة ، والاحتياج الى الكرى مع القدرة على المشى مع المشقة ، أو حاجة (خفيفة) كالاحتياج الى الأدام مع وجود الخبز - فالظاهر جواز السؤال فى جميع ذلك (مع رجحانه فى الأول ، وإباحته فى الثانى ، وضروريته فى الثالث) ، بشرط إخلائه عن المحذورات المذكورة ، أعنى الشكوى والذل والايذاء ، وتندفع هذه المحذورات بأن يظهر حاجته تعريضاً

(١) الضحى ، الآية : ١٠ .

(٢) صححنا أكثر الاحاديث هنا على ما فى سفينة البحار الجزء الأول ص ٨٥ . وكتاب

الزكاة من الوسائل ابواب الصدقة باب ٢٣ - ٢٧ وإحياء الأحياء فى كتاب الفقر .

بعد تقديم الشكر لله ، و اظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الإصدقاء أو الأسخياء ، إذ السؤال من الصديق لا يوجب الاذلال ، والسخى لا يتأذى بالسؤال بل يفرح به .

ثم ما ذكر إنما هو في السؤال للاحتياج اليه بعد النسبة لما يحتاج اليه في الحال ، وأما السؤال لما يحتاج اليه في الاستقبال ، فإن كان يحتاج اليه بعد السنة فهو حرام قطعاً ، وإن كان يحتاج اليه قبلها ، سواء كان بعد أربعين يوماً من يومه أو خمسين أو أقل أو أكثر ، فإن أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجة فلا يحل له السؤال ، وإن علم بأنه لا يتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهة والمرجوحية ، وكلما كان تراخي الحاجة عن يومه أكثر كانت الكراهة أشد . ثم معرفة درجات الحاجة وضعفها وشدتها والوقت الذي يحتاج فيه موكل الى العبد ومنوط باجتهاده ونظرة لنفسه بينه وبين الله ، فليعمل به بعد استغناء قلبه على ما يقتضيه سلوك طريق الآخرة ، وكلما كان يقينه أقوى ، وثقته بمجيء الرزق أتم ، وقناعته بقوت الوقت اظهر ، فدرجته عند الله أعلى .

فيا حبيبي ، لا تهبط نفسك من أوج التوكل والاعتماد على الله الى حضيض الخوف والأضطراب في مجيء رزقك ، ولا تصغ الى تخوييف الشيطان ، فإنه يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، وكن مطمئناً بوعده ربك ، إذ قال :

« وَاللَّهُ يَمِدُّكُمْ مِّنْ مِّنْغِفِرَةٍ مِنْهُ وَفَضْلًا » (١)

واسمع قول نبيك - صلى الله عليه وآله - حيث قال : « لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما ترزق الطيور ، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً » .

ومنها :

الحرص

وهو معنى راتب في النفس ، باعث على جميع مالا يحتاج اليه ولا يفيد من الأموال ، من دون أن ينتهي إلى حد يكتفى به ، وهو أقوى شعب حب الدنيا واشهر انواعه . ولا ريب في كونه مله ماله و صفة مضلة ، بل بادية مظلمة الأرجاء والأطراف ، وهاوية غير متناهية الأعماق والأكتاف ، من وقع فيها ضل وباد ، ومن سقط فيها هلك وما عاد . والتجربة والاعتبار والأخبار والآثار متظاهرة على أن الحرص لا ينتهي إلى حد يقف دونه ، بل لا يزال يخوض في غمرات الدنيا إلى أن يغرق ، وتطرحه أرض إلى أرض حتى يهلك . قال رسول الله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب ، لا بتغى وراءهما ثائلاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « منهومان لا يشبعان : منهوم العلم ، ومنهوم المال ، . وقال ﷺ : « يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان : الحرص ، وطول الأمل ، . وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام : « مثل الحرص على الدنيا كمثل دودة القز ، كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج ، حتى تموت غمماً ، . وقال الصادق عليه السلام : « إن فيما نزل به الوحي من السماء : لو أن لابن آدم ولدين يسيلان ذهباً وفضة لا بتغى لهما ثائلاً . يا ابن آدم ، إنما بطنك بجر من البحور وواد من الأودية ، لا يملأه شيء إلا التراب ، . وقال بعض الأكابر : « من عجيب أمر الانسان ، انه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على

الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال ، . ثم ما ورد من الاخبار في ذمه اكثر من أن نحصى ، ولا حاجة الى ايرادها لاشتهارها . وقال الباقر - عليه السلام - : « رب حريص على أمر قد شقي به حين أتاه ، ورب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه ، . وأي خسران أشد من أن يسمى الانسان في طلب به هلاكه ؟ وأي تأمل في أن كلما يحرص عليه الانسان من اموال الدنيا يكون مهلكاً له ؟ »

وصل

(القناعة)

ضد الحرص (القناعة) . وهى ملكة للنفس : توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال ، من دون سعى وتعب في طلب الزائد عنه ، وهى صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل ، وعدمها يؤدى بالعبء الى مساوى الأخلاق والذائل ، وهى المظنة للوصول الى المقصد ، واعظم الوسائل لتحصيل سعادة الأبد ، إذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ، ويقتصر على أقله قدرأ أو أخسسه نوعاً ، ويرد أمه الى يومه أو الى شهره ، ولا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك ، كان فارغ البال مجتمعا لهم ، فيتمكن من الاشتغال بأمر الدين وسلوك طريق الآخرة ، ومن فاتته القناعة ، وتدنس بالحرص والطمع وطول الأمل ، وخاض في غمرات الدنيا ، تفرق قلبه وتشتت أمره . فكيف يمكنه التشمير لتحصيل أمر الدين والوصول الى درجات المتقين ؟ ولذلك ورد في مدح القناعة ما ورد من الاخبار ، قال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن هدى للإسلام ، وكان عيشه كفافاً وقنع به ، . » وقال : « ما من أحد ، من غنى ولا فقير ، إلا ود يوم

القيامة أنه كان اوتى قوتاً في الدنيا ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أيها الناس ، اجمعوا في الطلب ، فإنه ليس للعبد إلا ما كتب له في الدنيا ، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة » . وقال صلى الله عليه وآله : « نفث روح القدس في روعي : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله واجملوا في الطلب » . وقال صلى الله عليه وآله : « كن ورعاً تكن أعبد الناس ، وكن قانعاً تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً » . وفي الخبر القدسي : « يا ابن آدم ، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت ، فإذا أنا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك ، فانا اليك محسن » . وروى : « ان موسى سأل ربه تعالى ، وقال : أى عبادك أغنى ؟ قال : اقمهم لما اعطيته » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « ابن آدم ، إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك ، فان ايسر ما فيها يكفيك ، وإن كنت إنما تريد ما لا يكفيك ، فان كل ما فيها لا يكفيك » . وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام : « إياك أن تطمح بصرك الى من هو فرقك ، فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه - صلى الله عليه وآله - :

« فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ » (١) . وقال :
« وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (٢) .

فان دخلك من ذلك شيء ، فاذا كر عيش رسول الله - صلى الله عليه وآله - فانما كان قوته الشعير ، وحلواه التمر ، ووقوده السعف اذا

(١) النبوة ، الآية : ٥٦ .

(٢) طه ، الآية : ١٣١ .

وجده، (١) وقال : « من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس ». وقال الصادق عليه السلام : « من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله عنه باليسير من العمل ». وقال : « مكتوب في التوراة : ابن آدم ، كن كيف شئت كما تدين تدان ، من رضى من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ، ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور ». وقال : « إن الله عز وجل يقول : يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه ، وذلك أقرب له منى ، ويفرح عبدي المؤمن إن وسعت عليه ، وذلك أبعد له منى ». وقال : « كلما ازداد العبد ايماناً ازداد ضيقاً في معيشتة ». والأخبار الواردة في فضيلة القناعة اكثر من ان تحصى ، وما أوردناه كاف لأهل البصيرة .

فصل

(علاج الحرص)

طريق المعالجة في إزالة الحرص وتحصيل القناعة : أن يتذكر أولاً ما في القناعة من المدح والشرافة ، وعز النفس وفضيلة الحرية ، وما في الحرص من الهم والمهانة ، وتحمل الذلة ومتابعة الشهوة . ويعرف أن من لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن ، فهو قليل العقل ناقص الايمان . ثم يتذكر ما في جمع المال من الآفات الدنيوية والعقوبات الأخروية ، ويكثر التأمل فيما مضى عليه عظماء الخلق وأعز اصنافهم ، أعنى الأنبياء والأوصياء

(١) صححنا الحديث وما قبله على ما في (الكافي) : باب القناعة ، وكذا الحديثين

الذكرين بعده . إلا أن هذا الحديث مروى في (الكافي) عن ابى جعفر - عليه السلام - .

وروى في (الوسائل) عن كتاب الزهد ، في أبواب جهاد النفس من كتاب الجهاد :

الباب ٦١ الحديث ١١ ، ما يقرب من عبارة هذا الحديث عن ابى عبد الله - عليه السلام - .

ومن سار بسيرتهم من السلف الأتقياء ، من صبرهم على القليل ، وقناعتهم باليسير ، وفيما يجري عليه الكفار من الهندو واليهود والنصارى وأراذل الناس واغنيائهم وأماهم ، من التنعم وجمع المال الكثير . وبعد هذا التأمل لا أظنه يشك في أن الاقتداء بأعز الخلائق أحسن من الاقتداء بأراذلهم ، بل المتأمل يعرف ان الحريص المتكاتب على لذات الدنيا خارج عن افق الانسانية ، وداخل في جريدة البهائم ، إذ الحرص على شهوات البطن والفرج من لوازم البهيمية ، واحرص الناس على الشهوات لا يبلغ رتبة البهائم في ذلك . فما من حريص على التنعم في البطن إلا والحمار أكثر كلاً منه ، وما من حريص على الجماع إلا والخنزير أشد نزواً منه . فظنر ان الحريص في مرتبة الخنزير والحمير واليهود والهندو ، والقانع لا يساهمه في الرتبة إلا الأنبياء والأولياء . وبعد التأمل في جميع ما ذكر ، يتم العلاج العلى ، وبه تسهل ازالة الحرص واكتساب القناعة . فليبادر الى العلاج العملى ، وهو العمل بالاقتصاد في أمر المعيشة ، ليسد أبواب الخرج ما أمكن ، ورد النفس الى ما لا بد منه . فان من كثير خرجه واتسع انفاقه ، لم تمكنه القناعة ، فان كان وحده ، اكتفى بثوب خشن ، ويقنع بأى طعام كان ، ويقلل من الأدام ما أمكنه ، وهكذا الحال في سائر ما يضطر اليه ويوطن نفسه عليه . وان كان له عيال رد كل واحد منهم الى هذا القدر . واذا بنى أمره على الاقتصاد ، لم يحتاج الى كثير جهد وإن كان معيلاً . قال رسول الله ﷺ : « ما عال من اقتصد » (١) . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ثلاث منجيات :

(١) روى في (سفينة البحار) : ٢ / ٤٣١ ، عن أمير المؤمنين - عليه السلام -
 مثل هذا الحديث هكذا : « ما عال امرؤ اقتصد » . وكذا في (بحار الانوار) :
 ٢ مج ١٥ / ١٩٩ .

خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغناء والفقير ، والعدل في الرضا والغضب . وقال : « التدبير نصف المعيشة » . وقال : « من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله » . وقال : « الاقتصاد ، وحسن الصمت ، والهدى الصالح ، جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « القصد مائة والسرف متواة » (١) . وقال السجاد - عليه السلام - : « لينفق الرجل بالقصد وبلغة الكفاف ، ويقدم منه الفضل لآخرفته ، فان ذلك أبقى للنعمة ، وأقرب الى المزيد من الله تعالى ، وانفع في العافية » . وقال الصادق - عليه السلام - : « إن القصد أمر يحبه الله ، وأن السرف أمر يبغضه الله ، حتى طرحت النواة ، فانها تصلح لشيء ، وحتى صبتك فضل شراك ، (٢) . وقال - عليه السلام - : « ضمننت لمن اقتصد ألا يفقر ، وقال - عليه السلام - : « إن السرف يورث الفقر ، وإن القصد يورث الغناء » . والأخبار في مدح الاقتصاد أكثر من أن تحصى . ثم اذا تيسرت له المعيشة في الحال ، فلا ينبغي أن يكون مضطرباً لاجل الاستقبال ، ويعتمد على فضل الله ووعده بأن الرزق الذي قدر له يأتيه وإن لم يكن حريصاً ولا مضطرباً لاجله ولا يعلم لنفسه مدخلا يأتي رزقه منه . وقال الله تعالى :

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » (٣) .

(١) صححنا الحديث على ما في (الوافي) : ٢٩٥ / ٥ ، قال فيه : « كلاهما بكسر الميم :

اسم آلة من الثروة . والنوى - بالثناة - بمعنى الهلاك والتلف » .

(٢) صححنا الحديث على ما في (الوافي) : ٢٤٥ / ٥ .

(٣) هود ، الآية : ٦ .

وقال : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » (١).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحسب » .

ثم ينبغى ألا ينظر الى من هو فوقه ، بل ينظر الى من هو دونه في التمتع وفي مال الدنيا ، فإن الشيطان يصرف نظره في أمر الدنيا الى من هو فوقه ، ويقول : لم تفتقر عن طلب الدنيا وارباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ؟ ويصرف نظره في أمر الدين الى من هو دونه ، ويقول : لم تضيق على نفسك وتحاف الله وفلان أعلم منك ولا يخاف الله ؟ قال أبو ذر (ره) : « أوصاني خليلي رسول الله أن انظر الى من هو دوني ، لا الى من هو فوقى في الدنيا » . وقال ﷺ : « اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق ، فليتنظر الى من هو أسفل منه » .
ومنها :

الطمع

وهو التوقع من الناس في أموالهم ، وهو أيضاً من شعب حب الدنيا ومن انواعه ، ومن الرذائل المهلكة . قال رسول الله ﷺ : « اياك والطمع ، فانه الفقر الحاضر » . وقال أمير المؤمنين ﷺ : « استغن عن من شئت تكن نظيره ، وارغب الى من شئت تكن اسيره ، واحسن الى من شئت تكن أميره » . وقال الباقر ﷺ : « بنس العبد عبده له طمع يقوده ،

وبئس العبد عبد له رغبة تذله ، وقيل للصادق عليه السلام : ما الذى يثبت الايمان فى العبد؟ قال : « الورع ، والذى يخرج منه الطمع ، (١) . والأخبار فى ذم الطمع كثيرة ، وكفى به ذمًا أن كل طامع يكون ذليلاً مهيناً عند الناس ، وأن وثوقه بالناس واعتماده عليهم أكثر من وثوقه بالله ، إذ لو كان اعتماده على الله أكثر من اعتماده على الناس لم يكن نظره اليهم ، بل لم يطمع بمن أحد شيئاً إلا من الله سبحانه .

وصل

(الاستغناء عن الناس)

ضد الطمع هو (الاستغناء عن الناس) . وهو من الفضائل الموجبة لتقرب العبد الى الله سبحانه ، إذ من استغنى بالله عن غير الله أحبه الله . والأخبار الآمرة بالانصاف به والمباحة له كثيرة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ليس الغنى عن كثرة العروض ، إنما الغنى غنى النفس » . وقال لأعرابي طلب منه موعظة : « اذا صليت فصل صلاة مودع ، ولا تحدثن بحديث تهتذر منه غداً ، واجمع اليأس عما فى أيدي الناس » . وقال صلى الله عليه وآله : « عليك باليأس عما فى أيدي الناس ، فإنه الغنى الحاضر » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « ليجتمع فى قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم ، فيكون افتقارك اليهم فى لين كلامك وحسن بشرك ، ويكون استغناؤك عنهم فى نزاهة عرضك وبقاء عزك » . وقال سيد الساجدين - عليه السلام - : « رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عما فى أيدي الناس ، ومن لم يرج الناس

(١) صححنا الحديث على (الكافي) فى باب الطمع كما اثبتناه ، لكن فى (سفينة

البحار) : (٢/٩٣ ، رواه عن الصادق - عليه السلام - هكذا : « قال : قلت : ما الذى يثبت

الايمان فى قلب العبد؟ قال : الذى يثبت فيه الورع ، والذى يخرج منه الطمع » .

في شيء ، ورد أمره الى الله تعالى في جميع أموره ، استجاب الله تعالى له في كل شيء . . . وقال الباقر - عليه السلام : « سخاء المرء عما في ايدي الناس اكثر من سخاء النفس والبذل ، ومروءة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى اكثر من مروءة الاعطاء ، وخير المال الثقة بالله واليأس مما في ايدي الناس . . . وقال - عليه السلام - : « اليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن في دينه . . . وقال الصادق عليه السلام : « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس . . . وقال - عليه السلام - : « شيعتنا من لا يسأل الناس ، ولو مات جوعا . . . وقال - عليه السلام - : « ثلاث هن نخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة : الصلاة في آخر الليل ، ويأسه مما في أيدي الناس ، وولايته للإمام من آل محمد - عليهم السلام - . . . وقال عليه السلام : « اذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه شيئاً إلا اعطاه ، فليأس من الناس كلهم ، ولا يكون له رجاء إلا عند الله ، فاذا علم الله ذلك من قلبه ، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، (١) . ثم طريق العلاج في قطع الطمع وكسب الاستغناء قريب مما ذكر في علاج إزالة الحرص وتحصيل القناعة ، فتذكر .

ومنها :

البخل

وهو الامساك حيث ينبغي البذل ، كما أن الاسراف هو البذل حيث ينبغي الامساك ، وكلاهما مذمومان ، والمحمود هو الوسط ، وهو الجود

(١) صححنا الاحاديث هنا - ابتداء من الحديث المروي عن علي عليه السلام - على

(التكافي) : باب الاستغناء عن الناس ، و(الوسائل) : كتاب الزكاة ، ابواب الصدقة ،

والسخاء ، إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء ، وقيل له :

« وَلَا تَجْمَعَنَّ يَدَكَ مَفْلُوءَةً إِلَىٰ مُعْنِقِكَ وَلَا

تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ » (١) . وقال تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا

أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » (٢) .

فالجود وسط بين الافتتار والاسراف ، وبين البسط والقبض ، وهو تقدير البذل والامساك بقدر الواجب اللائق . ولا يمكن في تحقق الجود والسخاء أن يفعل ذلك بالجوارح ما لم يكن قلبه طيباً غير منازع له فيه . فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يضارها فهو متسخ وليس بسخي ، بل ينبغي ألا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له ، وهو صرفه الى ما يجب أو ينبغي صرفه اليه .

فصل

(ذم البخل)

البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجها ، وهو من خبائث الصفات ورذائل الأخلاق . ولذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات والأخبار . قال الله سبحانه :

« الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ

وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... » الآية (٣) .

(٣) النساء ، الآية : ٣٦ .

(١) الاسراء ، الآية : ٣٩ .

(٢) الفرقان ، الآية : ٦٧ .

وقال تعالى : « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « إياكم والشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .
وقال - صلى الله عليه وآله - : « لا يدخل الجنة بخيل ، ولا خب ، ولا خائن ، ولا سيء الملكة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « البخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار . وجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل ، وأدوى الداء البخل » (٢) . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الموبقات ثلاث : شح مطاع ، وهوى متبع ، وعجاب المرء بنفسه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الله يبغض الشيخ الزاني ، والبخيل المنان ، والمعيل المختال » . وقال - صلى الله عليه وآله - « إياكم والشح ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالكذب فكذبوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » (٣) . وقال - صلى الله عليه وآله - : « البخل شجرة تنبت في النار ، فلا يلج النار إلا بخيل » . وقال : « خلق البخل من مقتته ، وجعل رأسه رأساً في أصل شجرة الزقوم ، ودلى بعض أغصانها الى الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها أدخله النار . ألا إن البخل من الكفر ، والكفر

(١) آل عمران ، الآية : ١٨٠ .

(٢) الاحاديث كلها عامية ، صححتها علي (احياء العلوم) و (احياء الاحياء) .

(٣) صححتها الحديث (علي الجار) : ج ٣ من المجلد الخامس عشر ص ١٤٣ ، وكذلك

في النار . وقتل في الجهاد رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - فبكته باكياً ، وقالت : واشهيداه ا فقال النبي - صلى الله عليه وآله - : « ما يدريك انه شهيد ؟ فاعله كان يتكلم بما لا يعنيه ، أو يبخل بما لا ينقصه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الله يبغض البخیل في حياته ، والسخی عند موته » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « السخی الجهول أحب الى الله عز وجل من العابد البخیل » . وقال : « الشح والایمان لا یجتمعان في قلب واحد » . وقال أيضاً : « خصمتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق » . وقال عليه السلام : « لا ینبغی للمؤمن أن یكون بخیلاً ولا جباناً » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « یقول قائلکم : الشحیح أعذر من الظالم . وأی ظلم أظلم عند الله من الشح ؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا یدخل الجنة شحیح ولا بخیل » . وقال : « اللهم إنی أعوذ بک من البخل ا » . وروی : « أنه - صلى الله عليه وآله - كان یطوف بالبيت ، فاذا رجع متعلق باستار الکعبة وهو یقول : بجرمة هذا البيت إلا غفرت لی ذنبي ا قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : وما ذنبک ؟ صفه لی . قال : هو أعظم من أن أصفه لك . قال : ویحک ! ذنبک أعظم أم الأرضون ؟ قال : بل ذنبي یارسول الله . قال عليه السلام : ویحک ! ذنبک أعظم أم الجبال ؟ قال : بل ذنبي یارسول الله . قال - صلى الله عليه وآله - : ذنبک أعظم أم البحار ؟ قال : بل ذنبي یارسول الله . قال - صلى الله عليه وآله - : ذنبک أعظم أم السماوات ؟ قال : بل ذنبي یارسول الله . قال : ذنبک أعظم أم العرش ؟ قال : بل ذنبي یارسول الله . قال : ذنبک أعظم أم الله ؟ قال : بل الله أعظم وأعلى وأجل . قال : ویحک ا فصف لی ذنبک . قال : یارسول الله ، إنی رجل ذو ثروة من المال ، وأن السائل لیأتیني لیسألني فکأنا یتقبلني بشعلة من النار . فقال رسول

الله - صلى الله عليه وآله - : اليك عنى ! لا تحرقنى ببنارك ! فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة ، لو قمت بين الركن والمقام ، ثم صليت الفى الف عام ، وبكيت حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ، ثم مت وأنت لئيم ، لا كعبك الله فى النار ! ويحك ! أما علمت أن الله يقول :

« وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ » (١) .

« وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ؟! (٢) .

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « سيأتى على الناس زمان عضوض ، يعرض المؤمن على مافى يديه ، ولم يؤمر بذلك . قال الله تعالى :

« وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ » (٣) .

وروى : « أنه مامن صباح إلا وقد وكل الله تعالى ملاكين يناديان : اللهم اجعل لكل ممسك تلفاً ، ولكل منفق خلفاً ، . والأخبار فى ذم البخل اكثر من أن تحصى ، مع أن تضمنه للمفاسد الدنيوية والأخروية مما يحكم به الوجدان ولا يحتاج الى دليل وبرهان ، حتى أن النظر الى البخيل يقسى القلب ، ومن كان له صفاء سريرة ، يكرب قلبه ويظلم من ملاقاته ، وقد قيل : (أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه) .

وصل

(السخاء)

ضد البخل (السخاء) . وقد عرفت معناه ، وهو من ثمرة الزهد ، كما

(١) محمد ، الآية : ٣٨ . (٢) البقرة ، الآية : ٢٣٧ .

(٣) الحمر ، الآية : ٩ . التغابن ، الآية : ١٦ .

أن البخل من ثمرة حب الدنيا . فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة أن يكون حاله القناعة إن لم يكن له مال ، والسخاء واصطناع المعروف إن كان له مال . ولا ريب في كون الجود والسخاء من شرائف الصفات ومعالى الأخلاق ، وهو أصل من أصول النجاة ، وأشهر أوصاف النبيين ، وأعرف أخلاق المسلمين . وما ورد في مدحه خارج عن حد الاحصاء ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « السخاء شجرة من شجر الجنة ، أغصانها متدلّية إلى الأرض ، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن السخاء من الإيمان ، والإيمان في الجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « قال الله سبحانه : إن هذا دين ارتضيته لنفسى ، وإن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق ، فاكرموه بهما ما استطعتم » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما جعل الله أوليائه إلا على السخاء وحسن الخلق » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن من موجبات المغفرة : بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، وحسن الكلام » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « نجفوا عن ذنب السخي ، فإن الله أخذ بيده كلما عثر » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء » (١) . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أفضل الأعمال : الصبر والسماحة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « خلقان يحبهما الله ، وهما : حسن الخلق ، والسخاء » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الله جواد يحب الجود » . ويجب معالى الأخلاق ، ويكره سفاسفها . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكن إلى

(١) (البحار) : ٢ / ١٥ / ٢٢١ ، باب الصفاء والسماحة .

ذروة البعير، وأن الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة - عليهم السلام - . . .
وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد ، فمن بخل
بتلك المنافع عن العباد ، نقلها الله عنه وحوّلها إلى غيره . » . وقال صلى الله عليه وآله :
« الجنة دار الأسخياء . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لشاب سخي مرهق
في الذنوب ، أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل ، (١) . » وقال صلى الله عليه وآله : « اصنع
المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله ، فإن أصبت أهله فقد أصبت
أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله . » . وقال - صلى الله عليه وآله - :
« إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ، ولكن دخلوها بسخاء
الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للمسلمين . » . وقال صلى الله عليه وآله : « إن الله
عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه ، حبيب إليهم المعروف وحبيب
اليهم فعاله ، ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطائه ، كما يسر
الغيث إلى البلدة الجذبة فيحديها ويحيي بها أهلها . » . وقال - صلى الله عليه وآله -
« وآله - : « السخي محبب في السماوات ومحبب في الأرضين ، خلق من طينة
عذبة ، وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر ، والبخيل مبغض في السماوات
مبغض في الأرضين ، خلق من طينة سبخة ، وخلق ماء عينيه من ماء
العوسج . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن أفضل الناس إيماناً أبسطهم
كفأ . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « يؤتى يوم القيامة برجل ، فيقال :
احتج . فيقول : يارب ، خلقتني وهديتني ، وأوسعت علي فلم أزل أوسع
علي خلقتك ، وأنشر عليهم لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسره . فيقول
الرب - تعالى ذكره - : « صدق عبي ، أدخلوه الجنة . » . وروى : « أنه أتى
النبي - صلى الله عليه وآله - وفد من اليمن ، وفيهم رجل كان أعظمهم

(١) صححنا الحديث على (البحار) في الموضع المتقدم : (الشيخ) بدل (البخيل) .

كلاماً وأشدهم استقصاء في محاجة النبي ﷺ فغضب النبي حتى التوى عرق الغضب بين عينيه ، وتردد وجهه وأطرق الى الأرض ، فأتاه جبرئيل ﷺ فقال : ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : هذا رجل سخى يطعم الطعام . فسكن عن النبي - صلى الله عليه وآله - الغضب ، ورفع رأسه ، وقال : لو لا ان جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخى تطعم الطعام لشردت بك ، وجعلتلك حديثاً لمن خلقك ! فقال له الرجل : إن ربك يحب السخاء ؟ فقال : نعم ! فقال : إني أشهد ألا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لا رددت عن مالي أحداً ، (١) ، وقال ﷺ : « كل معروف صدقة ، وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة ، وما وقي المرء به عرضه فهو له صدقة ، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « كل معروف صدقة ، والدال على الخير كفاعله ، والله تعالى يحب اغائة اللهفان . » وروى : « أنه أوحى الله الى موسى - عليه السلام - : لا تقتل السامري ، فإنه سخى ، (٢) . » وقال عيسى ﷺ : « استكثروا من شيء لا تأكله النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المعروف . » وقال أمير المؤمنين ﷺ : « ومن يبسط يده بالمعروف إذا وجده ، يخلف الله له ما أنفق في دنياه ، ويضاعف له في آخرته ، (٣) . » وقال الباقر - عليه السلام - : « إن الشمس لتطلع ومعها اربعة أملاك : ملك ينادى : يا صاحب الخير أتم وابشر ، وملك ينادى : يا صاحب الشر

(١) صححنا الحديث على (سفينة البحار) : ١ / ٦٠٧ ، وعلى (الوافي) :

٥ / ٢٩٣ ، في باب الجود والبخل . لكن بينهما اختلاف يسير ، فرجعنا تصحيح الحديث على ما في (السفينة) .

(٢) الروايات كلها عامية ، صححناها على أحياء العلوم : ٣ / ٢١٠ .

(٣) صححنا الحديث على (الوافي) : ٥ / ٢٩٤ ، باب الجود والبخل .

انزع واقصر ، وملك ينادى : اعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً ، وملك
ينضح الأرض بالماء ، ولولا ذلك اشتعلت الأرض ، . وقال الصادق عليه السلام
لبعض جلسائه : « ألا اخبرك بشيء تقرب به من الله وتقرب من الجنة
وتباعد من النار؟ » ، فقال : بلى . فقال : « عليك بالسخاء » . وقال :
« خياركم سمحواؤكم ، وشراركم بخلاؤكم . ومن خالص الأيمان : البر بالاخوان
والسعى في حوائجهم ، وأن البار بالاخوان ليجبه الرحمن ، وفي ذلك مرغمة
للشيطان ، وتزحزح عن النيران ودخول الجنان » . وقال الكاظم عليه السلام :
« السخي الحسن الخلق في كنف الله ، لا يستغلي الله منه حتى يدخله الجنة .
وما بعث الله نبياً ولا وصياً إلا سخياً ، ولا كان أحد من الصالحين إلا سخياً ،
وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى » .

فصل

(معرفة ما يجب أن يبذل)

لعلك تقول : إنك قلت : السخاء هو الوسط بين الاقتار والاسراف ،
وهو صرف المال الى ما يجب أو ينبغي صرفه اليه ، وهذا غير كاف لمعرفة حد
السخاء ، لتوقفه على معرفة ما يجب أو ينبغي ، وهو عندنا مبهم .

قلنا : ما يجب أو ينبغي يتناول الواجب واللائق بحسب الشرع والمروءة
والعادة . فالسخي هو الذي يؤدي واجب الشرع وواجب المروءة والعادة
جميعاً ، فإن منع واحداً منها فهو بخيل ، وإن كان الذي يمنع واجب الشرع
أبخل . ثم ما يجب بذله شرعاً مضبوط معين ، من الزكاة والخمس وغيرهما
من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه ، والانفاق على أهله وعياله على
قدر احتياجهم . فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعي ، ويستحق

اسم السخي شرعاً ، إذا كان الأداء بطيبة من قلبه ، من دون أن يشق عليه ، إذ لو شق عليه ذلك كان بخيلاً بالطبع ومتسخياً بالتكلف . وأما ما يجب مروءة وعادة ، فهو ترك المضايقة في بذل ما يستقبح المضايقة فيه عرفاً وعادة ، وهو يختلف في الأحوال والاشخاص ، فتستقبح من الغنى المضايقة مالا يستقبح من الفقير ، ومع الأهل والأقارب مالا يستقبح مع الأجانب ، ومع الجار مالا يستقبح من البعيد ، وفي الضيافة مالا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة ، ويستقبح من المضايقة في الأطعمة مالا يستقبح في غيرها . وبالجملة : يختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة ، وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلك ، وبمن معه المضايقة من صديق أو قريب أو جار أو أجنبي أو بعيد ، وبمن منه المضايقة من غنى أو فقير أو أمير أو رعية أو عالم أو جاهل أو صبي أو كامل . فالسخي هو الذي لا يمنع حيث ينبغي ألا يمنع شرعاً أو مروءة أو عادة ، والبخيل من يمنع شيئاً مما ينبغي ألا يمنع شرعاً أو مروءة أو عادة . ولا يمكن التنصيص على مقدار ذلك ، فلعل حد البخل هو امساك المال لغرض ذلك الغرض أهم من حفظ المال ، وفي مقابله الجود والسخاء .

ثم من يؤدي الواجب ويحفظ العادة والمروءة ، ولكنه له مال كثير قد جمعه ، لا يصرفه إلى المحتاجين ولا ينفقه في الصدقات المستحبة ليكون له عدة على نوائب الزمان ، وإن لم يكن بخيلاً عند عوام الخلق ، ولكنه بخيل عند أهل الفطنة والكياسة . إذ التبرى عن البخل والاتصاف بصفة الجود والسخاء لا يتحقق عندهم مالم يبذل زيادة على قدر واجب الشرع وواجب المروءة والعادة اللائقة به ، لطلب الفضيلة والثواب ، ونيل الدرجات في الآخرة . وتختلف هذه الزيادة باختلاف مقدار ماله ، وباختلاف

حاجة المحتاجين وصلاتهم وورعهم . فاتصافه بالجود ، بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ، وتختلف درجات ذلك . فاصطناع المعروف أمر وراء ما توجهه العادة والمروءة ، وهو الجود بشرط أن يكون عن طيبة من النفس ، ولا يكون لأجل غرض ، من خدمة أو مدح وثناء . إذ من يبذل المال بعرض المدح والثناء أو غيره فليس بجواد ، بل هو يباع يشتري المدح بماله ، لتكون المدح الذعنده من المال .

فالجود هو بذل الشيء عن طيبة من القلب من غير غرض، وهذا وإن كان حقيقة ، إلا أنه لا يتصور في غير حق الله ، إذ ما من انسان يبذل الشيء إلا لغرض ، لكن إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة ، ورفع الدرجات ، واكتساب فضيلة الجود ، وتطهير النفس عن رذيلة البخل ، سمي جواداً ، وإن كان غرضه شيئاً من الامور الدنيوية لم يسم جواداً .

تفسير

(الايثار)

أرفع درجات الجود والسخاء (الايثار) ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه . قال الله سبحانه في معرض الثناء على أهل الايثار :

« وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ » (١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « إيماناً وشهوة شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه ، غفرله » .

وكان الايثار من شعار رسول الله - صلى الله عليه وآله - ، ولقد قالت بعض زوجاته : « إنه - صلى الله عليه وآله - ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولسكننا كنا نؤثر على أنفسنا . » وروى : « أن موسى بن عمران قال : يا رب ، أرني بعض درجات محمد وامته . قال : يا موسى ، إنك لن تطيق ذلك ، لكنى اريك منزلة من منازلها ، جليلة عظيمة ، فضلتها بها عليك وعلى جميع خلقي . قال (١) : فكشف له عن ملاكوت السموات ، فنظر الى منزلة كادت أن تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله ، فقال : يا رب ، بماذا بلغت به الى هذه الكرامة ؟ قال تعالى : بخلق اختصاصته به من بينهم ، وهو الايثار . يا موسى ، لا يأيننى أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبه ، وبواته من جنتى حيث يشاء . » . وسئل الصادق - عليه السلام - : « أى الصدقة أفضل ؟ قال بإيثار : جهد المقل . أما سمعت قول الله عز وجل : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ . وإيثار علي - عليه السلام - غيره فى جميع أوقات عمره مشهور ، وفى الكتب مسطور . ولقد آثر حياة رسول الله - صلى الله عليه وآله - على حياته ليلة المبيت ، فباهى الله به الملائكة ، وأنزل فيه :

« وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِ اللَّهِ » (٢) .

ولقد كان الخواص من شيعته والمقتدون به فى سنته وسيرته ، يجتهدون فى المحافظة على هذه الفضيلة مهما أمكن .

فصل

(علاج مرض البخل)

علاج مرض البخل يتم بعلم وعمل . والعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود ، والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف الى أن يصير طبعاً له . فكل طالب لازالة البخل وكسب الجود ينبغي أن يكثّر التأمل في اخبار ذم البخل ومدح السخاء ، وما توعد الله به على البخل من العذاب العظيم ، ويكثّر التأمل في أحوال البخلاء وفي نفرة الطبع عنهم ، حتى يعرف بنور المعرفة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة . ثم يكلف نفسه على البذل ومفارقة المال ، ولا يزال يفعل ذلك الى ان يبيع رغبته في البذل ، وكلما تحركت الرغبة ينبغي ان يجتنب الخاطر الاول ولا يتوقف ، لأن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويوسوسه بانواع الوسوس الصاعدة عن البذل .

ولو كان مرض البخل مزمناً غير مندفع بما مر ، فمن معالجاته أن يندفع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالجود ، فيبذل على قصد الرياء ، حتى تسمع نفسه بالبذل طمعاً في الاشتهار بصفة الجود ، فيكون قد زال عن نفسه رذيلة البخل واكتسب خبث الرياء ، ولاكن يتعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ، ويكون طلب الشهرة والاسم كالتسليمية للنفس عند فطامها عن المال ، كما يسلى الصبي عند فطامه عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها ، لا ليكون اللعب مطلوباً بذاته ، بل لينتقل من الثدي اليه ثم ينتقل عنه الى غيره . فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض حتى يندفع الجميع ، فتسلط الشهوة على الغضب حتى تكسر سورته بها ، ويسلط

الغضب على الشهوة حتى تنكسر رعوتها به . وقد جرت سنة الله بدفع المؤذيات والمهلكات بعضها ببعض ، الى أن يندفع الجميع ، سواء كانت من الصفات المؤذية أو من الاشخاص المؤذية من الظلمة والاشرار ، ألا ترى انه يسלט الظالمين والاشرار بعضهم على بعض الى أن يهلك الجميع ؟

ومثال ذلك - كما قيل - : ان الميت تستحيل جميع اجزائه دوداً ، ثم يأكل بعض الديدان بعضاً ، الى ان يرجع الى اثنين قويين ، ثم لا يزالان يتقابلان ويتعارضان ، الى أن يغلب احدهما الآخر فيأكله ويسمن به ، ثم لا يزال يبقى وحده جائعاً الى أن يموت . فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسלט بعض على بعضها حتى يقممها ، فيجعل الاضعف قوتاً للاقوى ، الى ان لا تبقى إلا واحدة . ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة ، وهو منع القوت منها ، أى عدم العمل بمقتضاها ، فانها تقتضى لا محالة آثراً ، فاذا خولفت خدمت وملأت . مثلاً البخل يقتضى إمساك المال ، فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد والمشقة مرة بعد أخرى ، ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعاً ، وسقط التعب والمشقة فيه .

ثم العمدة في علاجه أن يقطع سببه ، وسببه حب المال ، وسبب حب المال: إما حب الشهوات التي يتوقف الوصول اليها على المال مع طول الأمل ، إذ لو لم يكن له طول أمل وعلم أنه يموت بعد أيام قلائل ربما لم يبخل بماله ، أو ادخاره وإبقاؤه لأولاده ، فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه ، فيمسك المال لا جلهم ، أو حبه عين المال من حيث إنه مال فيحب ، فان بعض الناس من المشايخ والمعمرين يكون له من المال ما يكفيه لغاية ما يتصور من بقية عمره ، وتزيد معه اموال كثيرة ، ولا ولد له ليحتاط لأجله ، مع ذلك لا تسمح نفسه باخراج مثل الزكاة وداواة نفسه عند المرض ، بل هو

حُب الدنانير ، عاشق لها ، يتلذذ بوجودها في يده ، مع علمه بأنه عن قريب يموت ، فتضيع أو تأخذها اعداؤه ، ومع ذلك لا تسمح نفسه بأن يأكل منها أو يتصدق ببعضها . وهذا مرض عسر العلاج ، لاسيما في كبر السن ، إذ حينئذ يكون المريض مزمناً والطبيعة المدافعة له قاصرة والبدن ضعيفاً . ومثله مثل من عشق شخصاً فاحب رسوله ، ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله . فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات ، وهي محبوبه من هذه الحيثية ، لامن حيث أنها دنانير ، فمن نسي الحاجات وصارت الدنانير محبوبه عنده في نفسها ، فهو في غاية الضلالة والخسران ، بل من رأى بين الفاضل منها عن قدر الحاجة وبين الحجر فرقا ، فهو في غاية الجهل .

ثم لما كان الطريق في قطع سبب كل علة أن يواظب على ضد هذا السبب ، فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ، ويعالج التفات القلب الى الاولاد بأن الذي خلقهم خلق ارزاقهم ، وكمن ولد لم يرث مالا من أبيه وحاله أحسن بمن ورث ، وبأن يعلم أن ولده إن كان تقياً صالحاً فيكفيه الله ، وإن كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته عليه ، ويعالج حب المال من حيث أنه مال ، بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق ، فلا يحفظ منه إلا بقدر حاجته ، ويبدل الباقي على المستحقين ليبقى له ثوابه في الآخرة .

تذويب

اعلم أن بذل الأموال وانفاقها المترتب على صفة الجود والسخاء يتناول اموراً : بعضها واجب ، وبعضها مندوب . وقد ورد في فضيلة كل

منها بخصوصه أخبار، فلا بد لنا أن نشير الى ذلك تأكيداً لبيان فضل السخاء،
والى بعض ما لها من الآداب والدقائق الباطنة ، ونحيل ما لها من الأحكام
والشروط الظاهرة الى كتب الفقه ، فنقول :
اما الأمور الواجبة ، فأولها :

الزكاة

والآيات والأخبار الواردة في ذم تاركها ومدح فاعلها كثيرة . قال
الله سبحانه :

« فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » (١) . وقال تعالى :
« وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (٢) .

ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكاة ، كما ورد عن أهل البيت
- عليهم السلام - ، وأجمع عليه المفسرون . وقال رسول الله ﷺ :
« اذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها ، . وقال الباقر - عليه السلام - :
« إن الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة ، قال :

« فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » (٣)

فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة ، فلم يقم الصلاة . . وقال الصادق
- عليه السلام - : « ما من ذى مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله ، إلا حبسه

(١) و(٣) الحج ، الآية : ٧٨ . المجادلة ، الآية : ١٣ .

(٢) التوبة ، الآية : ٣٥ ،

الله يوم القيامة بقاع قرقر ، وسلط عليه شجاعاً اقرع يريد به وهو يحيد عنه ، فاذا رأى أنه لا يتخلص منه ، أمكنه من يده ، فقضمها كما يقضم الفحل ، ثم يصير طوقاً في عنقه ، وذلك قول الله تعالى :

« سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١)

وما من ذى مال إبل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله ، إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر ، تطأه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنهشه كل ذات ناب بنابها ، وما من ذى مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها ، إلا طوقه الله تعالى ريمة أرضه الى سبع أرضين الى يوم القيامة ، (٢) . وقال ﷺ : ما فرض الله على هذه الأمة شيئاً أشد عليهم من الزكاة ، وفيها تهلك عامتهم . وقال : من منع قيراطاً من الزكاة ، فليس بمؤمن ولا مسلم ، وهو قوله تعالى :

« قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ » (٣) .

وقال ﷺ : إنما وضعت الزكاة اختياراً للاغنياء ، ومعونة للفقراء . ولو أن الناس ادوا زكاة أموالهم ، ما بقى مسلم فقيراً محتاجاً ، ولا استغنى بما فرض الله له . وإن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا

(١) آل عمران ، الآية : ١٨٠ .

(٢) قال في (الروافى) : ٦ / ٢٤١ ، باب الزكاة : « بيان (القاع) : الأرض السهلة المطمئنة . و (القرقر) : الأرض المستوية اللينة . و (الشجاع) - بالضم والكسر - : الحية ، أو الذكركر منها ، أو ضرب منها . و (الفحل) - بالهمزة - : الذكركر من كل حيوان ، ومن الإبل خاصة ، وهو المراد هنا . (الريع) - بكسر الراء وفتحها - : المرتفع من الأرض »

(٣) المؤمنون ، الآية : ٩٩ - ١٠٠ ،

عروا إلا بذنوب الأغنياء ، وحقيق على الله أن يمنع رحمته من منع حق الله في ماله . واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق : أنه ما ضاع مال في بر ولا بجر إلا بترك الزكاة . وما صيد صيد في بر ولا بجر إلا بترك التسبيح في ذلك اليوم ، وإن أحب الناس الى الله تعالى أسخاهم كفاً ، وأسخى الناس من أدى زكاة ماله ، ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله . وقال عليه السلام : إن الزكاة ليس يحمد بها صاحبها ، وإنما هو شيء ظاهر حقن بها دمه وسمى بها مسلماً ، ولو لم يؤدها لم تقبل له صلاة ، (١) . والأخبار في فضل الزكاة وذم تاركها أكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه كاف لا يقاظ الطالبين .

فصل

(سر وجوب الزكاة ، وفضيلة سائر الانفاقات)

السر في إيجاب الزكاة ، بل فضيلة مطلق انفاق المال ، ثلاثة أمور :
 الأول - أن التوحيد العام ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، إذ المحبة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وإنما تمتحن درجة الحب بمفارقة سائر المحاب ، والاموال محبوبة عند الناس ، لأنها آلة تمتعهم بالدنيا ، ولاجلها يأنفون بهذا العالم ، ويخافون من الموت ويتوحدشون منه ، مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا في صدق دعواهم الحب التام لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم ، اعنى المال ، ولذلك قال الله سبحانه :

« إِنَّا اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ « (١).

ولفهم هذا السر في بذل الأموال ، انقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة لثلاثة أقسام : (قسم) صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ، ولم يجعلوا قلوبهم إلا محلا لحب واحد . فنزلوا عن جميع أموالهم ، ولم يدخروا شيئاً من الدرهم والدينار وغيرهما من أنواع المال ، ولم يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم ، حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟ فقال : أما على العوام - بحكم الشرع - خمسة دراهم ، وأما نحن ، فيجب علينا بذل الجميع . وسئل الصادق - عليه السلام - : « في كم يجب الزكاة من المال ؟ فقال : أما الزكاة الظاهرة ، ففي كل الف خمسة وعشرون ، وأما الباطنة ، فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك . » (و) (قسم) درجاتهم دون هذا ، وهم الذين أمسكوا أموالهم ، ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات ومراسم الخيرات ، ويكون قصدهم من الامساك الانفاق على قدر الحاجة ، دون التمتع ، وصرف الفاضل عن قدر الحاجة الى وجوه البر . وهؤلاء لا يقتصرون على اعطاء مجرد ما يجب عليهم من الزكاة والخمس ، بل يؤدون جميع انواع البر والمعروف أو اكثرها . (و) (قسم) اقتصروا على اداء الواجب ، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه . وهو أدون الدرجات وأقل المراتب ، وهو درجة العوام الراغبين الى المال ، لجهلهم بحقيقته وفائدته ، وضعف حبهم للأخرة .

الثاني - تطهير النفس عن رذيلة البخل ، فانه من المهمات كما تقدم - ، وإنما تزول هذه الرذيلة ببذل المال مرة بعد أخرى حتى

يتعود ، إذ حب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها ، حتى يصير ذلك اعتياداً . وعلى هذا ، فالانفاق يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله ، وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى .

الثالث - شكر النعمة ، فان لله سبحانه على عبده نعمة في نفسه ونعمة في ماله . فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال . وما أقيح بالغنى المسلم أن ينظر الى فقير مسلم ، وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال ، واحواج غيره اليه ، باعطاء عشر أو ربع عشر من ماله .

فصل

(الحث على التعجيل في الاعطاء)

ينبغي للمعطي المنفق ، عند ظهور داعية الخير من باطنه ، أن يغتنم الفرصة ، ويسارع الى الامتثال ، تعجيلاً لادخال السرور في قلوب الفقراء ، وحذراً عن عوائق الزمان المانعة عن الخيرات ، وعلماً بأن في التأخير آفات ، وتنهباً بأن انبعاث داعية الخير لمة الملك ، وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن ، فما اسرع قلبه ، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر ، وله لمة عقيب لمة الملك ، وصوناً للفقراء عن الاضطرار الى السؤال ، إذ ورد : ان الاعطاء معه مكافاة لوجهه المبذول وثمن لما أخذ منه ، وليس بمعروف . وروى : أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث الى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيضة ، وكان الرجل ممن ترجى نوافله ، ويؤمل نائله ورفده ، وكان لا يسأل علماً ولا غيره شيئاً . فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام :

والله ما سألك فلان شيئاً ، ولقد كان يجزيه من الخمسة أو ساق وسق واحد . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لاكثر الله في المؤمنين ضربك ! أعطى أنا ، وتبخل أنت ! الله أنت ! اذا أنا لم أعط الذى يرجونى إلا من بعد المسألة ، ثم أعطيه بعد المسألة ، فلم اعطه إلا ثمن ما أخذت منه ، وذلك لاني عرضته أن يبذل لى وجهه الذى يعفوه فى التراب لربى ورببه عز وجل عند تعبده له وطلب حوائجه اليه . فمن فعل هذا بأخيه المسلم ، وقد عرف أنه موضع لصلته ومعروفه ، فلم يصدق الله فى دعائه ، حيث يتمنى له الجنة بلسانه ، ويبخل عليه بالحطام من ماله ، (١) . ثم ينبغى أن يعين لأداء صدقته وقتاً فاضلاً ، كيوم الغدير وشهر ذى الحجة ، (لا) سيما العشرة الأولى ، أو شهر رمضان ، (لا) سيما العشرة الأخيرة . وقد ورد أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - كان أجود الخلق ، وكان فى رمضان كالريح المرسلة ، لا يمسك فيه شيئاً .

فصل

(فضيلة اعلان الصدقة الواجبة)

الصدقة الواجبة ، أعنى الزكاة ، اعلانها أفضل من اسرارها - إن كان فى اظهارها ترغيب للناس فى الاقتداء ، وأمن من تطرق الرياء ، ولم يكن الفقير بحيث يستحي من أخذها علانية . قال الصادق عليه السلام : « كلما فرض الله عليك ، فاعلانه أفضل من إسراره ، وكلما كان تطوعاً فاسراره

(١) صححنا الحديث على (الوافى) : ٦ / ٢٨٦ ، باب آداب الاعطاء . قال :

(البقيعة) . ضيعة بالمدينة ، و (النوافل) : العطايا ، و (الله أنت !) : أى كن لله وانصفنى

أفضل من اعلانه ، ولو أن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه علانية ، كان ذلك حسناً جميلاً ، . وقال في قوله تعالى :

« وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ » (١) :

« هي ما سوى الزكاة ، فان الزكاة علانية غير سرية ، . فلو دخل في نفسه الرياء مع الاظهار ، أو كان الفقير يستحي من أخذها علانية ، كان الاسرار بها أفضل : أما الأول : فظاهر ، وأما الثاني : فلما روى : « انه قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام : الرجل من اصحابنا يستحي من أن يأخذ من الزكاة ، فاعطيه من الزكاة ولا اسمي له انها من الزكاة . فقال : اعطه ولا تسم له ، ولا تذلل المؤمن ، .

وبالجملة : الاعلان كما يتصور فيه فائدة الترغيب ، يتطرق اليه محذور الرياء والمن والأذى ، وذلك يختلف بالأحوال والأشخاص . فبالنظر الى بعض الأحوال والأشخاص ، يكون الاعلان أفضل ، وبالنظر الى بعض آخر ، يكون الاسرار أفضل . فلا بد لسلك منفق أن يلاحظ حاله ووقته ، ويقابل الفائدة بالمحذور ، ويختار ما هو الأفضل . ومن عرف الفوائد والفوائد ، ولم ينظر بعين الشهوة ، اتضح له ما هو الأولى والاليق .

فصل

(ذم المن والأذى في الصدقة)

ينبغي للمتصدق أن يجتنب عن المن والأذى . قال الله سبحانه :

« لا تُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى » (١) .
 وقال : « قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ
 يَتَّبِعُهَا أَذَى » (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال ، وكرهتمن للاوصياء من ولدى واتباعهم من بعدى : العبث في الصلاة ، والرفث في الصوم ، والمن بعد الصدقة ، وإتيان المساجد جنباً ، والتطلع في الوفد ، والضحك بين القبور ، .

(والمن) : أن يرى نفسه محسناً . ومن ثمراتها الظاهرة : الاظهار بالانفاق ، والتحدث به ، وطلب المكافاة منه ، بالشكر والخدمة والتعظيم ، والمتابعة في الأمور . و(الأذى) : التعمير ، والتوبيخ ، والاستخفاف ، والاستخدام ، والقول السيء ، وتقطيب الوجه ، وهتك الستر . ثم معرفة الأذى ظاهرة ، وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن . واما المن الباطني ، اى رؤية نفسه محسناً ، فيعرف بأن يكون استبعاده من خيانة القابض بعد العطاء اكثر من استبعاده منه قبله .

وعلاج المن : أن يعرف ان المحسن هو الفقير القابض لا يصاله الثواب والانجاء من العذاب ، وكونه نائباً عن الله تعالى ، وكون ما يعطيه حقاً من الله سبحانه ، أحال عليه الفقير انجازاً لما وعده من الرزق . وعلاج الأذى : أن يعرف أن سببه استكثار العطاء وكرهية إنفاق المال والتكبر على الفقير القابض برؤية نفسه خيراً منه ، لغنائه واحتياجه ، وجميع

ذلك جهل و حماقة . اما استكثاره العطاء ، فلأن ما اعطاه بالنظر الى ما يطلبه لأجله من رضا الله وثواب الآخرة في غاية القلة والخسة ، وكيف يستعظم العاقل بذل خسيس فان إذا اخذ في مقابله ، خطيراً باقياً . واما استحقاقه الفقير ، فلما تقدم من فضل الفقير على الغني ، فكيف يرى نفسه خيراً منه ؟ وكفى للفقير فضلاً : ان الله سبحانه جعل الغني مسخرآ له ، بأن يكتسب المال بالجهد والتعب ، ويسعى في حفظه ، ويسلمه الى الفقير بقدر حاجته ، ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلمه اليه . فالغني يخدم الفقير في طلب المال ، مع كون ما يحمده منه للفقير ، وكون ما يذم منه ، من تحمل المشاق وتقلد المظالم وحراسة الفضلات الى أن يموت فتأكله الأعداء ، على الغني .

وبالجملة : العاقل ، بعد التأمل ، يعلم أن ما يعطيه قليل في مقابلة ما يأخذه ، وأن الفقير محسن اليه . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ومن علم أن ما صنع إنما صنع الى نفسه ، لم يستبطنه الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت الى نفسك ووقيت به عرضك ، واعلم أن الطالب اليك لحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك ، فاکرم وجهك عن رده ، (١) . وينبغي للمحترز عن المن والأذى أن يتواضع ويتخضع للفقير عند اعطائه ، بأن يضع الصدقة لديه ، ويمثل قائماً بين يديه ، أو يبسط كفه ليأخذ الفقير ، وتكون يد الفقير هي العليا .

فصل

(ما ينبغي للمعطي)

ومما ينبغي للمعطي أن يستصغر العطية ليعظم عند الله ، وإن استعظمها

(١) صحنا الحديث علي (الوافي) : ٦ / ٢٩٠ ، كتاب الزكاة ، باب ٧ المعروف ونضله .

صغرت عند الله ، قال الصادق - عليه السلام - : رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال : تصغيره ، وتستيره ، وتعجيله . فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه ، وإذا سترته تممته ، وإذا عجّلته هنأته ، وإن كان غير ذلك محقته ونكذته ، (١) . واستعظام العطاء غير المن والأذى ، إذ الصرف الى عمارة المسجد ومثله يتأتى فيه الاستعظام ، ولا يتأتى فيه المن والأذى ، وأن يعطى الأجرود والأحب والأبعد عن الشبهة ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبة الى الله ، إذ إمساك الجيد لنفسه وأهله ، وانفاق الردىء فى سبيل الله ، يوجب ايثار غير الله وترجيحه عليه ، ولو فعل هذا اضعيف وقدم اليه اردأ طعام فى البيت لانكسر قلبه ووغر به صدره .

هذا إذا كان نظره الى الله بأن يتصدق لوجه الله ، من غير ملاحظة عوض لنفسه فى دار الآخرة ، وان كان نظره الى نفسه وثوابه فى الآخرة ، فلا ريب فى أن العاقل لا يؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى ، وأكل فأفنى . ولعظم فائدة انفاق الأجرود الأحب ، وقبح انفاق الردىء الأخص ، قال الله تعالى :

« أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ » (٢) :

(١) صححنا الحديث على (الواق) : (٦ / ٢٩١ ، كتاب الزكاة ، باب آداب المعروف .

(٢) البقرة ، الآية : ٢٦٧ .

أى لاتأخذونه إلا مع كراهية وحياء ، وهو معنى الاغماض ، وما هذا شأنه عندكم فلا تؤثروا به ربكم . وقال سبحانه :

« كُنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » (١).

وقال : « وَيَجْمَعُونَ اللَّهُ مَا يَكْرَهُونَ » (٢).

وفى الخبر : « سبق درهم مائة الف درهم ، . وذلك بأن يخرج الانسان وهو من أحل ماله وأجوده ، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل ، وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله ، فيبدل على أنه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه .

ومما ينبغي له أن يغنى الفقير إذا قدر ، فى الخبر إذا أعطيته فأغنه ، وأن يقبل يده بعد الاعطاء ، لأنه يقع فى يد الله تعالى اولاً . قال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « إذا ناولتم المسائل فليرد الذى ناوله يده الى فيه فيقبلها ، فان الله عز وجل يأخذ الصدقات ، . وقال النبي ﷺ : « ما تقع صدقة المؤمن فى يد المسائل حتى تقع فى يد الله ، ، ثم تلا هذه الآية :

« أَلَمْ يَأْمُرْ أَنْ اللَّهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ

عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ؟ » (٣) .

وقال الصادق - عليه السلام - : « إن الله تعالى يقول : ما من شيء إلا وقد وكلت به من يقبضه غيرى ، إلا الصدقة ، فإنى أتلقفها بيدي تلقفاً ، حتى أن الرجل ليتصدق بالتمر أو بشق تمر ، فأرهبها له كما يرى الرجل فلوله

(٣) التوبة . الآية : ١٠٥ .

(١) آل عمران ، الآية : ٩٢ .

(٢) النحل ، الآية : ٩٢ .

وفصيله ، فتأتى يوم القيامة وهى مثل أحد وأعظم من أحد ، (١) . وأن يلتمس الدعاء من الفقير ، لأن دعاه يستجاب فيه ، كما روى : « أن علي بن الحسين - عليه السلام - كان يقول للخادم : امسك قليلاً حتى يدعو ، فإن دعوة السائل الفقير لا ترد . وإنه ^{بإذن} كان يأمر الخادم إذا أعطى السائل ، أن يأمره أن يدعو بالخير . وعن أحدهما - عليهما السلام - : « إذا أعطيتهم فلمتنوهم الدعاء ، فإنه يستجاب لهم فيكم ، ولا يستجاب لهم فى أنفسهم . وما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض ، لأنه شبيه المكافاة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ، ولو أرسلوا معروفاً الى فقير ، قالوا للرسول احفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله ، خلاف طريقة أمتنا الراشدين - عليهم السلام - ، فلا اعتبار به عندنا .

وعما ينبغي له أيضاً أن يصرف الصدقات الى من يكثر بإعطائه الأجر ، كأهل الورع والعلم ، وأرباب التقوى والصدق ، والكاملين فى الإيمان والتشيع . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « لا يأكل طعامك إلا تقي » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اطعموا طعامكم الأتقياء » . وقال ^{عليه السلام} : « أضف بطعامك من تحبه فى الله » . ولكن يرفعهم من الزكاة الواجبة والصدقات ، لأنها أوساخ الاموال ، ويوسع عليهم بالهدايا والصلوات ، فى الخبر : « مستحقو الزكاة المستضعفون من شيعة محمد وآله : الذين لم تقو بصائرهم ، وأما من قويت بصيرته وحسنت بالولاية لأوليائهم والبراءة من أعدائهم معرفته ، فذاك أخوكم فى الدين ، امس بكم رحماً من الآباء والامهات المخالفين ، فلا تعطوه زكاة ولا صدقة ، فان موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد ، تحرم على جماعتنا الزكاة والصدقة . وليكن ما تعطونه اخوانكم

(١) صححنا الحديث على (الوافى) : ٦ / ٢٦٢ ، باب فضل الصدقة .

المستبصرين البر ، وارفعوهم عن الزكاة والصدقات ، ونزهوهم عن أن تصبوا عليهم أو ساخكم . يجب أحذكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن ؟ إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن ، فلا توسخوا إخوانكم . . . ، الحديث .

ولا ينبغي أن يصرف إلى من نظره إلى الوسائط ، بل ينبغي الصرف إلى من بلغ مقام التوحيد ، ويرى النعمة من الله ، ولا ينظر إلى الوسائط . إذ من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط ، فغير خال من نوع من الشرك الخفي . قال الصادق عليه السلام في قول الله تعالى :

« وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ » (١) :

« هو قول الرجل : لو لافلان لهلكت اولولا فلان لما أصبت كذا اولولا فلان لضاع عيالي ! ألا ترى أنه قد جعل لله شريكا في ملكه ، يرزقه أو يدفع عنه؟ ، فقال الراوى : يجوز أن يقال : لولا أن الله من علي بفلان لهلكت ؟ قال : نعم ! إلا بأس بهذا . ومن أهل المزية والاختصاص بالبذل إليه ، من كان مستترا سائرا للحاجة ، كائناً من أهل المروة ، متغشياً في جلباب التجمل ، محصوراً في سبيل الله ، محبوساً في طريق الآخرة بعميلة أو مرض أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب ، والأولى من السكك الأقارب وأولو الأرحام من أهل الاحتياج ، فإن الانفاق عليهم صدقة وصلة . وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى ، قال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « إن أصل أخاً من إخواني بدرهم ، أحب إلي من أن أتصدق بعشرين درهماً ،

ولإن أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة ، . وفي خبر آخر : ولا صدقة وذو رحم محتاج ، الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين . . وفي الخبر : إن أفضل الصدقات والصلات الانفاق على ذى الرحم الكاشح ، : يعنى المبغض ، وكأنه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص والتقوى .

فصل

(ما ينبغي للفقراء فى أخذ الصدقة)

ينبغي للفقير الآخذ أن يعلم أن الله تعالى أوجب صرف المال اليه ليكنى مهمته ، فيتجرد للعبادة والاستعداد للموت ، فينبغى أن يتأهب لذلك ولا يصرفه عنه فضول الدنيا ، ويشكر الله على ذلك ، ويشكر المعطى ، فيدعوه ويثنى عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه ، قال رسول الله ﷺ : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » . وقال الصادق - عليه السلام - : « لعن الله قاطعى سبيل المعروف قيل : وما قاطعوسبيل المعروف؟ قال : الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره . فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك الى غيره » (١) وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « من صنع بمثل ما صنع اليه فأنما كافاه ، ومن ضعفه كان شكوراً ، ومن شكر كان كريماً » .

وينبغى له أيضاً أن يستر عيوب صاحب العطاء ، ولا يذمه ولا يحقره ، ولا يعيره بالمنع اذا منع ، ويفخم عند نفسه وعند الناس اعطائه ، بحيث

(١) صحننا الحديث على (الكافى) : ٤ / ٣٣ ، كتاب الزكاة ، باب من كفر

لا يخرج منه عن كونه واسطة ، لئلا يكون مشركاً ، وأن يتوقى مواقع الحرمة والريبة والشبهة في أصله ومقداره ، فلا يأخذ من لا يحل ماله أو يشتبهه ، كعمال السلاطين والجنود ومن أكثر كسبه من الحرام ، ولا الزيادة على قدر الحاجة ، ولا يسأل على رؤس الملائم يستحق الرد ، وأن يتورع العالم والمتقى من أخذ الزكاة والصدقات مالم يضطر اليها ، تنزيهاً لنفسه عن الأوساخ ، وأن يستر الأخذ بنية أنه ابقى لستر المروءة والتعفف ، واصون لنفسه عن الأهانة والاذلال ، وأعون للمعطي على الاخفاء والامرار ، واسلم لقلوب الناس من الحسد وسوء الظن ، أو يظهره بنية الاخلاص والصدق ، واظهار المسكينة والعبودية ، والتبري عن الكبر ، وتلبس الحال وإقامة سيئة الشكر ، أو غير ذلك ، فإنه يختلف باختلاف النيات والأشخاص والأحوال ، ولكل امرئ ما نوى ، وكل مراقب للأحوال عارف بالفوائد والمفاسد ، يمكنه الأخذ بالانفع الأرجح .

تسميم

(زكاة الأبدان)

اعلم أنه كما في المال زكاة فكذلك للبدن زكاة ، وهو نقصه ايزيد الخير والبركة لصاحبه . وهذا النقص إما أن يكون اختياراً ، بأن يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية ، أو اضطراراً ، بأن يصاب بمرض وآفة . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - يوماً لأصحابه : « ملعون كل مال لا يزكى ، ملعون كل جسد لا يزكى ، ولو في كل اربعين يوماً مرة . قيل له : يا رسول الله ، أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الأجساد ؟ قال - صلى الله عليه وآله - : أن يصاب بآفة ، فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك ،

فلما رأهم قد تغيرت ألوانهم ، قال : « هل تدرون ما عنيت بقولي ؟ فقالوا : لا يا رسول الله ! قال : إن الرجل يخذش الخدشة ، وينسكب النكبة ، ويمثر العثرة ، ويمرض المرضى ، ويشاك الشوك ، وما أشبه هذا ... » ، حتى ذكر في حديثه اختلاج العين . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لكل شيء زكاة ، وزكاة الأبدان الصيام » . وقال الصادق - عليه السلام - : « على كل جزء من اجزائك زكاة واجبة لله عز وجل ، بل على كل منبت شعر من شعرك ، بل على كل لحظة من لحاظك زكاة . فزكاة العين : النظرة بالعبارة (١) والغض عن الشهوات وما يضاهاها . وزكاة الاذن : استماع العلم والحكمة والقرآن ، وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة ، وما فيه نجاتك ، وبالاعراض عما هو ضده من التكذب والغيبة واشباههما . وزكاة اللسان : النصيح للمسلمين ، والתיقظ للغافلين ، وكثرة التسبيح والذكر وغيرها . وزكاة اليد : البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به ، وتحريرها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى ، والقبض عن الشر . وزكاة الرجل : السعي في حقوق الله ، من زيارة الصالحين ، ومجالس الذكر ، واصلاح الناس ، وصلة الارحام ، والجهاد ، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك ، (٢) .

وثانيتها :

الخمس

وقد فرضه الله تعالى على عباده صوناً لذرية نبيه - صلى الله عليه وآله -

(١) في نسخ (جامع السعادات) : « النظر بالعبارة » ، وامه الأولى .

(٢) صححنا الحديث على (مصباح المصيبة) : الباب ٢٢ ، وفيه اختلاف كثير

عن نسخ (جامع السعادات) بما لم يخرج عن المعنى .

عن الافتقار ، وتنزيهاً لهم عن الصدقات التي هي أوساخ الناس ، فقال سبحانه :

« وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانِ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ » (١) .

والمستفاد من الآية : أن مانع الخمس لا إيمان له . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « هلك الناس في بطونهم وفروجهم ، لأنهم لا يؤدون إلينا حقنا » . ولا ريب في عظم الثواب والأجر في أدائه وإيصاله إلى أهله ، وكيف لا وهو إغاثة ذرية الرسول - صلى الله عليه وآله - وقضاء حوائجهم ، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله » (٢) . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه ، والمحِبُّ لهم بقلبه ولسانه » . وقال صلى الله عليه وآله : « من اضطنح إلى أحد من أهل بيتي يداً ، كافيته يوم القيامة » . وعن الصادق - عليه السلام - قال : « إذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : أيها الخلائق ، انصتوا ، فإن محمداً يكلبكم . فتنصت الخلائق ، فيقوم النبي صلى الله عليه وآله »

(١) الانفال ، الآية : ٤١ .

(٢) صحاحنا هذا الحديث على (جامع الاخبار) : الباب ٢ ، الفصل ٦ .

فيقول : يا معشر الخلائق ، من كانت له عندي يد أو منة أو معروف فليقم حتى أ كافيته . فيقولون : بأبائنا وامهاتنا ! وأي يد وأي منة وأي معروف لنا ؟ بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق . فيقول لهم : بلى ! من آوى احداً من أهل بيتي ، أو برهم ، أو كساهم من عرى ، أو اشبع جائعهم ، فليقم حتى أ كافيته . فيقوم اناس قد فعلوا ذلك ، فيأتي النداء من عند الله : يا محمد ، يا حبيبي ، قد جعلت مكافاتهم اليك ، فأسكنهم من الجنة حيث شئت . قال : فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يجحبون عن محمد وأهل بيته - صلوات الله عليهم ، (١) . وقد ظهر مما تقدم بعض ما تعلق به من الأسرار والآداب والشرائط الباطنة .

وينبغي أن يكون معطيه في غاية الحذر عن استعظامه وعن المن والأذى ، وأن يكون في غاية التخضع والتواضع للذرية العلوية عند اعطائه لإياهم ، ويعلم أنه عبد من عباد الله ، اعطاه مولاه نبذاً من امواله ، ثم امره بأن يوصل قليلا منها الى ذرية نبيه - صلى الله عليه وآله - ، وجعل له أيضاً في مقابلة هذا الايصال زيادة المال في الدنيا وعظيم الأجر والثواب في العقبى . فما أقبح بالعاقل - مع ذلك - أن يستعظم ما يعطيه ، ويمن على أولاد نبيه - صلى الله عليه وآله - .
وثالثها :

الانفاق على الاهل والعيال

والتوسع عليهم . وهو أيضاً من الواجبات ، على النحو المقرر في كتب الفقه . وما ورد في مدحه وعظم أجره أكثر من أن يحصى ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : «الكاد على عياله كالجهاد في سبيل

(١) صححنا الاحاديث الثلاثة الاخيرة على (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف ،

الله ، (١) . وقال - صلى الله عليه وآله - : «خيركم خيركم لأهله» . وقال ﷺ :
« المؤمن يأكل بشفوة أهله ، والمنافق يأكل أهله بشهوته » ، (٢) . وقال :
« أفضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى ، وأبدأ بمن تعول ، واليد العليا خير
من اليد السفلى ، ولا يلوم الله على الكفاف » ، (٣) . وقال ﷺ : « دينار
أنفقته على أهلك ، ودينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ،
ودينار تصدقت به على مسكين ، وأعظمها أجراً الدينار الذي أنفقته على
أهلك » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما أنفق الرجل على أهله فهو
صدقة ، وأن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى فم امرأته » . وقال ﷺ :
« من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا اللهم بطلب المعيشة » . وقال ﷺ :
« من كانت له ثلاث بنات ، فأنفق عليهن وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه ،
أوجب الله تعالى له الجنة ، إلا أن يعمل عملاً لا يغفر الله له » . وقال
- صلى الله عليه وآله - يوماً لأصحابه : « تصدقوا . فقال رجل : إن
عندي ديناراً . قال : أنفقه على نفسك . فقال : إن عندي آخر .
قال : أنفقه على زوجتك . قال : إن عندي آخر . قال : أنفقه على
ولديك . قال : إن عندي آخر . قال : أنفقه على خادمك . قال : إن
عندي آخر . قال - صلى الله عليه وآله - : « أنت أبصر به » ، (٤) . وقال

(١) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب مقدماتها ، الباب

٢٢ . وروى الحديث في (المستدرک) عن (غوالي الآتالي) .

(٢) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب النكاح ، ابواب النفقات ،

الباب ٢١ . وكذا الحديث الآتي : « مامون ملعون . . . » .

(٣) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨٩ ، وهو مضمونه من المشهورات التي

يروها العامة والخاصة .

(٤) صححنا الحديث على (احياء العلوم) : ١ / ٢٠٣ .

صحيح من يعوله ! ، ، وقال - صلى الله عليه وآله - لأمير المؤمنين عليه السلام - بعد
 مارآه في البيت ينقى العدس ، وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر :
 د اسمع مني يا أبا الحسن ، وما أقول إلا من أمر ربي : ما من رجل يعين
 امرأته في بيتها ، إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها
 وقيام ليلها ، وأعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين وداود النبي
 ويعقوب وعيسى - عليهم السلام - . يا علي ، من كان في خدمة العيال في
 البيت ولم يأنف ، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء ، وكتب له بكل يوم
 وليلة ثواب الف شهيد ، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة ، وأعطاه
 الله بكل عرق في جسده مدينة في الجنة . يا علي ، ساعة في خدمة البيت
 خير من عبادة الف سنة ، والف حجة ، والف عمرة ، وخير من عتق
 الف رقبة ، والف غزوة ، والف مريض عاده ، والف جمعة ، والف
 جنازة ، والف جائع يشبعهم ، والف عار يكسوه ، والف فرس يوجهه
 في سبيل الله ، وخير له من الف دينار يتصدق على المساكين ، وخير له من
 أن يقرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ومن الف أسيرة اشتراها
 فأعتقها ، وخير له من الف بدنة يعطى للمساكين ، ولا يخرج من الدنيا
 حتى يرى مكانه في الجنة . يا علي ، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة
 بغير حساب . يا علي ، خدمة العيال كفارة للكبائر ، وتطفى غضب
 الرب ، ومهور حور العين ، وتزيد في الحسنات والدرجات . يا علي ، لا يخدم
 العيال إلا صديق أو شهيد ، أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة (١).

(١) صححنا الحديث على (جامع الأخبار) : الباب ٨ ، الفصل ٣ ، طبع بمصر

سنة ١٣٣٨ . ولم نثر على الحديث في الكتب المعتمدة . إلا انه في (مستدرک الوسائل)

نقله عن (جامع الأخبار) نفسه في ابواب مقدمات التجارة : الباب ١٧ .

وقال السجاد عليه السلام : « أرضا كم عند الله أسبغكم على عياله ، . وقال عليه السلام - : « إن أدخل السوق ، ومعي دراهم ابتاع اعيالي لحماً ، وقد قرموا (١) إليه ، أحب إلي من أن أعتق نسمة ، . وقال الصادق عليه السلام : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله ، . وقال عليه السلام : « من سعادة الرجل أن يكون القيم على عياله ، . وقال الكاظم عليه السلام : « إن عيال الرجل اسراؤه ، فمن انعم الله عليه نعمة فليوسع على اسرائه ، فإن لم يفعل أوشك ان تزول النعمة ، . وقال ابو الحسن الرضا عليه السلام : « ينبغي للرجل ان يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته ، . وقال عليه السلام : « صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله ، (٢) . والأخبار الواردة في ثواب الانفاق على العيال وخدمتهم والتوسع عليهم مما لا تعد كثرة . وما ذكرناه كاف لا يقاظ أهل الاستبصار .

فصل

(ما ينبغي في الانفاق على العيال)

ينبغي لطالب الأجر والثواب في إنفاق العيال : أن يقصد في كده وسعيه في تحصيل النفقة وفي انفاقه وجه الله وثواب الآخرة ، إذ لا ثواب بدون القربة ، وأن يجتنب عن تحصيل الحرام والشبهة ، ولا يدخل على عياله إلا الحلال ، إذ أخذ الحرام وانفاقه أعظم الذنوب وأشد المعاصي ، وأن يقصد في التحصيل والانفاق ، فليحترز عن الاقتار لئلا يضيع عياله ، وعن الاسراف لئلا يضيع عمره في طلب المال ، فيكون من الخاسرين

(١) قال في (الوافي) : ٦ / ٢٨٨ ، باب التوسيع على العيال ، في شرح هذا

الحديث : « القرم : شدة شهوة اللحم » .

(٢) صححنا الأحاديث ، ابتداء من الرواية عن السجاد ، على (الوسائل) : كتاب

الذكاح ، ابواب النفقات ، الباب ٢٠ و ٢١ .

الهاككين . قال الله سبحانه :

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » (١) . وقال : « وَلَا تَجْمَلْ
بِدَكَ مَمْلُوءَةً إِلَىٰ أَعْنَاقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ » (٢) .
وقال : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » (٣) .

وعن الصادق - عليه السلام - : « أنه تلا هذه الآية : (والذين إذا
انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) ، فأخذ قبضة من حصى
وقبضها بيده ، فقال : هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه . ثم أخذ
قبضه اخرى ، فأرخى كفه كلها ، ثم قال : هذا الاسراف . ثم أخذ
قبضة اخرى ، فأرخى بعضها وامسك بعضها ، وقال : هذا القوام ، (٤) .
وينبغي ألا يستأثر نفسه أو بعض عياله بما كول طيب ، ولا يطعم سائرهم
منه ، فان ذلك يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف ، إلا أن يضطر
اليه ، لمرض أو ضعف أو غير ذلك . وينبغي ألا يصف عنهم طعاماً ليس
يريد إطعامهم إياه ، وأن يقعد عياله معهم على مائدة عند الأكل ، فقد
روى : « ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون في جماعة ، .

* * *

(١) الأعراف ، الآية : ٣٠ .

(٢) الاسراء ، الآية : ٢٩ .

(٣) الفرقان ، الآية : ٦٧ .

(٤) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ : ٢٩٦ . باب فضل القصد بين الاسراف

وأما الامور المستحبة من الانفاق ، الداخلة تحت السخاء ، فأولها :

صدقة التطوع

وفضلها عظيم ، وفوائدها الدنيوية والاخروية كثيرة . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « تصدقوا ولو بتمررة ، فانها تسد من الجائع ، وتطفى الخطيئة ، كما يطفى الماء النار . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « اتقوا النار ولو بشق تمررة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة . » وقال صلى الله عليه وآله : « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيباً ، إلا كان الله أخذها بيمينه ، فيريها له كما يربيها له كما يربي أحدكم فصيله ، حتى تبلغ التمرة مثل أحد . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « كل امرئ في ظل صدقته ، حتى يقضى بين الناس . » وقال صلى الله عليه وآله : « أرض القيامة نار ، ما خلا ظل المؤمن ، فان صدقته تظله . » وقال صلى الله عليه وآله : « إن الله لا آله إلا هو ، يدفع بالصدقة الداء والديلة : والحرق والغرق ، والهدم والجنون . . . » وعد سبعين باباً من الشر . وقال - صلى الله عليه وآله - : « صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل ، (١) . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « إذا أطرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه . »

وفائدة التخصيص بالذكر والليل : أن من يسألك ليلاً في صورة الانسان ، يحتمل أن يكون ملكاً أتاك الامتحان ، كما روى : « أنه سبحانه أوحى الى موسى بن عمران صلى الله عليه وآله ، وقال : يا موسى ، أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل ، إنه يأتيك من ليس بإنس ولا جان ، بل ملائكة

(١) الأخبار النبوية المذكورة في هذا الفصل اغلبها عامية صححتها على (احياء العلوم) :

من ملائكة الرحمن ، يبيلونك فيما حولتك ، ويسألونك فيما نولتك ، فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران . ولذلك حث رسول الله - صلى الله عليه وآله - على عدم رد السائل ، وقال : « اعط السائل ولو على ظهر فرس » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لا تقطعوا على السائل مسأله ، فلو لا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم » . وقال الباقر - عليه السلام - : « البر والصدقة ينفيان الفقر ، ويزيدان في العمر ، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء » . وقال الصادق - عليه السلام - : « داووا مرضاكم بالصدقة ، وادفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، فانها تفك من بين لحي سبعائة شيطان ، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الرب تعالى قبل أن تقع في يد العبد » . وقال - عليه السلام - : « الصدقة باليد تقي ميتة سوء ، وتدفع سبعين نوعاً من البلاء ، وتفك عن لحي سبعين شيطانا كهم يأمره ألا يفعل » . وقال - عليه السلام - : « يستحب للريض أن يعطى السائل بيده ، ويأمره أن يدعو له » . وقال عليه السلام : « باكروا بالصدقة ، فان البلاء لا يتخطاها ، ومن تصدق بصدقة أول النهار رفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم ، فان تصدق اول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة » . وكان - عليه السلام - إذا أتم - أى صلى العتمة - وذهب من الليل شطره ، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودرهم ، فحمله على عنقه ، ثم ذهب به الى أهل الحاجة من أهل المدينة ، فقسمه فيهم ولا يعرفونه ، فلما مضى أبو عبدالله عليه السلام ، فقدوا ذلك ، فعلموا أنه كان أبا عبدالله - عليه السلام - . وسئل - عليه السلام - عن السائل يسأل ولا يدري ما هو ، فقال : « اعط من أوقع في قلبك الرحمة » . وقال - عليه السلام - في السؤال : « اطعموا ثلاثة ، وإن شئتم أن تزدادوا

فازدادوا ، وإلا فقد أديتم حق يومكم ، . وقال - عليه السلام - في الرجل يعطى غيره الدراهم يقسمها ، قال : « يجرى له من الأجر مثل ما يجرى للمعطي ، ولا ينقص من أجره شيئاً . ولو أن المعروف جرى على سبعين يد ، لا وجروا كلهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء . » . وقد وردت اخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه ، قال أمير المؤمنين - عليه السلام : « أول ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء ، يعني في الأجر » . وقال أبو جعفر - عليه السلام - : « إن الله تعالى يحب إيراد الكعبد الحراء ، ومن سقى الماء كبداً حراء ، من بهيمة وغيرها ، أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، . وقال الصادق - عليه السلام - : « من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء ، كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء ، كان كمن أحيى نفساً ، ومن أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس جميعاً » .

(تنبيه) : سئل رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أى الصدقة أفضل ؟ قال : أن تتصدق وانت صحيح شحيح ، تأمل البقاء وتحشى الفاقة ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا ، .

فصل

(فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة)

لا كلام في ان الاسرار في الصدقة المندوبة افضل من اظهارها للمعطي في اعطائها ، ويدل عليه قول الصادق عليه السلام : « الصدقة في السر والله افضل من الصدقة في العلانية ، (١) . وقوله - عليه السلام - : « كلما فرض الله عليك ،

(١) صحعنا أغلب هذه الاخبار الروية عن أهل البيت - عليهم السلام - في هذا المقام على (الوافي) : ٦ / ٢٨٢ ، ٢٨٤ باب فضل الصدقة . وباب فضل صدقة السر .

فإعلانه أفضل من أسراره ، وكلما كان تطوعاً ، فأسراره أفضل من إعلانه ، .
 وإنما الكلام في أن الأفضل للأخذ في أخذها ، ان يأخذها سراً
 أو علانية . فقيل : الأفضل له أخذها ؛ لانه ابقى للتعفف وستر المروة ،
 واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء الظن والغيبة ، وعاون
 للمعطي على اسرار العمل ، وقد علمت افضلية السر على الجهر في الاعطاء ،
 وأصون لنفسه عن الاذلال والاهانة ، وأخلص من شوب شركة الحضار ،
 فان المستفاد من الاخبار : أن الحضار شركاء من اهدى له في الهدية . والظاهر
 ان الصدقة مثلها اذا كان الحضار من أهلها . قال رسول الله ﷺ : « من
 اهدى له هدية وعنده قوم ، فهم شركاؤه فيها ، . وقال الباقر عليه السلام : « جلساء
 الرجل شركاؤه في الهدية ، . وقال - عليه السلام - : « اذا اهدى للرجل
 هدية من طعام ، وعنده قوم ، فهم شركاؤه في الهدية الفاكمة او غيرها ، .
 وقيل : الأفضل أخذها علانية ، والتحدث بها ، لتنقية السكر والرياء ،
 وتلبيس الحال ، وإجابته الاخلاص والصدق ، وإقامة منة الشكر ، وإسقاط
 الجاه والمنزلة ، وإظهار العبودية والمسكنة ، مع أن العارف ينبغي ألا
 ينظر إلا الى الله ، والسر والعلانية في حقه واحد ، فاختلف الحال
 شرك في التوحيد .

والحق أن الحكم بأفضلية أحدهما على الأطلاق غير صحيح ، إذ تختلف
 افضلية كل منهما باختلاف النيات ، وتختلف النيات باختلاف الأحوال
 والأشخاص .

فينبغي لطالب السعادة أن يراقب نفسه ، ويلاحظ حاله ووقته ،
 ويرى أن أي الحالتين من السر والجهر بالنظر اليه أقرب الى الخلوص
 والقربة ، وأبعد من الرياء والتلبيس وسائر الآفات ، فيختار ذلك ، ولا

يتبدل بجبل الغرور ، ولا يتخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان . مثلاً إذا كان طبعه ماثلاً الى الاسرار ، ورأى أن باعث هذا الميل حفظ الجاه والمنزلة ، وخوف سقوط القدر من أعين الناس ، ونظر الخلق اليه بعين الازدراء ، والى المعطى كونه منعماً محسناً اليه ، أو خوف ألا يعطيه الناس بعد ذلك لعلمهم بما أخذه ، فلينتقل عن الاسرار ويأخذها علانية ، إذ لو ابقى نفسه على ما استكن فيها من الداء الدفين ، وعمل بمقتضاها ، صار هالكاً - وإن كان طبعه ماثلاً الى الاسرار ، وأيقن بأن باعث الميل اليه : إبقاء التعفف ، وستر المرور ، وصيانة الناس عن الحسد ، وسوء الظن والغيبة ، ولم يكن باعثه شيء من المفاسد المذكورة ، فالأولى أن يأخذها سراً . ويعرف ذلك بأن يكون تألمه بانكشاف أخذه للصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض اقرانه واخوانه المؤمنين ، فانه إن كان طالباً لبقاء السر واعانة المعطى على الاسرار ، وصيانة العلم عن الابتذال ، وحفظ الناس عن الحسد والغيبة وسوء الظن ، فينبغي أن يكون طالباً لها في صدقة أخيه أيضاً ، إذ يحصل ما يحذر منه : من هتك الستر ، وابتذال العلم ، ووقوع الناس في الغيبة والحسد بانكشاف صدقة أخيه أيضاً . فان كان انكشاف صدقته اثقل عليه من انكشاف صدقة غيره ، فتقديره الحذر من هذه المعاني تلبيس من النفس ومكر من الشيطان . وإذا كان طبعه ماثلاً الى الاظهار ، ووجد منه أن باعث هذا الميل هو التطيب لقلب المعطى ، والاستحاث له على مثله ، والاظهار للغير بأنه من المبالغين في الشكر ، حتى يرغبوا في الاحسان اليه ، فليتنبه أن هذا الداء من الداء الدفين الذي يهلكه لو لم يعالجه ، فليترك اخذها جهراً والتحدث بها ، وينتقل الى الأخذ خفية . وإن تيقن من نفسه بأن باعث هو إقامة السنة في الشكر ، والتحدث

بالنعمة ، واسقاط الجاه والمنزلة ، وإظهار العبودية والمسكنة ، أو غير ذلك من المقاصد الصحيحة ، من دون تطرق شيء من المفاسد المذكورة ، فالإظهار أفضل ، ويعرف ذلك بأن تميل نفسه الى الشكر ، حيث لا ينتهي الخبر الى المعطى ولا الى من يرغب في عطائه ، وبين يدي جماعة يعلم أنهم يكرهون إظهار العطية ، ويرغبون في اخفائها ، وعادتهم ألا يعطوها إلا من يخفيها ولا يتحدث بها ولا يشكر عليها . ثم اذا جزم بكون الباعث إقامة السنة في الشكر ، فينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطى ، فينظر أنه إن كان ممن يحب الشكر والنشر فيخفي الأخذ ولا يشكر ، لأن قضاء حقه ألا ينصره على الأثم ، وإن كان ممن لا يحب الشكر ولا يطلب النشر ، فالأولى ان يشكره ويظهر صدقته .

وينبغي لكل من يراعى قلبه أن يلاحظ هذه الدقائق ولا يهملها ، إذ أعمال الجوارح مع اهمالها ضحكة للشيطان وشماتة له ، لكثرة التعب فيها مع عدم تصور نفع لها ، والعلم بهذه الدقائق وملاحظتها هو العلم الذي ورد فيه أن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحيي عبادة العمر ، وبالجهد به تموت عبادة العمر .

وثانيها :

الرهبة

وهي ما يعطى ويرسل إلى أخيه المسلم ، فقيراً كان أم غنياً ، طلباً للاستيناس ، وتأكيداً للصحة والتودد . وهو مندوب اليه من الشرع ، ومع سلامة القصد والنية يكون عبادة . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « د تحابوا تهادوا ، فانها تذهب بالضغائن » . وقال ﷺ : « لو أهدى إلي

ذراع لقبلت . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « لان اهدي لآخي المسلم هدية أحب إلي من أن أتصدق بمثلها » . وقال - عليه السلام - : « من تكرمه الرجل لآخيه المسلم ، أن يقبل تحفته وأن يتحفه بما عنده ، ولا يتكلف له شيئاً » .

وثالثها :

الضيافة

وثوابها جزيل ، وأجرها جميل ، وفضلها عظيم ، وثمرها جسيم . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « لا خير فيمن لا يضيف » . ومر - صلى الله عليه وآله - برجل له إبل وبقر كثير ، فلم يضيفه ، ومر بامرأة لها شويحات ، فذبحت له ، فقال - صلى الله عليه وآله - : « انظروا اليهنا ، فانما هذه الأخلاق بيد الله عز وجل ، فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الضيف اذا جاء فنزل بالقوم ، جاء برزقه معه من السماء ، فاذا أكل غفر الله لهم بنزوله » . وقال : « ما من ضيف حله بقوم إلا ورزقه في حجره » . وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لا تزال امتي بخير : ما تحابوا ، وأدوا الأمانة ، واجتنبوا الحرام ، وأقرأوا الضيف ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اذا أراد الله بقوم خيراً أهدى لهم هدية . قالوا : وما تلك الهدية ؟ قال : الضيف ينزل برزقه ، ويرتحل بذنوب أهل البيت » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الضيف دليل الجنة » .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « مامن مؤمن يجب الضيف إلا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر ، فينظر أهل الجمع ، فيقولون : ما هذا إلا نبي مرسل . » فيقول ملك : هذا مؤمن يجب الضيف ويكرم الضيف ، ولا سبيل له إلا أن يدخل الجنة ، . وقال - عليه السلام - : « مامن مؤمن يسمع بهمس الضيف وفرح بذلك ، إلا غفرت له خطاياها ، وإن كانت مطبقة بين السماء والأرض ، . وبكى - عليه السلام - يوماً ، فقبل له : ما يبكيك ؟ قال : « لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام ، أخاف أن يكون الله قد أهانني ، . » وعن محمد بن قيس ، عن أبي عبد الله - عليه السلام - ، قال : « ذكر أصحابنا يوماً ، فقلت : والله ما اتعدى ولا اتعشى إلا ومعى منهم اثنان أو ثلاثة أو أقل أو أكثر ، فقال - عليه السلام - : فضلهم عليك أكثر من فضلك عليهم . قلت : جعلت فداك كيف ذا وأنا أطعمهم طعامي ، وانفق عليهم من مالي ، ويخدمهم خادمي ؟ فقال : إذا دخلوا عليك دخلوا من الله بالرزق الكثير ، وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك ، وكان إبراهيم الخليل - عليه السلام - إذا أراد أن يأكل ، خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتعدى معه ، وكان يكنى (ابا الضيفان) . »

وجميع الأخبار الواردة في فضيلة إطعام المؤمن وسميه تدل على فضيلة الضيافة ، كقوله - صلى الله عليه وآله - بعد سؤاله عن الحج المبرور : « هو إطعام الطعام وطيب الكلام ، . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السموات : الفردوس ، وجنة عدن ، وطوبى شجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده ، . » وقول الصادق - عليه السلام - : « من أشبع مؤمناً وجبت له الجنة ، . » وقوله - عليه السلام - : « من أطعم مؤمناً حتى يشبعه ،

لم يدر أحد من خلق الله ماله من الأجر في الآخرة ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، إلا الله رب العالمين . . . وسئل - صلى الله عليه وآله - : « ما الإيمان ؟ فقال : إطعام الطعام . وبذل السلام . » . وقال : « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، يسكننها من أمي من أطاب الكلام ، واطعم الطعام ، وافشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أحب الأعمال إلى الله تعالى : إشباع جوعة المؤمن ، وتنفيس كربته ، وقضاء دينه . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الله يحب الإطعام في الله ، ويحب الذي يطعم الطعام في الله ، والبركة في بيته أسرع من الشفرة في سنام البعير . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « خيركم من أطعم الطعام . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه ، بعده الله من النار سبع خنادق ، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام . » . وفي الخبر : « إن الله تعالى يقول للعبد في القيامة : يا ابن آدم ، خفت . فلم تطعمني . فيقول : كيف اطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : جاع أخوك فلم تطعمه ، ولو اطعمته كنت اطعمتني . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من سقى مؤمناً من ظمأ ، سقاه الله من الرحيق المختوم . » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على الماء ، أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة ، وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء ، فكأنما اعتق عشر رقاب من ولد اسماعيل ، (١) . »

(١) صحعنا احايث هذا الفصل على (البجار) : ٤ . ميج ١٥ / ١١٠ ، باب اطعام

المؤمن . و ٢٤٢ - ٢٤٤ : باب آداب الضيف . وعلى (السكاني) : باب اطعام المؤمن .

وعلى (الوسائل) : في آداب المائدة من كتاب الاطعمة والاشربة .

فصل

(ما ينبغي أن يقصد في الضيافة)

ينبغي أن يقصد في ضيافته التقرب الى الله ، والتسني بسنة رسول الله ، واستمالة قلوب الأخران ، وادخال السرور على قلوب المؤمنين ، ولا يقصد به الرياء والمفاخرة والمباهاة ، والإضاع عمله ، وأن يدعو الفقراء والأتقياء ، وإن كان في ضيافة الأغنياء ومطلق الناس فضيلة أيضاً . وينبغي ألا يهمل في ضيافة الأقارب والجيران ، إذ اهملهم قطع رحم وإيحاش ، وألا يدعو من يعلم أنه تشق عليه الاجابة . وينبغي أن يعجل في إحضار الطعام ، لأنه من إكرام الضيف ، وقد ورد : « أن العجلة من الشيطان ، إلا في خمسة أشياء ، فإنها من سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله - : اطعام الضيف ، وتجهيز البيت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنوب . » وأن يحضر من الطعام قدر الكفاية ، إذ التقليل عنه نقص في المروة ، والزيادة عليه تضييع ، وأن يسعى في إكرام الضيف : من طلاقة الوجه ، وطيب الكلام معه عند دخوله وخروجه وعلى المائدة ، والخروج معه الى باب الدار اذا خرج ، قال رسول الله ﷺ : « إن من سنة الضيف أن يشيعه الى باب الدار . » وما ينبغي له ألا يستخدم الضيف ، قال الباقر عليه السلام : « من الجفاء استخدام الضيف . » وكان عند الرضا عليه السلام ضيف ، فكان يوماً في بعض الحوائج ، فنهاه عن ذلك ، وقام بنفسه الى تلك الحاجة ، وقال : « نهى رسول الله ﷺ عن أن يستخدم الضيف . »

فصل

(آداب الضيافة)

ينبغي لكل مؤمن أن يجيب دعوة أخيه الى الضيافة ، من غير أن يفرق بين الغنى والفقير ، بل يكون أسرع إجابة الى دعوة الفقير ، وألا يمنعه بعد المسافة عن الاجابة اذا امكن احتمالها عادة . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أوصى الشاهد من أمتي والغائب ، أن يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال ، ولا يمنعه صوم التطوع عن الاجابة ، بل يحضر ، فإن علم سرور أخيه بالافطار فليفطر ، ويحتسب في إفطاره أفضل ما يحتسب في صومه » . وقال الصادق - عليه السلام - : « من دخل على أخيه وهو صائم ، فأفطر عنده ولم يعلمه بصوم فيمن عليه ، كتب الله له صوم سنة ، وإن علم أنه متكلف ولا يسر بافطاره فليتعلم » .

وينبغي ألا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ، ليدخل عمله في أمور الدنيا ، بل ينوى الاقتداء بسنة رسول الله - صلى الله عليه وآله - ، وإكرام أخيه المؤمن ، ليكون في عمله مطيعاً لله مثاباً في الآخرة ، وأن يحترز عن الاجابة اذا كان الداعي من الظلمة أو الفساق ، أو كانت ضيافته للفخر والمباهاة ، ومن كان طعامه حراماً أو شبهة ، أو لم يكن موضعه أو بساطه المفروش حلالاً ، أو كان في الموضع شيء من المنكرات ، كإيذاء فضة ، أو تصوير حيوان على سقف أو حائط ، أو أحد آلات اللهو من المزامر وأمثالها ، أو التشاغل بشيء من اللهو واللعب والهزل ، فكل ذلك مما يمنع الاجابة ، ويوجب تحريمها أو كراهيتها . قال الصادق - عليه السلام - : « لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصي الله تعالى فيه ولا يقدر على تغييره » .

ومن ابتلى بحضور طعام ظالم إكراهاً وتقية ، فليقل الأكل ، ولا يأكل أطايب الأطعمة .

وينبغي للضيف - أيضاً - إذا دخل الدار ألا يتصدر ، ولا يقصد أحسن الأماكن ، بل يتواضع ويرضى بالدون من المجلس ، وإن أشار إليه صاحب الدار بموضع فلا يخالفه ويجلس فيه ، وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع أو الانحطاط ، وألا يجلس في مقابلة باب حجرة النسوان ، ولا يكثّر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه للطعام ، فإنه دليل الشره وخسة النفس ، وأن يخص بالتحية والسلام أولاً من يقرب منه .

وينبغي لمن دعى إلى الضيافة ألا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد .
ورابعها :

الحس المعروف ومن الحصاد والجزأ

والمراد من الأول : ما يعرضه الرجل ويقدره في ماله ، من قليل أو كثير ، غير الصدقات الواجبة ، يعطيه محتاجاً أو يصل به رحمه . والمراد بالثاني : ما يعطى به إلى الفقراء من الضغث بعد الضغث : أى القبضة بعد القبضة من الزرع يوم حصاده ، ومن الحفنة بعد الحفنة : أى ملء الكف من التمر أو الحنطة أو غيرهما من الثمار والفواكه والحبوبات عند قطعها وتصفيتها . وهذان النوعان من الانفاق معدودان في صدقة التطوع ، وقد وردت بخصوصيهما أخبار كثيرة لشدة استحبابيهما . قال الصادق عليه السلام : إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلا بأدائها ، وهى الزكاة ، بها حقنوا دماءهم ، وبها سموا مسلمين ، واسكن الله تعالى فرض في أموال

الأغنياء حقوقاً غير الزكاة ، فقال الله تعالى :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ » (١)

والحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله ، يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله ، فيؤدي الذي فرض على نفسه إن شاء كل يوم ، وإن شاء كل جمعة ، وإن شاء في كل شهر ، (٢). وقال - عليه السلام - : « الحق المعلوم ليس من الزكاة ، هو الشيء تخرجه من مالك ، إن شئت كل جمعة ، وإن شئت كل شهر ، ولكل ذى فضل فضله ، وقول الله تعالى : (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) ، فليس من الزكاة ، والماعون ليس من الزكاة ، وهو المعروف تصنعه والقرض تقرضه ومتاع البيت تعيره ، وصلة قرابتك ليس من الزكاة . وقال الله تعالى : (والذين في أموالهم حق معلوم) ، فالحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه أنه في ماله ونفسه ، ويجب له أن يفرضه على قدر طاقته ووسعه ، (٣). وقال - عليه السلام - : « وإن عليكم في أموالكم غير الزكاة . فقلت : اصلحك الله ، وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحانه الله ! أما تسمع قول الله تعالى ؟ يقول في كتابه :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ

والمحروم » (٤)

(١) المارج ، الآية : ٢٤ .

(٢) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨١ ، باب جملة ما يجب في المال من الحقوق

(٣) نفس المصدر : باب جملة ما يجب فيه الزكاة (الوسائل) : ٢ / ٧ ، باب

الحقوق في المال سوى الزكاة .

(٤) المارج ، الآية : ٢٤ ، ٢٥ .

قال : قلت : فإذا الحق المعلوم الذي علينا ؟ قال : هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله ، يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر ، قل أو كثير ، غير أنه يدوم عليه ، (١) . وقال - عليه السلام - في قول الله تعالى : (في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم) : « هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال ، فيخرج منه الآلاف والألفين والثلاثة آلاف والأقل والأكثر ، فيصل به رحمه ، ويحمل به السكل عن قومه » . وقال عليه السلام : « في الزرع حقان : حق تؤخذ به ، وحق تعطيه . قلت : وما الذي تؤخذ به وما الذي أعطيه ؟ قال : أما الذي تؤخذ به ، فالعشر ونصف العشر ، وأما الذي تعطيه ، فقول الله :

« وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ » (٢)

يعنى من حصدك الشيء ثم الشيء - ولا اعلمه إلا قال الضغث ثم الضغث - حتى تفرغ ، (٣) . وقال - عليه السلام - : « لا تصرم بالليل ، ولا تحصد بالليل ، ولا تضح بالليل ، ولا تبذر بالليل . فإنك إن فعلت ذلك لم يأتك القانع والمعتز . فقلت : وما القانع والمعتز ؟ فقال : القانع الذي يقنع بما أعطيته ، والمعتز : الذي يمر بك فيسألك . وإن حصدت بالليل لم يأتك السؤال ، وهو قول الله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) عند الحصاد ، يعنى القبضه بعد القبضه إذا حصدته ، فإذا خرج فالحفنة بعد

(١) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨١ ، باب جملة ما يجب في المال من الحقوق وعلى (الوسائل) : ٢ / ٧ ، باب جملة ما يجب فيه الزكاة .

(٢) الانعام ، الآية : ١٤١ .

(٣) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨٢ . وعلى (فروع السكاني) : كتاب الزكاة ، باب الحصاد والجذاذ . وكذا ما بعده .

الحفنة ، وكذلك عند الصرام ، وكذلك عند البذر ، ولا تبذر بالليل ، لأنك تعطى من البذر كما تعطى من الحصاد . وقال الباقر - عليه السلام - في قول الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) : « هذا من الصدقة ، يعطى المسكين القبضة بعد القبضة ، ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة ، حتى يفرغ ، . وفي مضمون هذه الأخبار أخبار كثيرة آخر .

وخامسها :

القرض

وهو أيضاً من ثمرات السخاء ، لأن السخي تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله الى حين استطاعته ، كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله ، والبخيل يشق عليه ذلك . وثواب القرض عظيم ، وفضله جسيم . قال الباقر - عليه السلام - : « من أقرض رجلاً قرصاً الى ميسرة ، كان ماله في زكاة ، وكان هو في الصلاة مع الملائكة حتى يقبضه ، . وقال الصادق - عليه السلام - : « مكتوب على باب الجنة : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، . وقال عليه السلام : « مامن مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله ، إلا حسب الله له أجره بحساب الصدقة ، حتى يرجع ماله اليه ، يعني اعطاه الله في كل آن اجر صدقة ، ذلك لأن له قضاءه في كل آن ، فلما لم يفعل فكأنما أعطاه ثانياً وثالثاً وهلم جرا ، الى أن يقبضه ، . وقال عليه السلام : « لا تمانعوا قرض الخبز والخبز واقتباس النار ، فإنه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق ، . وقال : « لا تمانعوا قرض الخبز والخبز ، فإن منعها يورث الفقر ، (١) .

(١) صححنا الاحاديث الواردة في هذا المقام على (الوافي) : ٦ / ٢٩٢ ، باب القرض .

وسادسها :

انظار المعسر والتحليل

وهو أيضاً من أفراد البذل المترتب على السخاء ، وقد ورد في فضله اخبار كثيرة ، قال الصادق - عليه السلام - : « من أراد أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله ، فلينظر معسراً ، أو يدع له من حقه » . وقال عليه السلام : « إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال في يوم حار - وحنا كفه - : من أحب أن يستظل من فور جهنم ؟ - قالها ثلاث مرات - فقال الناس في كل مرة : نحن يا رسول الله . فقال : من أنظر غريباً أو ترك المعسر » . وقال عليه السلام : « صدق رسول الله - صلى الله عليه وآله - المنبر ذات يوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على أنبيائه ، ثم قال : أيها الناس ، ليبلغ الشاهد الغائب منكم ، ألا ومن انظر معسراً كان له على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ماله ، حتى يستوفيه » . وقيل له - عليه السلام - : « إن لعبد الرحمن بن سبابة ديناً على رجل قدمات ، وقد كلناه ان يحمله فأبى ، فقال : ويحه ! أما يعلم ان له بكل درهم عشرة اذا حلله ، وإن لم يحمله فإنما هو درهم بدرهم ؟ » (١) . وفي معناها اخبار كثيرة اخر .

وسابعها :

بذل الكسوة والسكنى ونحوهما

غير ما ذكر من وجوه الاعانة بالمسلم ، كبذل الكسوة والسكنى ، وحمله على الدابة ، واعطائه الماعون ، واعارته المتاع وسائر ما يحتاج اليه ،

(١) صححنا جميع الاحاديث الواردة في هذا المقام على (الواقف) : ٦ / ٢٩٢ ، باب

انظار المعسر والتحليل . وعلى (فروع السكاف) : باب انظار المعسر ، كتاب الزكاة .

وأطراق الفحل وغير ذلك ، فإن جميع ذلك من ثمرات السخاء ، ومنعها من نتائج البخل . وفي كل واحد منها فضيلة وثواب ، وورد في فضيلة كل منها اخبار .

ومما يدل على مدح كسوة المؤمن ، قول الباقر - عليه السلام - :
 « لأن أحج حجة أحب إلي من أن أعتق رقبة ورقبة ورقبة (حتى انتهى الى عشرة) ، ومثلها ومثلها (حتى انتهى الى سبعين) . ولإن اعول أهل بيت من المسلمين ، اشبع جوعتهم ، واكسو عورتهم ، واكف وجوههم عن الناس ، أحب إلي من أن أحج حجة وحجة (حتى انتهى الى عشر) ، وعشر مثلها ومثلها (حتى انتهى الى سبعين) ، (١) . وقال الصادق عليه السلام :
 « من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف ، كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة ، وأن يموت عليه من سكرات الموت ، وأن يوسع عليه في قبره ، وأن يلتقي الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى . وهو قول الله عز وجل في كتابه :
 « وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » (٢) .

وقال : « من كسا أحداً من فقراء المسلمين ثوباً من عرى ، أو اعانه بشيء مما يقويه على معيشته ، وكل الله عز وجل به سبعة آلاف ملك من الملائكة ، يستغفرون لكل ذنب عمله ، الى أن ينفخ في الصور ، (٣) .

(١) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨٢ ، باب فضل الصدقة .

(٢) الأنبياء ، الآية : ١٠٣ .

(٣) صححنا الاحاديث الواردة في هذا المقام على (السكاني) : باب من كسا مؤمناً .

وثامنها :

ما يبذل لوقاية العرض والنفس

ما يبذل لوقاية العرض ، وحفظ الحرمه ، ورفع شر الاشرار وظلم الظلمة . فإن السخى لا يقصر فى شيء من ذلك ، والبخيل ربما منع بخله عن ذلك ، فيهلك عرضه ويذهب حرمته . وفى بعض الأخبار دلالة على أن البذل لذلك صدقة . وتقدم أن ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة ، وكذلك بذل ما تقتضيه المروة والعادة من ثمرات الجود والسخاء ، ومن منعه كان بخيلا .

وتاسعها :

ما ينفع فى المنافع العامة

والخيرات الجارية ، من بناء المساجد والمدارس والربط والقناطير ، واجراء القنوات ، وأمثال ذلك مما يبقى أثره على مر الدهور ، ويصل نفعه وثوابه الى صاحبه فى كل وقت الى يوم النشور . ولا يخفى ثواب ذلك . والأخبار الواردة فى مدحه وفضيلته أكثر من أن تحصى ، ولا حاجة الى ذكرها لأشتهارها بين الناس .

تفصيل

(الفرق بين الانفاق والبر والمعروف)

اعلم أن لفظ الانفاق والمعروف والبر يتناول جميع ما تقدم من الانفاقات الواجبة والمستحبة . والفرق بينها : أن الانفاق خاص بالمال ، والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان

الى الناس ، وكل ما ندب اليه الشرع من فعل وترك ، وهو من الصفات الغالبة ، أى أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه ، والغالب فى الأخبار ارادة ما يتعلق بالمال من معانيه . والبر كالمعروف فى شموله لجميع أعمال الخير فى الأصل ، وانصراف اطلاقه غالباً فى الأخبار الى ما يتعلق بالمال من وجوه الانفاقات المتقدمة بأسرها ، وربما خص بما سوى الصدقة منها ، لما ورد : أن البر والصدقة يتفیان الفقر ويزيدان فى العمر . والظاهر أن مبنى الخبر على ذكر الخاص بعد العام ، فلا وجه للتخصيص . ثم الصدقة تتناول جميع ما تقدم من وجوه الانفاق ، سوى المروءة . وعلى أى تقدير ، لا ريب فى أن ما ورد من الآيات والأخبار فى فضيلة مطلق الانفاق والمعروف والبر يدل على فضيلة كل واحد مما تقدم من وجوه الانفاق ، كقوله سبحانه :

« أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ « (١) . وقوله : « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَنْفُسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » (٢) . وقوله : « وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ . . . » الآية (٣) . وقوله : « قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ

(٣) البقرة ، الآية : ١٧٦ .

(١) البقرة ، الآية : ٢٦٧ .

(٢) البقرة ، الآية : ٢٧٢ .

وَالْأَقْرَبِينَ . . . « الآية (١) . وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا
يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يُخَلَّاتُ وَلَا شَفَاعَةٌ » (٢) . وقوله : « مَثَلُ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أُنبَتَتْ سَمِيعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ مُسْتَبَلَةٍ . . . » الآية (٣) .
وقوله : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا
يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْجًى وَلَا أُذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (٤) .

وقول رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أول من يدخل الجنة
المعروف وأهله ، وأول من يرد علي الحوض » . وقوله - صلى الله عليه وآله - :
« إن البركة أسرع إلى البيت الذي يمتار فيه المعروف من الشفرة في سنام
الجزور ، أو من السيل إلى منتهاه » . وقول الباقر - عليه السلام - : « إن من
أحب عباد الله إلى الله ، لمن حجب إليه المعروف وحجب إليه فعاله » . وقول
الصادق عليه السلام : « إن من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند
من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف ، وإن من فناء الإسلام وفناء المسلمين
أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها
المعروف » . وقوله - عليه السلام - : « رأيت المعروف كاسمه ، وليس شيء

. (٣) البقرة ، الآية : ٢٦١ .

. (١) البقرة ، الآية : ٢١٥ .

. (٤) البقرة ، الآية : ٢٦٢ .

. (٢) البقرة ، الآية : ٢٥٤ .

أفضل من المعروف إلا ثوابه ، . وقوله ﷺ مخاطباً لزرارة : « ثلاثة إن تعلمهن المؤمن كانت زيادة في عمره وبقاء لنعمه عليه . فقلت : وماهن ؟ فقال : تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته ، وتطويله لجلوسه على طعامه إذا اطعم على مائدته ، واصطناعه المعروف الى أهله ، . وقوله ﷺ : « أقبلوا لأهل المعروف عشراتهم ، واغفروا لهم ، فإن كفى الله عليهم هكذا - وأوماً بيده كأنه يظلل بها شيئاً ، . وقوله - عليه السلام - : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، . وقال ﷺ : « إن للجنة باباً يقال له المعروف ، لا يدخله إلا أهل المعروف . وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة : يعني كما أنهم يصنعون المعروف في الدنيا كذلك يصنعونه في الآخرة ، يهبون حسناتهم لمن شاؤا ، كما قال الصادق ﷺ في خبر آخر : « يقال لهم في الآخرة : إن ذنوبكم قد غفرت لكم ، فهبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنة ، . وقال ﷺ : « قال اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - : يا رسول الله ، فذاك آباؤنا وامهاتنا إن اصحاب المعروف في الدنيا عرفوا بمعروفهم ، فبم يعرفون في الآخرة ؟ فقال - صلى الله عليه وآله - : إن الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة ، أمر ريحاً عبقرة طيبة فلصقت بأهل المعروف ، فلا يمر أحد منهم بملاً من أهل الجنة إلا وجدوا ريحه ، فقالوا : هذا من أهل المعروف ، (١) . ومنها - أى من رذائل القوة الشهوية - :

طلب الحرام

وعدم الاجتناب عنه . ولا ريب في كونه مترتباً على حب الدنيا

(١) صححنا الاحاديث الواردة هنا على (الوافي) : ٦ / ٢٨٩ - ٢٩٠ . وعلى

(الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف ، ابواب فعل المعروف ، الباب ١ - ٦ .

والحرص عليها ، وهو اعظم المهلكات ، به هلك اكثر من هلك ، وجل الناس حرموا عن السعادة لأجله ، ومنعوا عن توفيق الوصول الى الله بسببه . ومن تأمل يعلم أن اكل الحرام اعظم الحجب للعبد من نيل درجة الأبرار ، وأتقوى الموانع له عن الوصول الى عالم الأنوار ، وهو موجب لظلمة القلب وكدرته ، وهو الباعث لخبثه وغفلته ، هو العلة العظمى لخسران النفس وهلاكها ، وهو السبب الأقوى لضلالتها وخبائثتها ، هو الذى أنساها عهود الجحى ، وهو الذى أهواها فى مهاوى الضلالة والردى ، وما للقلب المتكون من الحرام والاستعداد لفيوضات عالم القدس ! وأنى للنظفة الحاصلة منه والوصول الى مراتب الأنس ! وكيف يدخل النور والضياء فى قلب أظلمته أذخنة المحرمات !؟ وكيف تحصل الطهارة والصفاء لنفس اخبثتها قذارات المشتبهات !؟

ولأمر ما حذر عنه اصحاب الشرع وأمناء الوحى غاية التحذير ، وزجروا منه أشد الزجر . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « إن لله ملكاً على بيت المقدس ، ينادى كل ليلة : من أكل حراماً لم يقبل منه حرفة ولا عدل ، : أى لا نافلة ولا فريضة . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من لم يبال من أين اكتسب المال ، لم يبال الله من أين ادخله النار . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به . » وقال ﷺ : « من أصاب مالاً من مائهم ، فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله ، جمع الله ذلك جمعاً ، ثم أدخله فى النار . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن أخوف ما أخاف على أمتى من بعدى هذه المكاسب الحرام ، والشهوة الخفية ، والربا . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « من اكتسب مالاً من الحرام ، فإن تصدق به لم يقبل منه ، وإن تركه وراه

كان زاده الى النار ، (١) . وقال الصادق - عليه السلام - : « إذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ، ثم حج فلبى ، نودى : لا لبيك ولا سعديك ! وإن كان من حله ، نودى : لبيك وسعديك ا ، (٢) . وقال - عليه السلام - : « كسب الحرام يبين في الذرية » . وقال عليه السلام في قوله تعالى :

« وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ جَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنشُورًا » (٣) :

« ان كانت أعمالهم أشد بياضاً من القباطى ، فيقول الله عز وجل لها : كونى هباء . وذلك أنهم كانوا اذا شرع لهم الحرام أخذوه » (٤) . وقال الكاظم - عليه السلام - : « إن الحرام لا ينمى ، وإن نمت لم يبارك فيه ، وإن انفق لم يؤجر عليه ، وما خلفه كان زاده الى النار ، . وفي بعض الأخبار : « أن العبد ليوقف عند الميزان ، وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه انفق ، حتى تغنى تلك المطالبات كل أعماله ، فلا تبقى له حسنة . فتنادى الملائكة : هذا الذى أكل عياله حسناته فى الدنيا ،

(١) هذه النبويات - عدا الخامس - مذكورة فى (احياء العلوم) : ٢ / ٨١ ، وصححناها عليه . اما الخامس ، فقد رواه فى (الوسائل) عن (الكاظم) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب منه ، الباب ١ ، الحديث ١ .

(٢) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به ، باب عدم جواز الاتفاق من الكسب الحرام ، الحديث ٣ . وفى نسخ (جامع السماعات) : « إذا كسب » .

(٣) الفرقان ، الآية : ٢٣ .

(٤) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به ، الباب ١ ، الحديث ٦ . وكذا ما قبله فى هذا الباب ، الحديث ٣ .

وارتهن اليوم باعماله ، . وورد : « أن اهل الرجل وأولاده يتعلقون به يوم القيامة ، فيوقفونه بين يدي الله تعالى ، ويقولون : يا ربنا ، خذ لنا بحقنا منه ، فانه ما علمنا ما نجعل ، وكان يطعمنا من الحرام ونحن لا نعلم . فيقتصص لهم منه ، (١) .

فصل

(عزة تحصيل الحلال)

ينبغي لطالب النجاة أن يفر من الحرام فراره من الأسد ، ويحترز منه احترازه من الحية السوداء ، بل أشد . وأنى يمكنه ذلك في أمثال زماننا الذى لم يبق فيه من الحلال إلا الماء الفرات والحشيش النبات فى ارض الموت ، وما عداه قد أخبثته الأيدي العادية ، وأفسدته المعاملات الفاسدة ! ما من درهم إلا وقد غصب من أهله مرة بعد أولى ، وما من دينار إلا وقد خرج من ايدي من أخذه قهراً كرهة غب أولى ، جل المياه والأراضى من أهلها مفسوبة ، وأنى يمكن القطع بجملة الأقوات واكثر المواشى والحيوانات من أهلها منهوبة ، فأنى يتأتى الجزم بجملة اللحوم والألبان والدسوم . فهيهات ذلك هيهات ! ما من تاجر إلا ومعاملته مع الظالمين ، وما من ذى عمل إلا وهو مخاطط للجائرين من عمال السلاطين .

وبالجملة : الحلال فى امثال زماننا مفقود ، والسبيل دون الوصول اليه مسدود . ولعمري ! أن فقدة آفة عم فى الدين ضررها ، ونار استطار فى الخلق شررها . والظاهر أن اكثر الأعصار كان حالها كذلك . ولذلك قال الامام جعفر بن محمد الصادق - عليهما السلام - : « المؤمن يأكل فى

(١) هذان الخبران الاخيران لم نعثر لهما على مستند . وقد ذكرهما فى (احياء العلوم) :

٣٠ / ٣ ، فقال عن الأول : « وفى الخبر ، « وعن الثانى : « ويقال . »

الدنيا بمنزلة المضطر ، . وقال رجل للكاظم - عليه السلام - : ادع الله جل وعز أن يرزقني الحلال ، فقال : أتدرى ما الحلال؟ قال : الكسب الطيب . فقال : كان علي بن الحسين - عليهما السلام - يقول : الحلال قوت المصطنقين . ولا تكن قل : أحالك من رزقك الواسع ، . ومع ذلك كله ، لا ينبغي للمؤمن أن ييأس من تحصيل الحلال ، ويترك الفرق والفصل بين الأموال ، فان الله سبحانه أجل وأعظم من أن يكلف عباده بأكل الحلال ويسد عنهم طريق تحصيله .

فصل

(أنواع الأموال)

اعلم أن الأموال على أقسام ثلاثة : حلال بين ، وحرام بين ، وشبهات بينهما . ولكل منها درجات ، فان الحرام وإن كان كله خبيثاً ، إلا أن بعضه أخبث من بعض ، فان ما يؤخذ بالمعاملة الفاسدة مع التراضى ليس في الحرمة كمال اليتيم الذي يؤخذ قهراً . وكذلك الحلال وإن كان كله طيباً ، إلا أن بعضه أطيب من بعض . والشبهة كلها مكروهة ، ولا تكن بعضها أشد كراهة من بعض . وكما أن الطيب يحكم على كل حلو بالحرارة ، ولا تكن يقول بعضه حار في الدرجة الأولى ، وبعضه في الثانية ، وبعضه في الثالثة ، وبعضه في الرابعة ، فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى ، وبعضه في الثانية ، وبعضه في الثالثة ، وبعضه في الرابعة . وكذلك درجات الحلال في الصفاء والطيبة ، ودرجات الشبهة في الكراهة .

ثم الحرام إما يجرم لعينه ، كالكلب والخنزير والتراب وغيرها من المحرمات العينية ، أو لصفة حادثة فيه ، كالخمر لاسكاره ، والطعام المسموم

لسميته ، أو خلل في جهة اثبات اليد عليه . وله أقسام غير محصورة ، كلما خوذ بالظلم والقهر والغصب والسرقة والخيانة في الأمانة وغيرها ، والغش والتلبس والرشوة ، وبالبخس في الوزن والكيل ، وبإحدى المعاملات الفاسدة ، من الربا والصرف والاحتكار ، وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه . وقد نهى الله سبحانه عن جميع ذلك في آيات كثيرة ، كقوله تعالى :

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ » (١) .

وقوله : « إِنِّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ

ظَالِمًا... الآية » (٢) . وعن خصوص الربا بقوله : « يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ » ، ثم قال : « فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ

مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » ، ثم قال : « وَإِن تُبْتِغُوا فَلَکُمْ

رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ » (٣) ، ثم قال : « وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ » (٤) .

جعل أكل الربا في أول الأمر مؤدياً الى محاربة الله ، وفي آخره متعرضاً للنار . وقد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه في أخبار كثيرة ، وهي في كتب الأخبار والفقه مذكورة ، وتفصيل جميع المحرمات

(٣) البقرة ، الآية : ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(١) البقرة ، الآية : ١٨٨ .

(٤) البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

(٢) النساء ، الآية : ٩ .

موكول الى كتب الفقه ، وليس هنا موضع بيانه ، فليرجع فيه الى كتب الفقهاء .

الفرق بين الرشوة والهدية

وربما يتوهم الاشتباه في بعض الموارد بين الرشوة والهدية ، فلنشر الى جليلة الحال فيهما ، فنقول : ههنا صور :

الأولى - أن يسلم أو يرسل مالاً الى بعض الاخوان طلباً للاستئناس ، وتأ كيداً للصحة والتودد . وقد عرفت كونه هدية وحلالاً ، سواء قصد به الثواب في الآخرة والتقرب الى الله تعالى أيضاً ، أو لم يقصد به الثواب ، بل قصد مجرد الاستئناس والتودد .

الثانية - أن يقصد بالبذل عوض مالي معين في العاجل ، كأن يهدى الفقير الى الغنى أو الغنى الى الغنى شيئاً ظمهاً في عوض أكثر أو مساو من ماله . وهذا أيضاً نوع هدية ، وحققيقته ترجع الى هبة بشرط العوض ، واذا وفي بما (يطمع فيه) (١) من العوض فلا ريب في حليته . قال الصادق عليه السلام : « الربا ربا ، ان : ربا لا يؤكل ، و ربا لا يؤكل . فاما الذي يؤكل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها ، فذلك الربا الذي يؤكل ، وهو قول الله تعالى :

« وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ

فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ » (٢) .

وأما الذي لا يؤكل ، فهو الذي نهى الله عز وجل عنه ، وأوعد عليه

(١) في النسخ : « يطعمه » ، فرجعنا ما اثبتناه .

(٢) الروم ، الآية : ٣٩ .

النار ، (١) . وعنه - عليه السلام - : قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : الهدية على ثلاثة وجوه : هدية مكافأة ، وهدية مصانعة ، وهدية لله عز وجل ، (٢) . وفي بعض الأخبار نوع إشعار بالحل ، وإن لم يتحقق الوفاء بما (يطمع فيه) (٣) من العوض ، كخبر اسحق بن عمار عن الصادق - عليه السلام - : قال : قلت له **بإيها** : الرجل الفقير يهدى إلى الهدية ، يتعرض لما عندي ، فأخذها ولا أعطيه شيئاً أبجل لي ؟ قال نعم ! هي لك حلال ، وللمن لا تدع أن تعطيه ، (٤) . وهل يحل مع إعطائه العوض المطموع فيه إذا لم يكن من ماله ، بل كان من الأموال التي أعطته الناس ليصرف إلى الفقراء من الزكوات والأخماس وسائر وجوه البر ، والظاهر الحل إذا كان المهدي من أهل الاستحقاق والمهدي له معطياً إياه ، وإن لم يكن ليهدى له شيئاً . وفيه تأمل ، كما يظهر بعد ذلك .

الثالثة - أن يقصد به الاعانة بعمل معين ، كالمحتاج إلى السلطان أو ذي شوكة يهدى إلى وكيلهما ، أو من له مكانة عندهما ، فينظر إلى ذلك العمل ، فإن كان حراماً ، كالمسعى في تنجز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غير ذلك ، أو واجباً ، كدفع ظلم أو استخلاص حق وينحصر الدفع والاستخلاص به ، أو شهادة معينة ، أو حكم شرعي يجب عليه ، أو أمثال

(١) صححه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، أبواب الربا ، الباب ٣ ،

الحديث ١ .

(٢) صححه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، أبواب ما يكتب به ، الباب

١١٦ ، الحديث ١ .

(٣) في النسخ : « يطمعه » .

(٤) صححه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، أبواب ما يكتب به ، الباب

١١٩ ، الحديث ٢ .

ذلك ، فهو رشوة محرمة يحرم أخذها ، وإن كان العمل مباحاً لا حراماً ولا واجباً . فإن كان فيه تعب ، بحيث جاز الاستئجار عليه ، فما يأخذه حلال وجار مجرى الجمالة ، كأن يقول : أوصل هذه الفضة الى السلطان ، ولك دينار . أو اقترح على فلان أن يعينني على كذا أو يعطيني كذا ، وتوقف تنجز غرضه على تعب أو كلام طويل ، فما يأخذه في جميع ذلك مباح ، اذا كان الغرض مشروعاً مباحاً ، وهو مثل ما يأخذه وكيل القاضى للخصومة بين يديه ، بشرط ألا يتعدى من الحق . وإن لم يكن العمل مما فيه تعب ، بل كان مثل كلمة أو فعلة لا تعب فيها أصلاً ، ولكن كانت تلك الكلمة أو تلك الفعلة من مثله مفيدة ، لكونه ذا منزلة ، كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان ، فقال بعض العلماء : الآخذ على هذا حرام ، إذ لم يثبت في الشرع جواز ذلك . ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء يتفرد بمعرفته . وفيه نظر ، إذ الظاهر جواز هذا الآخذ مع مشروعية الغرض وعدم كونه واجباً عليه .

الرابعة - أن يطلب به حصول التودد والمحبة ، ولكن لا من حيث إنه تودد فقط ، بل ليتوصل بجاهه الى اغراض ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها ، وكان بحيث لو لاجاهه لكان لا يهدى اليه ، فان كان جاهه لأجل علم أو ورع أو نسب فالأمر فيه أخف ، والظاهر كون الآخذ حينئذ مكروهاً ، لأنه هدية في الظاهر مع كونه مشابهاً للرشوة . وإن كان لأجل ولاية تولاها ، من قضاء أو حكومة أو ولاية صدقة أو وقف أو جباية مال أو غير ذلك من الاعمال السلطانية ، فالظاهر كون ما يأخذه حراماً لو كان بحيث لا يهدى اليه لولا تلك الولاية ، لأنه رشوة عرضت في معرض الهدية ، إذ القصد بها في الحال طلب التقرب والمحبة ، ولكن لأمر ينحصر

في جنسه ، لظهور أن ما يمكن التوصل اليه بالولايات ماذا ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية ، والقتل بالموعظة ، يقتل البريء لتوعظ به العامة . » وروى : « أنه ﷺ بعث والياً على صدقات الأزدي ، فلما جاء أمسك بعض ما معه ، وقال : هذا لكم وهذا لي هدية . فقال - صلى الله عليه وآله - : ألا جلست في بيت ابيك وبيت امك حتى تأتيك هدية إن كنت صادقاً ! ثم قال : مالي استعمل الرجل منكم ، فيقول : هذه لكم وهذه هدية لي ، ألا جلست في بيت أمه ليهدى له ! والذي نفسي بيده ! لا يأخذ منكم أحد شيئاً بغير حقه إلا أتى الله بحمله ، ولا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر... ثم رفع يديه حتى رأوا بياض ابطيه ، وقال : اللهم هل بلغت ؟ ، (١) .

وعلى هذا ، فينبغي لسلك وال أو حاكم وقاض وغيرهم من عمال السلاطين ، أن يقدر نفسه في بيت ابيه وامه معزولاً بلا شغل ، فما كان يعطى حينئذ يجوز له أن يأخذه في ولايته أيضاً ، وما لا يعطى مع عزله ويعطى لولايته يحرم أخذه ، وما أشكل عليه من عطايا اصدقائه فهو شبهة ، وطريق الاحتياط فيها واضح .

وصل

(الورع عن الحرام)

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه والاحتياط عنه ، وهو الورع بأحد اطلاقيه . فإن الورع قد يفسر بملكية التنزه والاجتناب عن مال الحرام الكلا وطلباً واخذاً واستعمالاً ، وقد يفسر بكيف النفس عن مطلق المعاصي

ومنعها عما لا ينبغي . فعلى الأول يكون ضداً لعدم الاجتناب عن المال الحرام ، ويكون من رذائل قوة الشهوة ، وعلى الثاني يكون ضداً للملكة الولوع على مطلق المعصية ، ويكون من رذائل القوة الغضبية والشهوية جميعاً . ثم الظاهر ان التقوى مرادفة للورع ، فإن لها ايضاً تفسيرين : احدهما : الاتقاء عن الأموال المحرمة ، وقد اطلقت التقوى في بعض الأخبار على هذا المعنى . وثانيهما : ملكة الاتقاء عن مطلق المعاصي ، خوفاً من سخط الله وطلباً لرضاه . فعلى الأول يكون ضداً لعدم التنزه عن المال الحرام ورذيلة لقوة الشهوة ، وعلى الثاني يكون ضداً لملكه ارتكاب المعاصي ورذيلة للقوتين معاً .

ثم اللازم على طريقتهما ان يذكر الورع والتقوى بالتفسير الأول هنا ، وبالتفسير الثاني في المقام الرابع الذي نذكر فيه ما يتعلق بالقوتين أو بالثلاث من الرذائل والفضائل . إلا انا نذكر ما ورد في فضيلتهما هنا ، لدلالة ما ورد في فضيلتهما بالتفسير الثاني على فضيلتهما بالتفسير الأول أيضاً ، ولعدم فائدة في استئناف عنوان على حدة لمطلق المعصية وذكر ما ورد في ذمها ، ثم تذييلها بضعدها الذي هو الورع والتقوى بتفسيريهما العام . إذ بعد ذكر جميع الأجناس والانواع والاصناف من المعاصي والطاعات ، بأحكامها ولو ازمها وذمها ومدحها ، لا فائدة لاستئناف ذكر مطلق المعصية او الطاعة ، إذ لا يتعلق بهما غرض سوى ذكر ما ورد في ذم مطلق المعصية ، وما ورد في مدح مطلق الطاعة ، وهذا امر ظاهر لا حاجة اليه في كتب الاخلاق . نعم ، نشير الى مطلق العصيان وضده ، اعنى الورع والتقوى بالمعنى الأعم ، إجمالاً ، ضبطاً للأنواع والأقسام .

فصل

(مدح الورع)

الورع والتقوى عن الحرام أعظم المنجيات ، وعمدة ما ينال به الى السعادات ورفع الدرجات . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « خير دينكم الورع » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من لقي الله سبحانه ورعاً ، أعطاه الله ثواب الاسلام كله » . وفي بعض المکتب السماوية : « وأما الورعون ، فاني استحي أن أحاسبهم » . وقال الباقر - عليه السلام - : « إن أشد العبادة الورع » . وقال - عليه السلام - : « ما شيعتنا إلا من أتق الله واطاعه ، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين أحد قرابة . أحب العباد الى الله تعالى وأكرمهم عليه أبقاهم واعملهم بطاعته » . وقال الصادق - عليه السلام - : « أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه » . وقال : « اتقوا الله ووصونوا دينكم بالورع » . وقال عليه السلام : « عليكم بالورع ، فانه لا ينال ما عند الله إلا بالورع » . وقال - عليه السلام - : « إن الله ضمن لمن اتقاه ، أن يحوله عما يكره الى ما يحب ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » . وقال - عليه السلام - : « إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى » . وقال عليه السلام : « ما نقل الله عبداً من ذل المعاصي الى عز التقوى ، إلا أغناه من غير مال ، وأعزه من غير عشيرة ، وآنسه من غير بشر » . وقال - عليه السلام - : « إنما أصحابي من اشتد ورعه ، وعمل لحالقه ، ورجا ثوابه : هؤلاء أصحابي » . وقال عليه السلام : « ألا وإن من اتباع امرنا واراדתه الورع ، فترينوا به يرحمكم الله ، وكيدوا أعداءنا به ينعشكم الله » . وقال - عليه السلام - : « اعينونا بالورع ، فان من لقي الله تعالى منكم بالورع ، كان له عند الله فرجاً . إن الله عز وجل يقول :

« وَ مَنْ يُطِمْعَ اللهُ وَالرُّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا » (١).

فما النبي ، وما الصديق والشهداء والصالحون ، . وقال أبو جعفر عليه السلام - : « قال الله عز وجل : يا بن آدم ، اجتنب ما حرم عليك ، تكن من أروع الناس ، . وسئل الصادق - عليه السلام - عن الورع من الناس ، فقال : « الذي يتورع عن محارم الله عز وجل ، (٢) .

ولكون طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه باعثاً للمهلك ، وتوقف النجاة والسعادة في الآخرة على الورع عن المحرمات ، مع افتقار الناس في الدنيا الى المطاعم والملابس ، ورد في فضيلة كسب الحلال ومدحه ما ورد .

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من بات كالأمان من طلب الحلال ، بات مغفوراً له ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « العبادة سبعون جزءاً ، أفضلها طلب الحلال ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة اجزائه في طلب الحلال ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أكل من كده يده ، مر على الصراط كالبرق الخاطف ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أكل من كده يده ، نظر الله اليه بالرحمة ، ثم لا

(١) النساء ، الآية : ٦٨ .

(٢) صححنا الاحاديث الواردة في هذا الفصل على السكاني باب الطاعة والتقوى ،

وباب الورع . وعلى (البعاري) : ٢٠ مج ١٥ / ٩٦ - ٩٨ باب الطاعة والتقوى ، وباب الورع واجتناب الشبهات .

يعذبه ابداً ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أكل من كد يده حلالاً ، فتح الله له ابواب الجنة ، يدخل من أيها شاء ، . وقال ﷺ : « من أكل من كد يده ، كان يوم القيامة في عداد الأنبياء ، ويأخذ ثواب الأنبياء ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس وسهياً على أهله وتمطفاً على جاره ، لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، (١) . وكان - صلى الله عليه وآله - إذا نظر الى الرجل وأعجبه ، قال : « هل له حرفة ؟ فان قال : لا ، قال : سقط من عيني . قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأن المؤمن إذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من سعى على عياله من حله ، فهو كالمجاهد في سبيل الله ، . وقال ﷺ : « من طلب الدنيا حلالاً في عفاف ، كان في درجة الشهداء ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أكل الحلال أربعين يوماً ، نور الله قلبه ، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، . وطلب منه - صلى الله عليه وآله - بعض الصحابة أن يجعله الله تعالى مستجاب الدعوة ، فقال له : « أطب طعمتك تستجب دعوتك ، . وقال الصادق عليه السلام : « اقرؤا من لقيتم من اصحابكم السلام ، وقولوا لهم : إن فلان بن فلان يقرؤكم السلام ، وقولوا لهم : عليكم بتقوى الله عز وجل ، وما ينال به ما عند الله ، إني والله ما أمركم إلا بما نأمر به أنفسنا ، فعليكم بالجد والاجتهاد ، وإذا صليتم الصبح وانصرفتم ، فبكروا في طلب الرزق ، واطلبوا الحلال ، فان الله عز وجل سيرزقكم ويعينكم عليه ، (٢) .

(١) صححنا أكثر الأحاديث المذكورة هنا على الوسائل : كتاب التجارة ،

ابواب مقدماتها ، الباب ٤ . وعلى فروع الكافي : كتاب للميشة ، باب الحث على الطلب والتعرض للرزق .

(٢) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب التجارة ، في الباب المتقدم .

فصل

(مداخل الحلال)

إعلم أن مداخل الحلال خمسة :

الأول — مالا يؤخذ من مالك ، كنبيل المعادن ، وإحياء الموات ، والاصطياد، والاحتطاب ، والاحتشاش، والاستقاء من الشطوط والأنهار . وهذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصاً بذي حرمة من الناس ، وتفصيل ذلك موكول الى كتاب احياء الموات .

الثاني — ما يؤخذ قهراً ممن لا حرمة له ، وهو النوى ، والغنيمة ، وسائر أموال الكفار المحاربين . وذلك حلال للمسلمين بالشروط المقررة في كتاب الغنائم والجزية .

الثالث — ما ينتقل اليه بالرضى من غير عوض ، من حى أو ميت ، كالهبة ، والميراث ، والوصية ، والصدقات . وهذا حلال بشرط أن يكون المنقول منه اكتسبه من مداخل الحلال ، وبضمن سائر الشروط المقررة في كتاب الهبات والغرائب والوصايا والصدقات .

الرابع — ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة ، وذلك حلال بالشرائط والآداب المقررة في فن المعاملات من الفقه ، من البيع ، والسلم ، والاجارة ، والصلح ، والشركة ، والمضاربة ، والمزارعة ، والمساقاة ، والحوالة ، والضمان ، والكتابة ، والخلع ، والصداق ، وغير ذلك من المعاضات .

الخامس — ما يحصل من الزراعة ومنافع الحيوانات . وهو حلال اذا كان الارض والبذر والماء والحيوانات حلالاً بأحد الوجوه المتقدمة .

فهذه مداخل الحلال ، فينبغي لطالب النجاة أن يكون ما يكتسبه

من المال من أحد هذه المداخل ، بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحلية .

فصل

(درجات الورع)

قسم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على اربع درجات :
الأولى — ورع العدول : وهو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه ، وتسقط به العدالة ، ويثبت به العصيان والتعرض للنار ، وهو الورع عن كل ما يجرمه فتوى المجتهدين .

الثانية — ورع الصالحين : وهو الاجتناب من الشبهات أيضاً .
الثالثة — الورع عما يخاف اداؤه الى محرم أو شبهة أيضاً ، وإن لم يكن في نفسه حراماً ولا شبهة ، فهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس .
الرابعة — ورع الصديقين : وهو الاجتناب عن كل ما ليس لله ، ويتناول لغير الله ، وغير نيته التقوى على عبادته وإن كان حلالاً صرفاً لا يخاف اداؤه الى حرام أو شبهة . والصديقون الذين هذه درجاتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ انفسهم ، المتفردون لله تعالى بالقصد ، الراؤن كل ما ليس لله تعالى حراماً ، العاملون بقوله سبحانه :

« قُلِ اللَّهُ نُفُوسٌ ذَرَّتْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ » (١)

تتبعهم

قال الصادق - عليه السلام - : « التقوى على ثلاثة أوجه : تقوى من خوف النار والعقاب ، وهو ترك الحرام ، وهو تقوى العام . وتقوى من الله ،

وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام ، وهو تقوى الخاص . وتقوى في الله ، وهو ترك الحلال فضلا عن الشبهة ، (١) . والى هذه المراتب الثلاث أشير في الكتاب الإلهي بقوله :

« لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ
فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ
اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (٢) .
ومنها :

الغدر والخيانة

في المال أو العرض أو الجاه . ويدخل تحته الذهب بحقوق الناس خفية ، وحبسها من غير عسر ، وبالبنخس في الوزن والكيل ، وبالغش بما يخفى ، وغير ذلك من التديسات المموهة والتلييسات المحرمة . وجميع ذلك من خباثة القوة الشهوية وذرائلها ، ومن الرذائل المهلكة وخبائثها . وقد وردت في ذم الخيانة وأقسامها أخبار كثيرة ، وجميع ما يدل على ذم الذهب بحقوق الناس وأخذ أموالهم بدون رضاهم يدل على ذمها .

و ضد الخيانة (الأمانة) ، وقد وردت في مدحها وعظم فوائدها أخبار كثيرة ، كقول الصادق - عليه السلام - : « إن الله عز وجل لم يبعث نبياً

(١) هذا مقتبس من مصباح الفريفة) : الباب ٨٣ . وفيه تقديم وتأخير في مراتب التقوى عما هنا ولم يدين لنا وجه صفة التعبير : تقوى العام وتقوى الخاص ، فاثبتناه كما وجدناه .

(٢) المائدة ، الآية : ٩٦ .

إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة الى البر والفاجر، وقوله - عليه السلام - :
 « لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم ، فان الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم
 حتى لو تركه استوحش ، ولكن اختبروهم بصدق الحديث وأداء
 الأمانة ، (١) . وقوله - عليه السلام - : « انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند
 رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه ، فإن علياً - عليه السلام - إنما بلغ ما بلغ به
 عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الامانة ، (٢) . وقوله
 - عليه السلام - : « ثلاث لا عذر فيها لأحد : أداء الامانة الى البر والفاجر ،
 والوفاء بالعهد الى البر والفاجر ، وبر الوالدين ، برين كانا أو فاجرين ، (٣) .
 وقوله - عليه السلام - : « كان أبي يقول : اربع من كن فيه كمل ايمانه ،
 وإن كان من قرنه الى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك ، وهي : الصدق ، وأداء
 الأمانة ، والحياء ، وحسن الخلق ، (٤) . وقوله - عليه السلام - : « أهل
 الأرض مرحومون ما يخافون وأدوا الأمانة وعملوا بالحق » . وقيل له عليه السلام :
 « إن امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجوارى فيصلحن ، ومع ذلك
 ما رأينا مثل ما صب عليها من الرزق . فقال : إنها صدقت الحديث وأدت

(١) في نسخ جامع السعادات والبحار والوسائل : « عند صدق الحديث . . . » .
 ورجعنا نسخة الكافي .

(٢) صححنا هذه الاحاديث الثلاثة على البحار : ٢ مج ١٥ / ١٢٣ - ١٢٤ ، باب
 الصدق ولزوم أداء الأمانة . وعلى الكافي : باب الصدق واداء الأمانة . وعلى الوسائل :
 كتاب الوديعه الباب ١ .

(٣) روى في الكافي باب بر الوالدين :- هذا الحديث عن أبي جعفر - عليه السلام -
 وجاء فيه : « ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة . . . » ، ولكن في الوسائل
 - كتاب الوديعه الباب ٢ للطبعة الحجرية - رواه عن الكافي كما في المتن .

(٤) روى في الكافي باب حسن الخلق - هذا الحديث عن الصادق - عليه السلام - ،
 وليس فيه : « كان أبي يقول » .

الأمانة ، وذلك يجلب الرزق ، (١) . والأخبار في فضيلة الأمانة كثيرة .
ولقد قال لقمان : ما بلغت الى ما بلغت اليه من الحكمة ، إلا بصديق الحديث
وأداء الأمانة . فمن تأمل في ذم الخيانة وإيجابها الفضيحة والعار في الدنيا
والعذاب والنار في الآخرة ، وفي فضيلة الأمانة وأدائها الى خير الدنيا
وسعادة الآخرة ، سهل عليه ترك الخيانة والاتصاف بالأمانة .
ومنها :

انواع الفجور

من الزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، والأشتغال بالملاهي ، واستعمال
آلاتها ، من العود ، والمزمار ، والرباب ، والدف ، وامثالها . فإن
كل ذلك من رذائل القوة الشهوية . وكذا لبس الذهب والحريير للرجال .
وقد وردت في ذم كل واحد منهما بخصوصه أخبار كثيرة ، ولا حاجة الى
ذكرها ، لشيوعها واشتهارها .
ومنها :

الخوض في الباطل

وهو التكلم في المعاصي والفجور وحكايتها ، كحكايات أحوال النساء ،
ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق ، وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ومراسمهم
المذمومة واحوالهم المسكروهة ، وأمثال ذلك . فكل ذلك من رداءة القوة
الشهوية وخبائثها .

(١) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب الودعة ، الباب ١ . وهو يرويه عن

ثم لما كانت أنواع الباطل غير محصورة لكثرتها ، فالخوض فيه أيضاً كذلك ، وتكون له أنواع غير متناهية ، ولا يفتح باب كلام إلا وينتهي الى واحد منها ، فلا خلاص منه إلا باقتصار الكلام على قدر الحاجة من مهمات الدين والدنيا . وربما وقعت من الرجل من أنواع الخوض في الباطل كلمة تهلكه وهو مستحقر لها ، فإن أكثر الخوض في الباطل حرام ، ولذا قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل ، . واليه الإشارة بقوله تعالى :

« وَكُنَّا نَخْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ » (١). وقوله تعالى :

« فَلَا تَقْمُودُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْوَضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ » (٢).

وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة ، (٣) . وقال سلمان الفارسي - رضى الله عنه - : « أكثر الناس ذنباً يوم القيامة ، أكثرهم كلاماً في معصية الله ، . وكان رجل من الأنصار يمر على مجلس الخائضين في الباطل ، فيقول لهم : « توضعوا ، فإن بعض ما تقولون شر من الحدث ، .

ثم الخوض في الباطل هو ذكر محظورات سبق وجودها بمجرد شهوة النفس ، من دون حاجة داعية اليه ، فلا مدخلية له بمثل الغيبة والنميمة

(١) المدثر ، ، الآية : ٤٥ .

(٢) النساء ، الآية : ١٣٩ .

(٣) صححناه على كثر العمال : ١١٢ / ٢ .

والفحش والمرء والجدال وأمثالها ، ويدخل فيه الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة ، فإن الحديث عنها خوض في الباطل ، وورد النهى عنه .
ومنها :

التكلم بما لا يعني أو بالفضول

والمراد بالأول : التكلم بما لا فائدة فيه أصلاً ، لا في الدين ولا في الدنيا ، والثاني - أعنى فضول الكلام - : أعم منه ، إذ يتناول الخوض في مالا يعني والزيادة في ما يعني على قدر الحاجة . فإن من يعنيه أمر ويتمكن من تقريره وتأديته وتأدية مقصوده بكلمة واحدة ، ومع ذلك ذكر كلمتين ، فالثانية فضول ، أى فضل على الحاجة . ولا ريب في أن التكلم بما لا يعني وبالفضول مذموم ، وإن لم يكن فيه إثم ، وهو ناش عن زدانة القوة الشهوية ، إذ الباعث عليه ليس إلا مجرد تشهى النفس وهوها .

والسر في ذمه : أنه يوجب تضييع الوقت ، والمنع من الذكر والفكر ، وربما يبني لأجل تهليله أو تسبيحه قصر في الجنة ، وربما ينفخ من نفحات رحمة الله عند الفكرة ما يعظم جدواه . فمن قدر على أن يأخذ كنزاً من الكنوز ، فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها ، كان خاسراً . فمن ترك ذكر الله والفكر في عجائب قدرته ، واشتغل بمباح لا يعنيه ، وإن لم يأثم ، إلا أنه قد خسر ، حيث فاته الربح العظيم بذكر الله وفكره . فإن رأس مال العبد أوقاته ، ومهما صرفها إلى مالا يعنيه ، ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة ، فقد ضيع رأس ماله . على أن الغالب تأدية الخوض في مالا يعني وفي الفضول إلى الخوض في الباطل ، وربما أدى إلى الكذب بالزيادة والنقصان . ولذا ورد في ذمه ما ورد ، وقد روى : « أنه استشهد يوم

احد غلام من أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله - ، ووجد على بطنه حجر مربوط من الجوع ، فمسحت امه التراب عن وجهه ، وقالت : هنيئاً لك الجنة يا بنى ! فقال النبي - صلى الله عليه وآله - : وما يدريك ؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويمنع مالا يضره ؟ ، . وورد أيضاً : « أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال لبعض اصحابه - وهو مريض - : ابشر . فقالت امه : هنيئاً لك الجنة ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : وما يدريك ؟ لعله قال مالا يعنيه أو منع مالا يعنيه ؟ ، : يعنى إنما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ، ومن يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه ، وإن كان كلامه مباحاً ، فلا تتهنأ له الجنة مع المناقشة فى الحساب ، فانه نوع من العذاب . وروى : « أنه تكلم رجل عند النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فاكثر ، فقال له النبي : كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال : شفتاى واسنانى . فقال : أفما كان فى ذلك ما يرد كلامك ؟ ، . وفى رواية أخرى : « أنه قال ذلك فى رجل اثنى عليه ، فاستهتر فى الكلام ، ثم قال : ما أوتى رجل شراً من فضل فى لسانه . » وروى : « أنه قدم رهط من بنى عامر على رسول الله - صلى الله عليه وآله - ، فشرعوا بالمدح والثناء عليه . فقال - صلى الله عليه وآله - : قولوا قولكم ، ولا يستهويكنم الشيطان ، (١) . ومراده - صلى الله عليه وآله - : أن اللسان إذا اطلق الثناء ، ولو بالصدق ، فينخس أن يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها . وقال بعض الصحابة : « إن الرجل ليكلمنى بالكلام وجوابه أشهى الى من الماء البارد على الظمان ، فاتركه خيفة أن يكون فضولاً . » وقال بعض الأكارب : « من كثير كلامه كثير كذبه . » وقال بعضهم : « يهلك

(١) صححنا احاديث الباب كلها على (احياء العلوم) : ٣ / ٩٣ - ٩٩ ، وعلى

(كنز العمال) : ٢ / ١٣٠ ، ١٨٤ .

الناس فى خصلمتئف : فضول المالم ، وفضول الكلام .

فصل

(حد التكلم بما لا يعنى)

التكلم بما لا يعنى وبالفضول لا تنحصر انواعه وأقسامه ، لعدم تناهئها ، وإنما حده أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ، ولم تتضرر فى شئ مما ىتعلق بك ، ولم يعطل شئ من أمورك . مثاله : أن تحكى مع قوم اسفارك ، وما رأيت فىها من جبال وأنهار ، وما وقع لك من الوقائع ، وما استحسنته من الأطعمة والثياب ، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم . فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر ، ولا ىتصور فىها فائدة دئنية ولا دئبوية لأحد ، فاذا بالغت فى الاجتهاد حتى لا تبرز بحكايتك زئادة ونقصان ، ولا تزكئة نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ، ولا اغتئاب شخص ولا مذمة شئ مما خلقه الله ، فانك مع ذلك كله مضئع وقتك .

ثم كما إن التكلم بما لا يعنىك مذموم ، كذلك سؤالك غيرك عما لا يعنىك مذموم ، بل هو أشد ذمأ ، لأنك بالسؤال مضئع وقتك ، وقد الجأت أيضاً صاحبك بالجواب الى تضئئع وقته . وهذا إذا كان الشئ مما لا ىتطرق الى السؤال عنه آفة ، ولو كان فى جوابه آفة — كما هو الشأن فى أكثر الأسئلة عما لا يعنىك — كنت آثماً عاصياً . مثلاً : لو سألت غيرك عن عبادته ، فتقول : هل أنت صائم ؟ فان قال : نعم ، كان مظهرأ عبادته ، فئدخل عليه الرئاء ، وإن لم فدخل الرئاء سقطت عبادته — على الأقل — من دون عبادة السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ،

وإن قال : لا ، كان كاذباً ، وإن سكت ، كان مستحقراً إليك وتأذيت به ، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر الى تعب وجهه فيه . فقد عرضته بالسؤال إما للرياء والكذب ، أو للاستحقار ، أو التعب في حيلة الدفع . وكذلك سؤالك عن كل ما يخفى ويستحي من اظهاره ، أو عما يحتمل أن يكون في إظهاره مانع ، كان يحدث به أحد غيرك ، فتسأله وتقول : ماذا تقول ؟ وفيم أنتم ؟ وكأن ترى انساناً في الطريق فتقول : من أين ؟ إذ ربما يمنع مانع من اظهار مقصوده . ومن هذا القبيل سؤالك غيرك : لم أنت ضعيف ؟ أو ما هذا الضعف أو الهزال الذي حدث بك ؟ أو أى مرض فيك ؟ وامثال ذلك . وأشد من ذلك ان تخوف مريضاً بشدة مرضه ، وتقول : ما اشد مرضك وما اسوأ حالك ! فإن جميع ذلك وامثالها ، مع كونها من فضول الكلام والخوض في مالا يعنى ، يتضمن إثمًا وايداء . وليس من مجرد التكلم بما لا يعنى والفضول ، وإنما مجرد مالا يعنى مالا يتصور فيه ايداء وكسر خاطر واستحياء من الجواب ، كما روى : « أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ، ولم يكن يراها قبل ذلك ، فجعل يتعجب مما يرى . فأراد أن يسأله عن ذلك فنهته الحكمة ، فأمسك نفسه ولم يسأله . فلما فرغ داود ، قام ولبسها ، وقال : نعم الدرع للحرب ! فقال لقمان : الصمت حكمم وقليل فاعله . وهذا وامثاله من الأسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وإيقاع في رياء أو كذب ، فهو مما لا يعنى ، وتركه من حسن الاسلام .

فصل

(علاج الخوض فيما لا يعنى)

سبب الخوض في مالا يعنى وفي فضول الكلام : إما الحرص على

معرفة ما لا حاجة اليه ، أو المباشطة بالكلام على سبيل التودد ، أو تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها ، وكل ذلك من رداة قوة الشهوة .
 وعلاج ذلك من حيث العلم : أن يتذكر ذمه كما مر ، ومدح ضده ، أعنى الصمت ، وتركه - كما يأتي - ويعلم أن الموت بين يديه ، وأنه مسؤول عن كل كلمة ، وأن انفاسه رأس ماله ، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين ، فاهماله وتضييعه خسران ، ومن حيث العمل أن يعتزل عن الناس مهما امكن ، ويلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود لسانه ترك ما لا يعنيه ، وأن يقدم التأمل والتروى على كل كلام يريد أن يتكلم به ، فان كان فيه فائدة دينية أو دنيوية تكلم به وإلا تركه . وكان بعضهم يضع في فمه حجراً ، خوفاً من التكلم بالفضول وما لا يعنيه .

وصل

(الصمت)

ضد التكلم بما لا يعنيه وبالفضول تركها ، إما بالصمت أو بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بدينه أو دنياه . وفوائد الصمت ومدحه يأتي في موضعه .
 وقد وردت أخبار في المدح على خصوص ترك ما لا يعنى وفضول الكلام ، كقول النبي ﷺ : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله » . وانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك ، فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان . وروى : « أنه - صلى الله عليه وآله - قال ذات يوم : إن اول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة . فلما دخل هذا الرجل ، قالوا له : اخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجوبه . فقال : انى رجل ضعيف العمل ، وأوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا

يعنيني ، . وقال - صلى الله عليه وآله - لأبي ذر : « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان . قال : بلى يا رسول الله . قال : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك ما لا يعينك » . قال ابن عباس : « خمس هن أحسن من الدراهم المونقة : لا تتكلم فيما لا يعينك ، فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر . ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعاً ، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت . ولا تمار حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك بصمته ، وإن السفيه يؤذيك بمنطقه . واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به ، واعفه مما تحب أن يعفبك منه . واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاحترام ، (١) . وقيل للقيمان : ما حكمتك ؟ قال : « لا أسأل عما كفت ، ولا أتكلف ما لا يعنيني » . وما ورد في فضيلة ترك الفضول وما لا يعنى في اخبار الحجج - عليهم السلام - وكلمات الأکابر من الحكماء والعرفاء أكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه كاف لأهل الاستبصار .

(١) ذكر هذه الرواية عن ابن عباس في (احياء العلوم) : ٩٧ / ٣ . وفيه اختلاف كبير عما هنا ، ولم يحصل لنا ان نحقها على مصدر آخر . والأحاديث النبوية هنا رواها في (احياء العلوم) أيضاً في الموقع المذكور .

المقام الرابع

(فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقلة وقوى الغضب والشهوة، أو بائنتين منها من الرذائل والفضائل)

الحسد وذمه - الغبطة - بواعث الحسد - لاتحاسد بين علماء الآخرة
والعارفين - علاج الحسد - القدر الواجب في نفي الحسد - النصيحة - الايذاء
والاهانة - كف الأذى - ذم الظلم - العدل - اخافة المؤمن - ادخال السرور
على المؤمن - ترك اعانة المسلمين - قضاء حوائج المسلمين - المداهنة في الأمر
بالمعروف - السعي فيه - وجوبه وشروطه - لاشتراط العدالة فيه - مراتبه -
ما ينبغي في الأمر والنهي - انواع المنكرات - الهجران - التآلف - قطع
الرحم - صلة الرحم - المراد منه - عقوق الوالدين - برهما - حق الجوار -
حدود الجوار وحقه - طلب العثرات - ستر العيوب - افشاء السر - كتمان
السر - التميمية - السعاية - الافساد بين الناس - الاصلاح - الشناعة - المراء -
علاجه - طيب الكلام - السخرية - المزاح - المذموم منه - الغيبة -
لا تنحصر الغيبة باللسان - بواعثها - ذمها - مسوغاتها - كفارتها - البهتان -
المدح - الكذب - ذمه - مسوغاته - التورية والمبالغة - شهادة الزور - علاج
الكذب - الصدق ومدحه - انواعه - اللسان اضر الجوارح - الصمت -
حب الجاه - ذمه - الجاه احب من المال - لا بد للانسان من جاه - دفع اشكال -
الكمال الحقيقي في العلم والقدرة والجاه والمال - علاج حب الجاه - الخمول -
مراتب حب المدح - اسبابه - علاجه - ضد حب المدح - الرياء - ذمه -
اقسامه - تأثير الرياء على العبادة - السرور بالاطلاع على العبادة - متعلقات الرياء -
بواعثه - الرياء الجلي والخفي - كيف يفسد الرياء العمل - شوائب الرياء المبطللة
للعمل - علاجه - الوسوسة بالرياء - الاخلاص - مدحه - آفاته - النفاق .

فمنها :

الحسد

وهو تمنى زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم بما له فيه صلاح ، فان لم ترد زوالها عنه ولاكن تريد لنفسك مثلها فهو (غبطة) ومنافسة ، فان لم يكن له فيها صلاح وأردت زوالها عنه فهو (غيرة) . ثم إن كان باعث حسدك مجرد الحرص على وصول النعمة الى نفسك ، فهو من رداة القوة الشهوية ، وإن كان باعثه محض وصول المكروه الى المحسود ، فهو من رذائل القوة الغضبية ، ويكون من نتائج الحقد الذى هو من نتائج الغضب ، وإن كان باعثه مركباً منهما ، فهو من رداة القوتين . وضده (النصيحة) ، وهى ارادة بقاء نعمة الله على أخيك المسلم بما له فيه صلاح .

ولا ريب فى أنه لا يمكن الحكم على القطع بكون هذه النعمة صلاحاً أو فساداً . فربما كانت وبالاً على صاحبه وفساداً له ، مع كونها نعمة وصلاحاً فى بادية النظر . فالمناط فى ذلك غلبة الظن ، فما ظن كونه صلاحاً فارادة زواله حسد و ارادة بقاءه نصيحة ، وما ظن كونه فساداً فارادة زواله غيرة . ثم إن اشتبه عليك الصلاح والفساد ، فلا ترد زوال نعمة أخيك ولا بقاءها إلا مقيداً بالتفويض وشرط الصلاح ، لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك حكم النصيحة . والمعيار فى كونك ناصحاً : أن تريد لأخيك ما تريد لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك . وفى كونك حاسداً : أن تريد له ما تكره لنفسك ، وتكره له ما تريد لنفسك .

فصل

(ذم الحسد)

الحسد أشد الأمراض وأصعبها ، وأسوأ الرذائل وأخبثها ، ويؤدى بصاحبه الى عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة ، لأنه فى الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والالام ، إذ هو يتألم بكل نعمة يرى لغيره ، ونعم الله تعالى غير متناهية . لا تنقطع عن عبادته ، فيدوم حزنه وتألمه . فوبال حسده يرجع الى نفسه ، ولا يضر المحسود اصلاً ، بل يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث أنه يعيبه ، ويقول فيه ما لا يجوز فى الشريعة ، فيكون ظالماً عليه ، فيحمل بعضاً من أوزاره وعصيانته ، وتنقل مصالحات أعماله الى ديوانه ، حسده لا يؤثر فيه إلا خيراً ونفعاً ، ومع ذلك يكون فى مقام التعاند والتضاد مع رب الأرباب وخالق العباد ، إذ هو الذى أفاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء . وأراد بمقتضى حكمته ومصالحته ، فختمته الحقبة الكاملة أوجبت بقاء هذه النعمة على هذا العبد ، والحاسد المسكين يريد زوالها ، وهل هو إلا سخط قضاء الله فى تفضيل بعض عبادته على بعض ، وتمنى انقطاع فيوضات الله التى صدرت عنه بحسب حكمته و ارادة خلاف ما أراد الله على مقتضى مصالحته ؟ بل هو يريد نقصه سبحانه ، وعدم اتصافه بصفاته الكمالية . إذ إفاضة النعم منه سبحانه فى أوقاتها اللائقة على محالها المستعدة من صفاته الكمالية التى عدمها نقص عليه تعالى ، وإلام يصدر عنه ، وهو يريد ثبوت هذا النقص ، ثم تمنيه زوال النعم الإلهية التى هى الوجودات ورجوع الشرور الى الاعدام . يكون طالباً للشر ومحباً له . وقد صرح الحكماء بأن من رضى بالشر ، ولو بوصوله الى العدو ، فهو شرير .

فالحسد أشد الرذائل ، والحاسد شر الناس . وأى معصية أشد من كراهة راحة مسلم من غير أن يكون له فيها مضرة ؟ ولذا ورد به الذم الشديد في الآيات والأخبار ، قال الله سبحانه في معرض الإنكار :

« أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ » (١) . وقال : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » (٢) . وقال : « إِنْ تَمَسَسْنَاكُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا » (٣) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « قال الله عز وجل لموسى بن عمران : يا بن عمران ، لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلى ، ولا تمدن عينيك الى ذلك ، ولا تتبعه نفسك ؛ فان الحاسد ساخط لنعى ، صاد لقسمى الذى قسمت بين عبادى . ومن يك كذلك ، فلست منه وليس منى » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخوانا » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « دب اليكم داء الامم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضة هى الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين . والذى نفس محمد بيده ! لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا . ألا انبئكم بما يثبت ذلك لكم ؟

(١) النساء ، الآية : ٥٣ . (٣) آل عمران ، الآية : ١٢٠ .

(٢) البقرة ، الآية : ١٠٩ .

افشوا السلام بينكم ا ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « كاد الفقر أن يكون كفراً ، وكاد الحسد أن يغلب القدر ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « سيصيب أمتي داء الأمام . قالوا : وما داء الأمام ؟ قال : الأشر ، والبطر ، والتكاثر ، والتنافس في الدنيا ، والتباعد والتحاسد ، حتى يكون البغي ثم الهرج ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون ، . وقال ﷺ : « إن لنعم الله أعداء . فقيل : ومن هم ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، . وورد في بعض الأحاديث القدسية : « أن الحاسد عدو نعمتي ، متسخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي ، . وقال الإمام أبو جعفر الباقر - عليهما السلام - : « إن الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر (١) ، وأن الحسد لياكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ، . وقال أبو عبدالله عليه السلام : « آفة الدين : الحسد والعجب والفخر ، . وقال عليه السلام : « إن المؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق يحسد ولا يغبط ، (٢) . وقال : « الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود ، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ، ولآدم الاجتباء والهدى والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء . فيمكن محسوداً ولا تكن حاسداً ، فان ميزان الحاسد أبدأ خفيف بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم ، فماذا ينفع الحسد الحاسد ، وماذا يضر المحسود الحسد .

(١) في بعض نسخ (الكافي) : « ليتأذى » وفي نسخ (جامع السماعات) : « ليتأذى بأى » . ورجعنا نسخة (الوسائل) و(البحار) كما في المتن .

(٢) صححنا احاديث هذا الفصل على (البحار) : ٣ / مج ١٥ / ١٣١ - ١٣٢ ، باب الحسد . وعلى (الكافي) : باب الحسد . وعلى (سفينة البحار) : ١ / ٢٥٠ - ٢٥١ . وعلى (احياء المولود) : ٣ / ١٦٢ - ١٦٤ . وعلى (الوسائل) : أبواب جهاد النفس ، الباب ٥٤ .

والحسد أصله من عى القلب والجحود بفضل الله تعالى ، وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد ، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً ، ولا توبة للحاسد ، لأنه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه ، يبدو بلا معارض به ، ولا سبب ، والطبع لا يتغير عن الأصل ، وإن عولج ، (١) . وقال بعض الحكماء : « الحسد جرح لا يبرأ » . وقال بعض العقلاء : « ما رأيت ظالماً أشبهه بمظلوم من حاسد ، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه » . وقال بعض الأكابر : « الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً ، ولا من الملائكة إلا لعنة وبغضاً ، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً ، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً » ، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا . . والأخبار والآثار في ذم الحسد أكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه يكفي لطالب الحق . ثم ينبغي أن يعلم أنه إذا أصاب النعمة كافر أو فاجر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وايداء الخلق وافساد ذات البين ، فلا مانع من كراهتها عليه وحب زوالها منه ، من حيث أنها آلة للفساد ، لا من حيث أنها نعمة .

فصل

(المنافسة والغبطة)

قد علمت أن المنافسة هي تمنى مثل ما للمغبوط ، من غير أن يريد زواله عنه ، وليست مذمومة ، بل هي في الواجب واجبة ، وفي المندوب مندوبة ، وفي المباح مباحة . قال الله سبحانه :

« وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » (٢)

(١) هذا الخبر في (مصباح المريمية) : الباب ٥١ ، وصححه عليه .

(٢) للطفين ، الآية : ٢٦ .

وعليها يحمل قول النبي - صلى الله عليه وآله - : « لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله مالاً ، فسلطه على ماله في الحق . ورجل آتاه الله علماً ، فهو يعمل به ويعلمه الناس ، : أى لا غبطة إلا في ذلك ، سميت الغبطة حسداً كما يسمى الحسد منافسة ، اتساعاً لمقارنتهما . وسبب الغبطة حب النعمة التي للمغبوط ، فإن كانت أمراً دينياً فسببها حب الله وحب طاعته ، وإن كانت دنيوية فسببها حب مباحات الدنيا والتنعم فيها . والأول لا كراهة فيه بوجه ، بل هو مندوب إليه . والثاني وإن لم يكن حراماً ، إلا أنه ينقص درجته في الدين ، ويحجب عن المقامات الرفيعة ، لمنافاته الزهد والتوكل والرضا .

ثم الغبطة لو كانت مقصورة على مجرد حب الوصول الى مثل مال للمغبوط ، لكونه من مقاصد الدين والدنيا ، من دون حب مساواته له وكراهة نقصانه عنه ، فلا حرج فيه بوجه ، وإن كان معه حب المساواة وكراهة التخلف والنقصان ، فهنا موضع خطر . اذ زوال النقصان اما بوصوله الى نعمة المغبوط أو بزوالها عنه ، فاذا انسدت إحدى الطريقتين تكاد النفس لا تنفك عن شهوة الطريقة الأخرى . إذ يبعد أن يكون انسان يريد مساواة غيره في النعمة فيمجز عنها ، ثم لا ينفك عن ميل الى زوالها ، بل الأغلب ميله اليه ، حتى اذا زالت النعمة عنه كان ذلك عنده أشهى من بقائها عليه ، إذ بزوالها يزول نقصانه وتخلفه عنه . فإن كان بحيث لو ألقى الأمر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه ، كان حسداً مذموماً . وإن منعه مانع العقل من ذلك السعى ، وانكسبه وجد من طبعه الفرح والارتياح بزوال النعمة عن المغبوط ، من غير كراهة لذلك ومجاهدة لدفعه ، فهو أيضاً من مذموم الحسد ، وإن لم يكن في المرتبة الأولى . وإن كره ما يجد

في طبعه من السرور والانبساط بزوال النعمة بقوة عقله ودينه ، وكان في مقام المجاهدة لدفع ذلك عن نفسه ، فمقتضى الرحمة الواسعة أن يعنى عنه ؛ لأن دفع ذلك ليس في وسعه وقدرته إلا بمشاق الرياضات . إذ ما من انسان إلا ويرى من هو فوقه من معارفه واقاربه في بعض النعم الإلهية ، فاذا لم يصل الى مقام التسليم والرضا ، كان طالباً لمساواته له فيه ، وكارهاً عن ظهور نقصانه عنه . فاذا لم يقدر أن يصل اليه ، مال طبعه بلا اختيار الى زوال النعمة عنه ، واهتز وارتاح به حتى ينزل هو الى مساواته . وهذا وإن كان نقصاً تنحط به النفس عن درجات المقربين ، سواء كان من مقاصد الدنيا أو الدين ، إلا أنه لكرهته له بقوة عقله وتقواه ، وعدم العمل بمقتضاه ، يعنى عنه إن شاء الله ، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له .

وقد ظهر من تضاعيف ما ذكر : أن الحسد المذموم له مراتب اربع :
الأولى — أن يجب زوال النعمة عن المحسود وإن لم تنتقل اليه ، وهذا اخيب المراتب وأشدّها ذماً .

الثانية — أن يجب زوالها لرغبته في عينها ، كرهبته في دار حسنة معينة ، أو امرأة جميلة بعينها ، ويجب زوالها من حيث توقف وصوله اليها عليه ، لأمن حيث تنعم غيره بها . ويدل على تحريم هذه المرتبة وذمها قوله تعالى :

« وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ

بَعْضٍ » (١) .

الثالثة — ألا يشتهى عينها ، بل يشتهى لنفسه مثلها ، إلا أنه إن

عجز عن مثلها احب زوالها عنه ، كيلا يظهر التفاوت بينهما ، ومع ذلك لو خلى وطبعه ، اجتهد وسعى في زوالها .

الرابعة — كالثالثة ، إلا أنه إن اقتدر على ازالتها منعه قاهر العقل أو غيره من السعى فيه ، ولما كانه يهتز ويرتاح به من غير كراهة من نفسه لذلك الارتياح .

والغبطة لها مرتبتان :

الأولى — أن يشتهي الوصول الى مثل ما للغبوط ، من غير ميل الى المساواة وكراهة للنقصان ، فلا يحب زوالها عنه .

الثانية — أن يشتهي الوصول اليه مع ميله الى المساواة وكراهته للنقصان ، بحيث لو عجز عن نيله ، وجد من طبعه حياً خفياً لزوالها عنه ، وارتاح من ذلك ادراكاً للمساواة ودفعاً للنقصان ، إلا أنه كان كارهاً من هذا الحب ، ومغضباً على نفسه لذلك الارتياح، وربما سميت هذه المرتبة بـ (الحسد المعفو عنه) وكأنه المقصود من قوله - صلى الله عليه وآله - : ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن : الحسد ، والظن ، والطيرة . . . ثم قال : وله منهن مخرج ، اذا حسدت فلا تبغ — أى إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به ، وكن كارهاً له — وإذا ظننت فلا تحقق ، واذا تطيرت فامض ، .

فصل

(بواعث الحسد)

بواعث الحسد سبعة :

الأول — خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله . فانك تجد في زوايا العالم من يسر ويرتاح بابتلاء العباد بالبلايا والمحن ، ويمزن من حسن حالهم

وسعة عيشهم . فثله اذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم ، وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم ، يجد من طبعه الخبيث فرحاً وانبساطاً ، وإن لم يكن بينه وبينهم عداوة ولا رابطة ، ولم يوجب ذلك تفاوتاً في حاله من وصوله الى جاه أو مال أو غير ذلك . واذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله وانتظام اموره ، شق ذلك عليه ، وإن لم يوجب ذلك نقصاً في شيء مما له . فهو يبخل بنعمة الله على عباده من دون قصد وغرض ، ولا تصور انتقال النعمة اليه ، فيكون ناشئاً عن خبث نفسه ورذالة طبعه . ولذا يعسر علاجه ، لسكونه مقتضى خبائثة الجبلة ، وما يقتضيه الطبع والجبلة تعسر ازالته ، بخلاف ما يحدث من الأسباب العارضة .

الثاني — العداوة والبغضاء . وهي أشد أسبابه ، إذ كل احد إلا أوحدي من المجاهدين . إذا أصابت عدوه بلية فرح بذلك ، إما لظنها مكافأة من الله لأجله ، أو لحبه طبعاً ضعفه وهلاكه . ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك ، لأنه ضد مراده ، وربما تصور لأجله أنه لا منزلة له عند الله ، حيث لم ينتقم من عدوه وأنعم عليه ، فيحزن لذلك .

الثالث — حب الرئاسة وطلب المال والجاه . فان من غلب عليه حب التفرد والثناء ، واستقره الفرح بما يمدح به من أنه وحيد الدهر وفريد العصر في فنه ، من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو غير ذلك ، لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك ، وارتاح بموته أو زوال النعمة التي يشاركه فيها ، ليكون فائقاً على السكل في فنه ، ومتفرداً بالمدح والثناء في صفته .

الرابع — الخوف من فوت المقاصد . وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد ، فان كل واحد ، منهما يحسد صاحبه في وصوله هذا

المقصود ، طلباً للتفرد به ، كتحاسد الضرات في مقاصد الزوجية ، والأخوة في نيل المنزلة في قلب الأبوين توصلاً الى مالهما ، والتلامذة لأستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه ، وندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة والكرامة عنده ، والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على أهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم ، اذا كان غرضهم ذلك .

الخامس — التعزز : وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه بعض اقرانه ، ويعلم أنه لو أصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره ، وهو لا يطيق ذلك لعزة نفسه ، فيحسده لو أصاب تلك النعمة تعززاً لنفسه . فليس غرضه أن يتكبر ، لأنه قد رضى بمساواته ، بل غرضه أن يدفع كبره .

السادس — التكبر : وهو أن يكون في طبعه الترفع على بعض الناس ، ويتوقع منه الانقياد والمتابعة في مقاصده ، فاذا نال بعض النعم خاف الا يحتمل تكبره ويترفع عن خدمته ، وربما راد مساواته أو التفوق عليه ، فيعود مخدوماً بعد ان كان خادماً ، فيحسده في وصول النعمة لأجل ذلك . وقد كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله من هذا القبيل ، حيث قالوا : كيف يتقدم علينا غلام فقير يقيم ؟

« لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ

الْقُرَيْشِ لَكُنْتُمُ الْكَاذِبِينَ عَظِيمٌ » (١) .

السابع — التعجب : وهو أن يكون المحسود في نظر الحاسد حقيراً ، والنعمة عظيمة ، فيعجب من فوز مثله بمثلها ، فيحسده ويجب زوالها عنه ، ومن هذا القبيل حسد الأمم لأنبيائهم ، حيث قالوا :

« مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا » (١) . « فَقَالُوا : أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا ؟ » (٢) . « وَلَئِنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ لَأَنْتُمْ إِذَا تَخَلَّيْتُمْ عَنْهَا تَخَلَّيْتُمْ عَنْهَا » (٣) .

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبة الوحي والرسالة ، وحسدوه بمجرد ذلك ، من دون قصد تكبر أو رئاسة أو عداوة أو غيرها من أسباب الحسد .

وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها في شخص واحد ، فيعظم لذلك حسده ، وتقوى قوة لا يقدر معها على المجاملة ، فتظهر العداوة بالمسكافة . وربما قوى الحسد بحيث يتمنى صاحبه أن يزول عن كل أحد ما يراه له من النعمة ، وينتقل إليه . ومثله لا ينفك عن الجهل والحرص ، إذ هو يتمنى استجماع جميع النعم والخيرات الحاصلة لجميع الناس له ، ولا ريب في استحالة ذلك ، ولو قدر أمكانه لا يمكنه الاستمتاع بها ، فلو لم يكن حريصاً لم يتمن ذلك أصلاً ، ولو كان عالماً لدفع هذا التمني بقوته العاقلة .

﴿ تنبيه ﴾ بعض الأسباب المذكورة ، كما يقتضى أن يتمنى زوال النعمة والسرور به كذلك يقتضى تمنى حدوث البلية والارتياح منه . إلا أن المعدود من الحسد هو الأول ، والثاني معدود من العداوة . فالعداوة اعم منه ، إذ هي تمنى وقوع مطلق الضرر بالعدو ، سواء كان زوال نعمة أو حدوث بلية . والحسد تمنى زوال مجرد النعمة .

(٣) المؤمنون ، الآية : ٣٤ .

(١) بس ، الآية : ١٥ .

(٢) المؤمنون ، الآية : ٤٨ .

فصل

(لا تحاسد بين علماء الآخرة والعارفين)

الاسباب المذكورة إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض ، فإذا خالف بعضهم بعضاً في غرض من أغراضه ، أبغضه وثبت فيه الحقد ، فعند ذلك يريد استحقاقه والتكبر عليه ، ويكون في صدد مكافاته على المخالفة لغرضه ، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه ، فيتحقق الحسد . ولذا ترى أنه لا تحاسد بين شخصين في بلدين متباعدتين ، لعدم رابطة بينهما ، إلا إذا تجاوزا في محل واحد ، وتواردوا على مقاصد تظهر فيها مخالفة بينهما ، فيحدث منهما التباغض ، وتثور منه بقية أسباب الحسد . وترى كل صنف يحسد مثله دون غيره ، لتواردهما على المقاصد ، وتزاحمهما على صنعة واحدة ، فالعالم يحسد العالم دون العابد والتاجر يحسد التاجر دون غيره ، إلا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفة ، وهكذا ينجم من اشتد حرصه على حب الجاه وأحب الصيت والاشتهار في جميع اطراف العالم وشاق التفرد بما هو فيه ، فإنه يحسد كل من في العالم ممن يشاركه في الفن الذي يتفاخر به .

ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا ، إذ منافعها لصيقها وانحصارها تصير محل التزاحم والتعارك ، بحيث لا يمكن وصول منفعة منها ، كمنصب أو مال ، إلى أحد إلا بزوالها عن الآخر . وأما الآخرة ، فلا ضيق فيها ، فلا تنازع بين أهلها . ومثالها في الدنيا العلم ، فإنه منزّه عن المزاحمة ، فمن يحب العلم بالله وصفاته وافعاله ومعرفة النظام الجملي من البدو إلى النهاية ، لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً . إذ العلم لا يضيق عن كثرة العالمين ، والمعلوم

الواحد يعرفه الف الف عالم ، ويفرح كل واحد منهم بمعرفته ويلتذ به ، ولا ينقص ماله به بمعرفة غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمره الافادة والاستفادة . إذ معرفة الله بجر واسع لا ضيق فيه ، وكل علم يزيد بالانفاق وتشريك غيره من ابناء النوع ، يصير منشأ لزيادة اللذة والبهجة ، وقس على العلم التقرب والمنزلة عند الله وغيرهما من النعم الاخرية . فان أجل ما عند الله من النعم وأعلى مراتب المنزلة والقرب عنده تعالى لذة لقائه ، وليس فيها مانعة ومزاحمة ، ولا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض ، بل يزيد الأانس بكثرتهم .

وقد ظهر مما ذكر : أنه لا تحاسد بين علماء الآخرة ، لأنهم يلتذون ويبتهجون بكثرة المشاركين في معرفة الله وحبه وأنسه ، وإنما يقع التحاسد بين علماء الدنيا ، وهم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاه . إذ المال أعيان وأجسام ، اذا وقعت في يد واحد خلت عنها أيدي الآخرين . والجاه ملك القلوب ، واذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم ، انصرف عن تعظيم الآخر ، أو نقص عنه لا محالة ، فيكون ذلك سبباً للتحاسد . وأما اذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفة الله ، لم يمنع ذلك من أن يمتلىء غيره به . فلو ملك انسان جميع ما في الأرض ، لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه وانحصاره . وأما العلم فلا نهاية له ، ومع ذلك لو ملك انسان بعض العلوم ، لم يمنع ذلك من تملك غيره له .

فظهر أن الحسد إنما هو في التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل ، فلا حسد بين العارفين ولا بين أهل العليين ، لعدم ضيق ومزاحمة في المعرفة ونعيم الجنة ، ولذا قال الله سبحانه فيهم :

« وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْبٍ لِمَخْوَانَا عَلَىٰ سُرُورٍ »

مُتَمَقِّبِينَ « (١) .

بل الحسد من صفات المسجونين في سجن السجين .
 فيا حبيبي ، إن كنت مشفقاً على نفسك ، طالباً لعبارة رمسك ،
 فاطلب نعمة لا مزاحمة فيها ، ولذة لا مكدر لها . وما هي إلا لذة معرفة
 الله وحبه وانسه ، والانقطاع الى جناب قدسه ، وإن كنت لا تلتذ بذلك ،
 ولا تشتاق اليه ، وتنحصر لذاتك بالأمور الحسية والوهمية ، فاعلم أن
 جوهر ذاتك معيوب ، وعن عالم الأنوار محجوب ، وعن قريب تحشر مع
 البهائم والشياطين ، وتكون مغلولاً معهم في أسفل السافلين . ومثلك في
 عدم درك هذه اللذة ، مثل الصبي والعنين في عدم درك لذة الوقاع . فكما
 أن هذه اللذة يختص بادراكها رجال اصحاء ، فكذلك لذة المعرفة يختص
 بادراكها :

« رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ » (٢)

ولا يشتاق غيرهم اليها ، إذ الشوق بعد الذوق ، فمن لم يذق لم
 يعرف ، ومن لم يعرف لم يشتق ، ومن لم يشتق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم
 يدرك ، ومن لم يدرك كان مطروداً عن العليين ، ممنوعاً عن مجاورة المقربين ،
 محبوساً مع المحرومين في أضييق دركات السجين :

« وَ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا

فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » (٣) .

(١) الحجر ، الآية : ٤٧ .

(٢) النور ، الآية : ٣٧ .

(٣) الزخرف ، الآية : ٣٦ .

فصل

(علاج الحسد)

لما علم أن الحسد من الأمراض المهلكة للنفوس ، فاعلم أن أمراض النفوس لا تداوى إلا بالعلم والعمل . والعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضرك في الدين والدنيا ، ولا يضر محسودك فيهما ، بل ينتفع به فيهما . ومهما عرفت ذلك عن بصيرة وتحقيق ، ولم تكن عدو نفسك لا صديق عدوك ، فارقت الحسد .

وأما أنه يضر بدينك ويؤدي بك الى عذاب الأبد وعقاب السرمد ، فلما علمت من الآيات والأخبار الواردة في ذمه وعقوبة صاحبه ، ولما عرفت من كون الحاسد ساخطاً لقضاء الله تعالى ، وكارهاً لنعمه التي قسمها لعباده ، ومنكراً لعده الذي أجراه في ملكه . ومثل هذا السخط والآنكار ، لا يجابه الضدية والعناد الخالق العباد ، كاد أن يزيل اصل التوحيد والايان ، فضلاً عن الاضرار بهما . على أن الحسد يوجب الغش والعداوة بالمؤمن ، وترك نصيحته وموالاته وتعظيمه ومراعاته ومفارقة أنبياء الله وأوليائه في حبهم الخير والنعمة له ، ومشاركة الشيطان واحزابه في فرحهم بوقوع المصائب والبلايا عليه ، وزوال النعم عنه . وهذه خبائث في النفس ، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

وأما أنه يضرك في الدنيا ، لأنك تتألم وتتعب به ، ولا تزال في تعب وغم وكد وهم ، إذ نعم الله لا تنقطع عن عباده ولا عن أعدائك ، فانت تتعذب بكل نعمة تراها لهم ، وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم ، فتبقى دائماً مغموماً محزوناً ، ضيق النفس منشعب القلب ، فانت باختيارك تجرالى

نفسك ما تريد لأعدائك ويريد أعداؤك لك . وما أعجب من العاقل أن يتعرض لسخط الله ومقتته في الآجل ، ودوام الضرر والالم في العاجل ، فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى وفائدة .

وأما أنه لا يضر المحسود في دينه ودنياه فظاهر ؛ لان النعمة لا تزول عنه بحسدك . إذ ما قدره الله من النعم على عباده لا بد أن يستمر الى وقته ، ولا ينفع التدبير والحيلة في دفعه، لا مانع لما أعطاه ولا راد لما قضاه : « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » . « وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ » (١) .

ولو كانت النعم تزول بالحسد ، لم تبق عليك وعلى كافة الخلق نعمة ، لعدم خلوك وخلوهم عن الحسد ، بل لم تبق نعمة الايمان على المؤمنين ، إذ الكفار يحسدونهم ، كما قال الله سبحانه :

« وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » (٢) .

ولو تصورت زوال النعمة عن محسودك بحسدك ، وعدم زوالها عنك بحسد حاسدك ، لكنت أجمل الناس وأشدهم غباوة . نعم ، ربما صار حسدك منشأ لا تنتشر فضل المحسود ، كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت ، أتاح لها لسان حسود
فاذا لم تزل نعمته بحسدك ، لم يضره في الدنيا ، ولا يكون عليه إثم في الآخرة .

وأما أنه ينفعه في الدين ، فذلك ظاهر من حيث كونه مظلوما من

جهتك ، (لا) سيما اذا اخرجك الحسد الى ما لا ينبغي من القول والفعل ، كالغيبة ، والبهتان ، وهتك ستره ، وإفشاء سره ، والقدرح فيه ، وذكر مساويه . فتحتمل بهذه الهدايا التي تهديها اليه بعضاً من أوزاره وعصيانه ، وتنقل شطراً من حسناتك الى ديوانه ، فيلقاك يوم القيامة مفلساً محروماً عن الرحمة ، كما كنت تلقاه في الدنيا محروماً عن النعمة . فاضفت له نعمة الى نعمة ، ولنفسك نقمة الى نقمة .

وأما أنه ينفعه في الدنيا ، فهو أن أهم أغراض الناس مساءة الاعداء ، وسوء حالهم ، وكونهم متألين معذبين . ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد . فقد فعلت بنفسك ما هو غاية مراد حسادك في الدنيا . واذا تأملت هذا ، عرفت أن كل حاسد عدو نفسه ، وصديق عدوه . فمن تأمل في ذلك ، وتذكر ما يأتي من فوائد النصيحة وحب الخير والنعمة للمسلمين ، ولم يكن عدو نفسه ، فارق الحسد ألبتة .

وأما العمل النافع فيه ، فهو أن يواظب على آثار النصيحة التي هي ضده ، بأن يصمم على أن يكلف نفسه بنقيض ما يقتضيه الحسد من قول وفعل ، فان بعثه الحسد على التكبر عليه ، ألزم نفسه التواضع له ، وان بعثه على غيبته والقدرح فيه ، كلف لسانه المدح والثناء عليه ، وإن بعثه على الغش والخرق بالنسبة اليه ، كلف نفسه بحسن البشر واللين معه ، وإن بعثه على كف الانعام عنه ، ألزم نفسه زيادته . ومهما فعل ذلك عن تكلف وكرره وداوم عليه ، انقطعت عنه مادة الحسد على التدرج . على أن المحسود اذا عرف منه ذلك طاب قلبه وأحبه ، واذا ظهر حبه للمحاسد زال حسده وأحبه أيضاً ، فتتولد بينهما الموافقة ، وترتفع عنهما مادة المحاسدة ، وهذا هو المعالجة السكوية لمطلق مرض الحسد . والعلاج النافع لسكل نوع

منه ، أن يجمع سببه ، من خبث النفس وحب الرئاسة والكبر وعزة النفس وشدة الحرص وغير ذلك مما ذكر ، وعلاج كل واحد من هذه الأسباب يأتي في محله .

تفصيح

(القدر الواجب في نفي الحسد)

اعلم أن مساواة حسن حال العدو وسوء حاله ، وعدم وجدان التفرقة بينهما في النفس ، ليست مما تدخل تحت الاختيار . فالتكليف به تكليف بالمحال . فالواجب في نفي الحسد وإزالته هو القدر الذي يمكن دفعه ، وبيان ذلك — كما اشير إليه — أن الحسد :

(١) إما يبعث صاحبه على إظهاره بقول أو فعل ، بحيث يعرف حسده من آثاره الاختيارية . ولا ريب في كونه مذموماً محرماً ، وكون صاحبه عاصياً آثماً ، لا مجرد آثاره الظاهرة التي هي الغيبة والبهتان مثلاً ، إذ هي أفعال صادرة عن الحسد ، محلها الجوارح ، وليست عين الحسد ، إذ هو صفة للقلب لا صفة للفعل ، ومحلها القلب دون الجوارح ، قال الله سبحانه :

« وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا » (١) .
 وقال : « وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ
 سَوَاءً » (٢) . وقال : « لَنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ » (٣) .

(٣) آل عمران ، الآية : ١٢٠ .

(١) الحمر ، الآية : ٩ .

(٢) النساء ، الآية : ٨٨ .

فلو كان الإثم على مجرد أفعال الجوارح ، لم يكن أصل الحسد الذى هو صفة القلب معصية ، والأمر ليس كذلك ، فيكون عاصياً لنفس الحسد الذى فى قلبه أيضاً ، أعنى ارتياحه بزوال النعمة مع عدم كراهة ذلك من نفسه . والإثم حقيقة على عدم كراهته وعدم مقتته وقهره على نفسه لهذا الارتياح الذى يجده منها ، لكونه اختيارياً يمكن الزوال ، لا على نفس الارتياح والاهتزاز ، لما اشير إليه من أنه طبيعى غير ممكن الدفع لكل أحد . فهذا القسم من الحسد أشد أنواعه ، لترتب معصيته على أصله ، وأخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومة .

(٢) أولاً يبعثه على اظهاره بالآثار القولية والفعلية ، بل يكف ظاهره عنها ، إلا أنه بباطنه يجب زوال النعمة من دون كراهة فى نفسه لهذه الحالة . ولا ريب فى كونه مذموماً محرماً أيضاً ، لأنه كسابقه بعينه ، ولا فرق إلا فى أنه لا تصدر منه الآثار الفعلية والقولية الظاهرة ، فهو ليس بمظلمة بحسب الاستحلال منها ، بل معصية بينه وبين الله ، لأن الاستحلال إنما هو من الأفعال الظاهرة الصادرة من الجوارح .

(٣) أولاً يبعثه على الآثار الذميمة الظاهرة ، ومع ذلك يلزم قلبه كراهة ما يترشح منه طبعاً من حب زوال النعمة ، حتى أنه يمقت نفسه ويقهرها على هذه الحالة التى رسخت فيها . والظاهر عدم ترتب الإثم عليه ، إذ تكون كراهته التى من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أدى الواجب عليه . وأصل الميل الطبيعى لا يدخل تحت الاختيار غالباً ، إذ تغير الطبع بحيث يستوى عنده المحسن والمسيء ، وعدم التفرقة بين ما يصل منها إليه من النعمة والبلية ، ليس شريعة لكل وارد . نعم من تنور قلبه بمعرفة ربه ، واشرقت نفسه باضواء حبه وانسه ، وصار مستغرقاً

بجاء الله تعالى مثل السكران الواله ، واستشعر بالارتباط الخاص الذي بين العلة والمعلول ، والاتحاد الذي بين الخالق والمخلوق ، وعلم أنه أقوى النسب والروابط ، ثم يتيقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده ، والكائنات برمتها صادرة عن فيضه وجوده ، وأن الأعيان الممكنة متساوية في ارتضاع لبان الوجود من ندى واحدة ، والحقائق الكونية غير متفاوتة في شرب ماء الرحمة والجلود من مشرع الوحدة الحقيقية - فقد ينتهي امره الى ألا تلتفت نفسه الى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر الى الكل بعين واحدة ، وهي عين الرحمة ، ويرى الكل عباداً لله وأفعاله ، ويراهم مسخرين له ، فلا ينظر الى شيء بعين السخط والمساءة ، وإن ورد منه ما ورد من السوء والبلية ، لأنه لا ينظر اليه من حيث هو حتى يظهر التفاوت ، بل من حيث انتسابه اليه سبحانه ، والكل في الانتساب اليه سواء .

ثم من الناس من ذهب الى أنه لا إثم على الحسد ما لم تظهر آثاره على الجوارح ، وعلى هذا ينحصر الحسد المحرم في القسم الأول . واحتج على ما ذهب اليه بما ذكرناه من قوله - صلى الله عليه وآله - : ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن : الحسد . . . ، وبقوله - صلى الله عليه وآله - : ثلاث في المؤمن له منهن مخرج ، ومخرجه من الحسد ألا يبغى ، والصحيح أن تحمل أمثال هذه الأخبار على القسم الثالث . وهو ما يكون فيه ارتياح النفس بزوال النعمة طبعاً ، مع كراهة له من جهة العقل والدين ، حتى تكون هذه الكراهة في مقابلة حب الطبع . إذ اخبار ذم الحسد تدل بظاهرها على أن كل حاسد آثم ، والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال الظاهرة . وعلى هذا المذهب ، لا يكون آثم على صفة القلب ، بل إنما يكون على مجرد الأفعال الظاهرة على الجوارح .

فقد اتضح بما ذكر ، أن الأحوال المتصورة لكل أحد بالنسبة إلى أعدائه ثلاثة : الأولى : أن يجب مساواتهم ، ويظهر الفرح بمساواتهم بلسانه وجوارحه ، أو يظهر ما يؤذيهم قولاً أو فعلاً ، وهذا محذور محرم قطعاً ، وصاحبه عاص آثم جزماً . الثانية : أن يجب مساواتهم طبعاً ، ولكن يكره حبه لذلك بعقله ، ويمقت نفسه عليه ، ولو كانت له حيلة في إزالة ذلك الميل لأزاله . وهذا معفو عنه وفاقاً ، وفاعله غير آثم إجماعاً . الثالثة : وهي ما بين الأولين : أن يحسد بالقلب من غير مقتته لنفسه على حسده ، ومن غير انكار منه على قلبه ، ولكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها ، وهذا محل الخلاف . وقد عرفت ما هو الحق فيه .

وصل

(النصيحة)

قد عرفت أن ضد الحقد والحسد (النصيحة) ، وهي ارادة بقاء نعمة الله للمسلمين ، وكراهة وصول الشر اليهم . وقد تطلق في الأخبار على ارشادهم إلى ما فيه مصلحتهم وغبطتهم ، وهو لازم للمعنى الأول . فينبغي أن نشير إلى غوائدها وما ورد في مدحها ، تحريكاً للطالبين على المواظبة عليها ليرتفع بها عندها .

اعلم أن من أحب الخير والنعمة للمسلمين كان شريكاً في الخير ، بمعنى أنه في الثواب كالنعم وفاعل الخير . وقد ثبت من الأخبار ، أن من لم يدرك درجة الأخبار بصالحات الأعمال ، وليكنه أحبهم ، يكون يوم القيامة محشوراً معهم ، كما ورد : « إن المرء يحشر مع من أحب » . وقال اعرابي لرسول الله : « الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم . فقال رسول الله :

المرء مع من أحب . وقال رجل بحضرة النبي - بعد ما ذكرت الساعة - :
 « ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ، إلا أنى أحب الله ورسوله .
 فقال - صلى الله عليه وآله - : أنت مع من أحببت ، قال الراوى : فما
 فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ ، إذ أكثر ثقتهم كانت بحب الله
 وبحب رسوله . وروى : « أنه قيل له ﷺ : الرجل يحب المصلين
 ولا يصلى ، ويجب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء - فقال : هو مع
 من أحب . وبهذا المضمون وردت أخبار كثيرة .

والأخبار الواردة في مدح خصوص النصيحة وذم تركها ، وفي ثواب
 ترك الحسد وعظم فوائده ، أكثر من أن تحصى . عن ابى عبد الله ﷺ
 قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : إن أعظم الناس منزلة عند الله
 يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخالقه . وعن أبى جعفر ﷺ قال :
 « قال رسول الله ﷺ : لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه .
 وقال الباقر - عليه السلام - : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة . وقال
 الصادق ﷺ : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب .
 وقال ﷺ : « عليك بالنصح لله في خلقه ، فلن تلقاه بعمل أفضل منه .
 وبمضمونها أخبار آخر . وعن ابى عبد الله ﷺ قال : « قال رسول الله - صلى
 الله عليه وآله - : من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه ، فقد خان الله
 ورسوله . وقال الصادق - عليه السلام - : « من مشى في حاجة أخيه ، ثم لم
 ينصحه فيها ، كان كمن خان الله ورسوله ، وكان الله خصمه ، (١) .
 والأخبار الأخر بهذا المضمون أيضاً كثيرة .

(١) صححنا الأحاديث في النصيحة كلها على (السكاكي) : باب نصيحة المؤمن وباب من

لم ينصح أخاه المؤمن .

وروى : « أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - شهد لرجل من الأنصار بأنه من أهل الجنة ، وكان باعته - بعد التفتيش - خلوه عن الغش والحسد على خير أعطى أحداً من المسلمين . وروى : « أن موسى - عليه السلام - لما تعجل إلى ربه ، رأى في ظل العرش رجلاً ، فقبضه بمكانه ، وقال : إن هذا لكريم على ربه . فسأل ربه أن يخبر باسمه ، فلم يخبره باسمه ، وقال : احذثك عن عمله : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لا يعق والديه ، ولا يمشى بالنميمة . »

وغاية النصيحة ، أن يجب لأخيه ما يجب لنفسه ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « المؤمن يجب للمؤمن ما يجب لنفسه . » وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه . » وقال ﷺ : « إن أحدكم مرآة أخيه ، فاذا رأى به شيئاً فليمط عنه هذا . » ومنها :

الايذاء والالهانة والاعتقار

ولا ريب في كون ذلك في الغالب مترتباً على العداوة والحسد ، وإن ترتب بعض أفرادها في بعض الأحيان على مجرد الطمع أو الحرص ليكون من رداءة القوة الشهوية ، أو على مجرد الغضب وسوء الخلق والكبر ، وإن لم يكن حقد وحسد . وعلى أي تقدير ، لا شبهة في أن الايذاء للمؤمن واحتقاره محرم في الشريعة ، موجب للمهلك الأبدى . قال الله سبحانه : « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا » (١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من آذى مؤمناً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، . وفي خبر آخر : « فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، (١) . وقال ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ، . وقال ﷺ : « لا يحل للمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ألا انبئكم بالمؤمن ا من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم . ألا انبئكم بالمسلم ا من سلم المسلمون من لسانه ويده . والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة ، . وقال الصادق عليه السلام : « قال الله عز وجل : ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن ، . وقال عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : أين المؤذون لأوليائي ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم ، فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ، ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم . ثم يؤمر بهم الى جهنم ، . وقال - عليه السلام - : « قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : من آهان لي ولياً فقد أصد لمحاربتي ، . وقال - عليه السلام - : « إن الله تبارك وتعالى يقول : من آهان لي ولياً فقد أصد لمحاربتي ، وأنا اسرع شيء الى نصره أوليائي ، . وقال عليه السلام : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : قال الله عز وجل : قد نابذني من أذل عبدي المؤمن ، . وقال عليه السلام : « من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين ، لم يزل الله عز وجل حاقراً له ماقتاً ، حتى يرجع عن محقرته إياه ، (٢) . وفي معناها أخبار كثيرة اخر .

(١) صححنا الحديثين على (جامع الأخبار) : الباب ٧ ، الفصل ٤ .

(٢) صححنا الاحاديث هنا على (اصول السكاني) : باب من آذى المسلمين واحتقرهم .

وعلى (احياء العلوم) : ٢ / ١٧١ ، ١٧٢ .

ومن عرف النسبة التي بين العلة والمعلول ، والربط الخاص الذي بين الخالق والمخلوق ، يعلم أن إيذاء العباد واهانتهم يرجع في الحقيقة الى إيذاء الله واهانتة ، وكفاه بذلك ذمًا . فيجب على كل عاقل ان يكون دائماً متذكراً لئلا يذم ايذاء المسلمين واحتقارهم ، ولمدح ضدهما ، من رفع الأذى عنهم واکرامهم - كما يأتي - ، ويحافظ نفسه عن ارتكابهما ، لئلا يفتضح في الدنيا ويعذب في الآخرة .

وصل

(كف الأذى عن المسلمين)

لا ريب في فضيلة أصدقاء ما ذكر وفوائدها ، من كف الأذى عن المؤمنين والمسلمين واکرامهم وتعظيمهم . والظواهر الواردة في مدح دفع الضرر وكف الأذى عن الناس كثيرة ، كقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار وجبت له الجنة » (١) . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » . وقوله - صلى الله عليه وآله - في حديث طويل أمر فيه بالفضائل : « ... فان لم تقدر فدع الناس من الشر ، فانها صدقة تصدقت بها على نفسك » . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين » . وقال صلى الله عليه وآله : « من زحزح من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم ، كتب الله له به حسنة او جب له بها الجنة » (٢) .

(١) صححه على (فروع الكافي) : كتاب الجهاد ، في ملحق باب فضل الشهادة .

وعلى (اصوله) : في باب الاهتمام بأمور المسلمين .

(٢) صححنا هذه الأحاديث الأربعة الأخيرة على (احياء العلوم) : ١٧١/٢ ، ١٧٢ .

وكذا الأخبار التي وردت في مدح إكرام المؤمن وتعظيمه كثيرة .
قال الصادق - عليه السلام - : « قال الله سبحانه : ليا من غضبي من اكرم
عبدى المؤمن » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من اكرم اخاه
المسلم بكلمة يلفظه بها ، وفرج عنه كربته ، لم يزل في ظل الله الممدود ، عليه
الرحمة ما كان في ذلك » . وقال عليه السلام : « ما في امتي عبد أطف أخاه في الله
بشيء من لطف ، إلا أخذمه الله من خدم الجنة » . وقال عليه السلام : « أيما مسلم
خدم قوماً من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة » . وقال
الصادق - عليه السلام - : « من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة ، كتب الله
عز وجل له عشرة حسنات ، ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة » . وقال
- عليه السلام - : « من قال لأخيه : مرحباً ، كتب الله له مرحباً الى يوم
القيامة » . وقال عليه السلام : « من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه ، فإنما أكرم الله
عز وجل » . وقال عليه السلام لإسحاق بن عمار : « أحسن يا إسحاق الى أوليائي
ما استطعت ، فما أحسن مؤمن الى مؤمن ولا اعانه إلا خمس وجه ابليس
وقرح قلبه » ، (١) .

ثم ينبغي تخصيص بعض طبقات الناس بزيادة التعظيم والاكرام ،
كأهل العلم والورع ، لما ورد من الحث الأكيد في الأخبار على اكرامهم
والاحسان اليهم ، وكذا ينبغي تخصيص ذى الشبهة المسلم بزيادة التوقير
والتكريم ، وقد ورد ذلك في الأخبار المكثيرة ، قال رسول الله - صلى
الله عليه وآله - : « من عرف فضل كبير لسنه فوقره ، آمنه الله من فزع
يوم القيامة » . وقال الصادق - عليه السلام - : « إن من إجلال الله عز وجل

(١) صححنا الأحاديث هنا على (اصول الكافي) : باب إطفاف المؤمن وإكرامه ،

اجلال الشيخ الكبير ، . وقال عليه السلام : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ، . والأخبار في هذا المضمون كثيرة .

وكذا ينبغي تخصيص كريم القوم بزيادة الاكرام ، لقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « إذا اتاكم كريم قوم فأكرموه ، (١) .

وكذا تخصيص الذرية العلوية بزيادة الاكرام والتعظيم . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله ، . وقال

- صلى الله عليه وآله - : « أربعة انالهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه ، (٢) . وقال صلى الله عليه وآله : « اكرموا اولادى ، وحسنوا

آدانى ، . وقال صلى الله عليه وآله : « اكرموا اولادى الصالحون لله والطالحون لي ، . والأخبار في فضل السادات وثواب من يكرمهم ويعينهم اكثر من أن تحصى .

وإضرار المسلم قريب من معنى إيذائه ، وربما كان الاضرار أخص منه ، فما يدل على ذمه يدل على ذمه ، كقول النبي - صلى الله عليه وآله - :

« خصلتان ليس فوقهما شيء . من الشر : الشرك بالله تعالى ، والضرر بهباد الله ، . وكذا ضده ، أعنى إيصال النفع اليه ، قريب من معنى ضده وأخص

منه . فما يدل على مدحه يدل على مدحه . ولا ريب في أن إيصال النفع الى المؤمنين من شرائف الصفات والأفعال . والأخبار الواردة في فضيلته

كثيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق الى الله من

نفع عيال الله وادخل على أهل بيته سروراً . وسئل صلى الله عليه وآله : « من أحب الناس الى

(١) صححنا هذه الأحاديث على (أصول السكاني) : باب اجلال الكبير ، وباب

وجوب اجلال ذى الشبهة ، وباب اكرام الكرم . وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ،

أبواب احكام العمرة ، الباب ٦٧ .

(٢) تقدم هذان الحديثان في ص ١٢٩ من هذا الجزء .

الله ؟ قال : انفع الناس للناس ، (١) . وقال رسول الله ﷺ : « خصم لئام من الخير ليس فوقهما شيء من البر : الإيمان بالله ، والنفع لعباد الله ، .

تفصيح

(ذم الظلم بالمعنى الأخص)

اعلم أن الظلم قد يراد به ما هو ضد العدالة ، وهو التعدى عن الوسط في أى شيء كان ، وهو جامع للردائل بأسرها — كما أشير إليه — . وهذا هو الظلم بالمعنى الأعم ، وقد يطلق عليه الجور أيضاً ، وقد يراد به ما يرادف الاضرار والايذاء بالغير ، وهو يتناول قتله وضربه وشتمه وقذفه وغيبته وأخذ ماله قهراً ونهباً وغصباً وسرقة وغير ذلك من الأقوال والأفعال المؤذية . وهذا هو الظلم بالمعنى الأخص ، وهو المراد اذا اطلق في الآيات والأخبار وفي عرف الناس . وباعثه إن كانت العداوة والحسد ، يكون من ردائل قوة الغضب ، وإن كان الحرص والطمع في المال ، يكون من ردائل قوة الشهوة . وهو أعظم المعاصي وأشدّها عذاباً باتفاق جميع الطوائف . ويدل على ذمه — بعد ما ورد في ذم كل واحد من الأمور المندرجة تحته كما يأتي بعضها — ما تكرّر في القرآن من اللعن على الظالمين ، وكفاه ذماً أنه تعالى قال في مقام ذم الشرك :

« إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » (٢) . وقال : « إِنَّمَا السَّبِيلُ

عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

(١) هذان الحديثان صححتهما على (اصول السكاف) : باب الأهتمام بأمور المسلمين .

(٢) لقمان ، الآية : ١٣ .

الحقُّ أو لثكَ لهم عذابٌ أليمٌ» (١). وقال: «ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون» (٢). وقال: «وسيعلم الذين ظلموا أي مقلبٍ ينقلبون» (٣).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : «إن أهون الخلق على الله ، من ولي أمر المسلمين فلم يعدل لهم ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « جور ساعة في حكم ، أشد وأعظم عند الله من معاصي تسعين سنة ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اتقوا الظلم ، فإنه ظلمات يوم القيامة ، . وقال ﷺ : « من خاف القصاص ، كفف عن ظلم الناس ، . وروى : « أنه تعالى أوحى الى داود : قل للظالمين لا تذكروني ، فان حقاً علي أن اذكر من ذكرني ، وإن ذكرى إياهم أن العنهم ، . وقال علي بن الحسين - عليهما السلام - لابنه ابي جعفر - عليه السلام - حين حضرته الوفاة : « يا بني ، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرأ إلا الله ، . وقال أبو جعفر - عليه السلام - : « ما من أحد يظلم بمظلمة إلا أخذته الله تعالى بها في نفسه أو ماله ، . وقال رجل له - عليه السلام - : « إنى كنت من الولاة ، فهل لي من توبة ؟ فقال : لا ا حتى تؤدى الى كل ذى حق حقه ، . وقال - عليه السلام - : « الظلم ثلاثة : ظلم يغفره الله تعالى ، وظلم لا يغفره الله تعالى ، وظلم لا يدعه الله . فاما الظلم الذى لا يغفره الله عز وجل فالشرك ، وأما الظلم الذى يغفره الله عز وجل فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل ، وأما الظلم الذى

(٣) الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

(١) الشورى ، الآية : ٤٢ .

(٢) ابراهيم ، الآية : ٤٢ .

لا يدعه فالمدائنة بين العباد ، . وقال الصادق - عليه السلام - في قوله تعالى :

« لِمَنْ رَبُّكَ لَبِائِرٌ صَادٍ » (١) :

« قنطرة على الصراط ؛ لا يجوزها عبد بمظلة ، . وقال عليه السلام : « مامن مظلة أشد من مظلة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله تعالى ، . وقال : « من أكل مال أخيه ظلماً ، ولم يرده إليه ، أكل جذوة من النار يوم القيامة » . وقال - عليه السلام - : « إن الله عز وجل أوحى الى نبي من أنبيائه في ملكه جبار من الجبارين : أن أنت هذا الجبار ، فقل له : إني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال ، وإنما استعملتك لتكف عن أصوات المظلومين ، فإني لن أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً ، . وقال عليه السلام : « أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم . . . ثم قال : من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به . أما إنه يحصد ابن آدم ما يزرع . وليس يحصد أحد من المر حلواً ، ولا من الحلو مرأ ، . وقال عليه السلام : « من ظلم ، سلط الله عليه من يظلمه ، أو على عقبه أو على عقب عقبه ، . قال الراوى : « قلت : هو يظلم ، فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه ؟ قال : فان الله تعالى يقول :

« وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَو تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً

ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَآيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا » (٢) .

والظاهر أن مؤاخذه الأولاد بظلم آبائهم إنما هو في الأولاد الذين

(١) الفجر ، الآية : ١٤ .

(٢) صححنا أحاديث الباب على (أصول الكافي) : باب الظلم . والآية من الحديث

الأخير : سورة النساء ، الآية : ٨ .

كانوا راضين بفعل آبائهم ، أو وصل اليهم اثر ظلمهم ، أى انتقل اليهم منهم بعض أموال المظلومين . وقال بعض العلماء : الوجه في ذلك : أن الدنيا دار مكافاة وانتقام ، وإن كان بعض ذلك مما يؤخر الى الآخرة . وفائدة ذلك اما بالنسبة الى الظالم فانه يردعه عن الظلم اذا سمع ، وأما بالنسبة الى المظلوم فانه يستبشر بنيل الانتقام في الدنيا مع نيله ثواب الظلم الواقع عليه في الآخرة ، فانه ما ظفر أحد بخير مما ظفر به المظلوم ، لأنه يأخذ من دين الظالم أكثر مما أخذ الظالم من ماله ، كما تقدم . وهذا مما يصحح الانتقام من عقب الظالم أو عقب عقبه ، فانه وإن كان في صورة الظلم ، لأنه انتقام من غير أهله ، مع أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، إلا أنه نعمة من الله عليه في المعنى من جهة ثوابه في الدارين ، فان ثواب المظلوم في الآخرة أكثر مما جرى عليه من الظلم في الدنيا .

ثم إن معين الظالم ، والراضى بفعله ، والساعى له في قضاء حوائجه وحصول مقاصده ، كالظالم بعينه في الأثم والعقوبة . قال الصادق عليه السلام : «العامل بالظلم ، والمعين له ، والراضى به ، شركاء ثلاثتهم» . وقال عليه السلام : «من عذر ظالماً بظلمه ، سلط الله عليه من يظلمه ، فان دعالم يستجيب له ، ولم يأجره الله على ظلامته» . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : «شر الناس المثلث؟» ، قيل : وما الثلث؟ قال : «الذى يسعى باخيه الى السلطان ، فيهلك نفسه ، ويهلك أخاه ، ويهلك السلطان» . وقال عليه السلام : «من مشى مع ظالم فقد أجرم» . وقال - صلى الله عليه وآله - : «إذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : أين الظلمة وأعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة أو ربط لهم كيساً أو مدهم بمدة قلم؟ فاحشروهم معهم» .

وصل

(العدل بالمعنى الأخص)

ضد الظلم بالمعنى الأخص هو العدل بالمعنى الأخص ، وهو الكف عنه ، ورفعته ، والاستقامة ، وإقامة كل أحد على حقه . والعدل بهذا المعنى هو المراد عند اطلاقه في الآيات والأخبار ، وفضيلته أكثر من أن تحصى . قال الله سبحانه :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... » (١) . وقال :
 « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها » . وقال الصادق عليه السلام : « من أصبح ولا يهيم بظلم أحد ، غفر له ما اجترم » . وقال عليه السلام : « من أصبح لا ينوى ظلم أحد ، غفر الله تعالى له ذنب ذلك اليوم ، ما لم يسفك دماً أو يأكل مال يتيم حراماً » . وقال - عليه السلام - : « العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان . ما أوسع العدل إذا عدل فيه ، وإن قل » . وقال عليه السلام : « العدل أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأطيب ريحاً من المسك » . وقال - عليه السلام - : « اتقوا الله واعدلوا ، فانكم تعيرون على قوم لا يعدلون » (٣) .

(١) النحل ، الآية : ٩٠ .

(٢) النساء ، الآية : ٥٧ .

(٣) صححنا الأحاديث هنا على (أصول الكافي) : باب الظلم وباب الانصاف والعدل .

وما يدل على فضيلة العدل بهذا المعنى ما ورد في ثواب رد المظالم . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « درهم يردّه العبد الى الخصماء ، خير له من عبادة الف سنة ، وخير له من عتق الف رقبة ، وخير له من الف حجة وعمره » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من رد درهماً الى الخصماء ، اعتق الله رقبته من النار ، واعطاه بكل دانق ثواب نبي ، وبكل درهم ثواب مدينة في الجنة من درة حمراء » . وقال ﷺ : « من رد ادنى شيء الى الخصماء ، جعل الله بينه وبين النار ستراً كما بين السماء والارض ، ويكون في عداد الشهداء » . وقال ﷺ : « من أرضى الخصماء من نفسه ، وجبت له الجنة بغير حساب ، ويكون في الجنة رفيق اسماعيل بن ابراهيم » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن في الجنة مدائن من نور ، وعلى المدائن ابواب من ذهب مكللة بالدر والياقوت ، وفي جوف المدائن قباب من مسك وزعفران ، من نظر الى تلك المدائن يتعنى أن تكون له مدينة منها » . قالوا : يا نبي الله ، لمن هذه المدائن ؟ قال : « للتائبين النادمين ، المرضين الخصماء من أنفسهم » . فان العبد اذا رد درهماً الى الخصماء ، أكرمه الله كرامة سبعين شهيداً . فان درهماً يردّه العبد الى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل . ومن رد درهماً ناداه ملك من تحت العرش : استأنف العمل ، فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من مات غير تائب ، زفرت جهنم في وجهه ثلاث زفرات ، فاولاها لا تبقى دمعة إلا جرت من عينيه ، والزفرة الثانية لا يبقى دم إلا خرج من منخريه ، والزفرة الثالثة لا يبقى قيح إلا خرج من فمه . فرحم الله من تاب ، ثم أرضى الخصماء ، فمن فعل فأنا كفيله بالجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لرد دانق من حرام

يعدل عند الله سبعين الف حجة مبرورة ، (١) .
ومنها :

إخافة المؤمن

وإدخال الكرب في قلبه . وهما شعبتان من الايذاء والإضرار ،
فيترتبان غالباً على العداوة والحسد ، وقد يترتبان على مجرد الغضب أو سوء
الخلق أو الطمع ، وهما من رذائل الأفعال ، والأخبار الواردة في ذمهما
كثيرة ، كقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « من نظر الى مؤمن نظرة
ليخيفه بها ، أخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله ، وقول الصادق عليه السلام :
« من روع مؤمناً بسطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ، ومن
روع مؤمناً بسطان ليصيبه منه مكروه فاصابه فهو مع فرعون وآل فرعون
في النار ، . وقوله - عليه السلام - : « من أدخل السرور على مؤمن فقد
أدخله على رسول الله - صلى الله عليه وآله - ، ومن أدخله على رسول الله - صلى
الله عليه وآله - فقد وصل ذلك الى الله ، وكذلك من أدخل عليه
كرباً ، (٢) . والأخبار الواردة في هذا المعنى كثيرة .

وصل

(إدخال السرور في قلب المؤمن)

و ضد ذلك إزالة الخوف عنه ، وتفريج كربه ، وإدخال السرور في

(١) صححنا الأحاديث النبوية هذه كلها على (جامع الأخبار) : الباب ٧ الفصل ٧ .

ولم نعثرها على أثر في السكتب المتبررة .

(٢) صححنا الاحاديث هنا على (اصول السكافي) : باب ادخال السرور على المؤمن ،

وباب من أخاف مؤمناً .

قلبه . وهي من أعظم شعب النصيحة ، ولا حد للثواب المترتب عليها ، كما نطقت به الاخبار . قال رسول الله ﷺ : « من حذى مؤمناً من ظالم ، بعث الله له ملكاً يوم القيامة يحمى لحمه من نار جهنم » . وقال ﷺ : « من فرج عن مغموم أو أعان مظلوماً ، غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فاقيل : كيف ينصره ظالماً؟ قال : « تمنعه من الظلم » . وقال الامام أبو عبدالله الصادق - عليه السلام - : « من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهفان عند جهده ، فنفس كربته واعانه على نجاح حاجته ، كتب الله تعالى له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله ، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ، ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة وأهواله » . وقال - عليه السلام - : « من نفس عن مؤمن كربة ، نفس الله عنه كرب الآخرة ، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد » . وقال الرضا عليه السلام : « من فرج عن مؤمن ، فرج الله قلبه يوم القيامة » . وقال رسول الله ﷺ : « من سر مؤمناً فقد سرنى ، ومن سرنى فقد سر الله » . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : إن أحب الأعمال الى الله عز وجل ادخال السرور على المؤمنين » . وقال الباقر - عليه السلام - : « تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرفه القذى عنه حسنة ، وما عبد الله بشيء أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن » . وقال - عليه السلام - : « إن فيما ناجى الله عز وجل به عبده موسى عليه السلام : قال : إن لي عباداً ابيحهم جنتى واحكمهم فيها ، قال : يارب ، ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها؟ قال : من ادخل على مؤمن سروراً . . . ثم قال : إن مؤمناً كان في مملكة جبار ، فواقع به ، فهرب منه الى دار الشرك ، فنزل برجل من أهل الشرك فآظله وأرفقه وأضافه ، فلما حضره الموت ، أوحى

الله اليه : وعزتي وجلالي ! لو كان لك في جنتي مسكن لاسكنتك فيها ، ولكنها محرمة على من مات بى مشركا ، وليكن يانار هيديه ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طرفى النهار ، ، قلت (١) : من الجنة ؟ قال : « من حيثما شاء الله ، . وقال ﷺ : لا يرى أحدكم اذا أدخل على مؤمن سرورا أنه عليه أدخله فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله - صلى الله عليه وآله ا . عن ابان بن تغلب ، قال : « سألت أبا عبد الله ﷺ عن حق المؤمن على المؤمن . فقال : حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك ، لو حدثتكم لكفرتم . إن المؤمن اذا خرج من قبره خرج معه مثل من قبره يقول له : ابشر بالكرامة من الله والسرور ، فيقول له : بشرك الله بخير . قال : ثم يمضى معه يبشره بمثل ما قال ، وإذا مر بهول قال : ليس هذا لك ، واذا مر بخير قال : هذا لك . فلا يزال معه ، يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يجب ، حتى يقف معه بين يدي الله عز وجل . فاذا أمر به الى الجنة ، قال له المثال : ابشر فان الله عز وجل قد أمر بك الى الجنة . قال : فيقول : من أنت رحمك الله ؟ تبشرنى من حين خرجت من قبرى ، وآنستنى فى طريقى ، وخبرتنى عن ربى ! قال : فيقول : انا السرور الذى كنت تدخله على اخوانك فى الدنيا ، خلقت منه لا بشرك واونس وحشتك ، . وروى ابن سنان ، قال : « كان رجل عند أبى عبد الله ﷺ ، فقرأ هذه الآية :

« وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَدْعٍ

مَا اكْتَسَبُوا فَكَدُّوا حَتَّمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُمِينًا » (٢) .

(١) القائل الراوى ، والحجيب أبو جعفر — عليه السلام — ،

(٢) الأحزاب ، الآية : ٥٨ ،

فقال أبو عبد الله - عليه السلام - : فما ثواب من أدخل عليه السرور؟ فقلت : جعلت فداك ! عشر حسنات . قال : أي والله وألف ألف حسنة ، (١) .
ومنها :

ترك إعانة المسلمين

وعدم الاهتمام بأمورهم . فان من يعادى غيره أو يحاسده يترك إعانته ولا يهتم بأموره ، وربما كان ذلك من نتائج الكسالة بها ، أو ضعف النفس أو البخل . وبالجملة : لا ريب في كونه من رذائل الصفات ، ودليلا على ضعف الايمان . وما ورد في ذمه من الاخبار كثير ، قال الباقر عليه السلام : « من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجة ، إلا ابتلى بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر ، . وقال الصادق - عليه السلام - : « أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من اخوانه ، فاستعان به في حاجة فلم يعنه ، وهو يقدر ، إلا ابتلاه الله تعالى بأن يقضى حوائج عدة من أعدائنا ، يعذبه الله عليها يوم القيامة ، . وقال - عليه السلام - : « أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره ، أقامه الله عز وجل يوم القيامة مسوداً وجهه ، مزرقة عيناه ، مغلوله يده الى عنقه ، فيقال : هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ، ثم يؤمر به الى النار ، . وقال - عليه السلام - : « من كانت له دار ، فاحتاج مؤمن الى سكنائها ، فنعته إياها ، قال الله تعالى : يا ملائكتي، أبخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا؟ وعزتي وجلالي !

(١) صححنا الأحاديث كلها هنا على (أصول الكافي) : باب ادخال السرور على

للؤمن ، باب تفريج كرب المؤمن .

لا يسكن جناتي أبداً . وقال - عليه السلام - لنفر عنده : « ما ليكم تستخفون بنا ؟ » ، فقام اليه رجل من أهل خراسان ، فقال : معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك ! فقال : « إنك أحد من استخف بي » ، فقال : معاذ لوجه الله أن استخف بك ! فقال له : « ويحك ! ألم تسمع فلاناً ، ونحن بقرب الجحفة ، وهو يقول لك : احملني قدر ميل ، فقد والله أعيدت . والله ما رفعت به رأساً ، لقد استخففت به . ومن استخف بمؤمن فبنا استخف ، وضيع حرمة الله عز وجل ، (١) . وقال عليه السلام : « من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له ، سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره الى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً » . وقال ابو الحسن عليه السلام : « من قصد اليه رجل من اخوانه ميتهجيراً به في بعض احواله ، فلم يجره بعد أن يقدر عليه ، فقد قطع ولاية الله عز وجل » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم » . وقال عليه السلام : « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » ، ومن سمع رجلاً ينادى يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم » (٢) .

وصل

(قضاء حوائج المسلمين)

ضد هذه الرذيلة : قضاء حوائج المسلمين والسعي في انجاح مقاصدهم . وهو من أعظم أفراد النصيحة ، ولا حد لمثوبته عند الله . قال رسول الله

(١) صححنا هذا الحديث بالخصوص على (الوسائل) : كتاب الحج ، باب تحريم الاستخفاف . وهو يرويه عن (الكافي) .

(٢) صححنا الأحاديث هنا على (اصول الكافي) : باب من استبان أخوه به فلم يعنه ، وباب قضاء حاجة المؤمن ، وباب من منع مؤمناً شيئاً من عنده ، وباب الاهتمام بأمور المسلمين .

- صلى الله عليه وآله - : « من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، فكأنما عبد الله دهره ، (١) . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار ، قضاها أو لم يقضها ، كان خيراً له من اعتكاف شهرين » . وقال ابو جعفر - عليه السلام - : « أوحى الله عز وجل الى موسى ﷺ : إن من عبادى من يتقرب الى بالحسنة فاحكمه في الجنة ، فقال موسى : يارب ، وما تلك الحسنة ؟ قال يمشى مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته ، قضيت أم لم تقض » . وقال - عليه السلام - : « من مشى في حاجة أخيه المسلم ، أظله الله بخمسة وسبعين الف ملك ، ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له حسنة ، وحط عنه بها سيئة ، ويرفع له بها درجة ، فاذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها أجر حاج ومعتبر » . وقال - عليه السلام - : « إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تسكون عنده فيهمم بها قلبه ، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمم الجنة » . وقال الصادق - عليه السلام - : « من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، قضى الله تعالى له يوم القيامة مائة الف حاجة ، من ذلك أولها الجنة ، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه واخوانه الجنة ، بعد أن لا يكونوا نصاباً » . وقال - عليه السلام - : « إن الله تعالى خلق خلقاً من خلقه ، انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ، ليثيبهم على ذلك الجنة . فان استطعت أن تسكون منهم فكن » . وقال - عليه السلام - : « قضاء حاجة المؤمن خير من عتق الف رقبة ، وخير من حملان الف فرس في سبيل الله » . وقال - عليه السلام - : « لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحب الى الله تعالى من عشرين حجة ، كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة الف » .

(١) صححه على (الوسائل) . كتاب الأمر بالمعروف ، باب استجاب قضاء حاجة المؤمن ، رواه عن (مجالس الطوسي) . ولم نثر على مصدر للنسبى الثانى .

وقال - عليه السلام - : « من طاف بالبيت طوافاً واحداً كتب الله له ستة آلاف حسنة ، ومعى عنه ستة آلاف سيئة ، ورفع له ستة آلاف درجة - وفي رواية : وقضى له ستة آلاف حاجة - حتى اذا كان عند الملتزم ، فتح له سبعة أبواب من الجنة ، قلت له : جعلت فداك ! هذا الفضل كله في الطواف ؟ قال : « نعم ! وأخبرك بأفضل من ذلك : قضاء حاجة المؤمن المسلم أفضل من طواف وطواف وطواف . . . حتى يبلغ عشراً » .

وقال - عليه السلام - : « تنافسوا في المعروف لاخوانكم ، وكونوا من أهله ، فان للجنة باباً يقال له المعروف ، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا ، فان العبد لم يشى في حاجة أخيه المؤمن ، فيوكل الله عز وجل به ملكين ، واحداً عن يمينه وآخر عن شماله ، يستغفران له ربه ، ويدعوان بقضاء حاجته ، . . . ثم قال : « والله لرسول الله - صلى الله عليه وآله - اسر بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت اليه من صاحب الحاجة ، . وقال - عليه السلام - : « ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تعالى : علي ثوابك ، ولا ارضى لك بدون الجنة ، . وقال - عليه السلام - : « أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها اليه وسببها له ، فان قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها ، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فانما رده عن نفسه رحمة من الله عز وجل ، ساقها اليه وسببها له ، وذخر الله تلك الرحمة الى يوم القيامة ، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها ، إن شاء صرفها الى نفسه ، وإن شاء صرفها الى غيره ، . . . ثم قال عليه السلام : « فإذا كان يوم القيامة ، وهو الحاكم في رحمة من الله تعالى قد شرعت له ، فالى من ترى يصرفها ؟ ، قال : لا أظن يصرفها عن نفسه ، قال : « لا تظن ! ولكن استيقن ، فانه لن يردها عن نفسه ، . وقال - عليه السلام - : « من مشى في

حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى تقضى له ، كتب الله عز وجل له بذلك مثل أجر حجة وعمرة مبرورتين ، وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام ، ومن مشى فيها بنية ولم تقض ، كتب الله له بذلك مثل حجة مبرورة . فارغبوا في الخير ، . وقال عليه السلام :
 لئن أمشى في حاجة أخ لي مسلم ، أحب إلي من أن أعتق ألف نسمة ، وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة ، . وقال - عليه السلام - : « من سعى في حاجة أخيه المسلم ، وطلب وجه الله ، كتب الله عز وجل له ألف ألف حسنة ، يغفر فيها لأقاربه وجيرانه وإخوانه ومعارفه ، ومن صنع إليه معروفاً في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة ، قيل له : ادخل النار ، فمن وجدته فيها صنع اليك معروفاً في الدنيا فأخرجه باذن الله عز وجل ، إلا أن يكون ناصبياً ، . وقال ابو الحسن - عليه السلام - : « إن لله عبداً في الأرض يسهون في حوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة . ومن أدخل على مؤمن سروراً ، فرح الله قلبه يوم القيامة ، (١) . والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، وما ذكرناه كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين . ومما يدل على مدحه وشرافته ، ما ورد في ثواب اطعام المؤمن وسقيه وكسوته ، كما يأتي .
 ومنها :

التراوة والهدية

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو ناش إمام من ضعف

(١) صححنا الاحاديث - ابتداء من الحديث عن ابى جعفر عليه السلام - على

(اصول الكافي) : باب قضاء حاجة المؤمن ، وباب السعي في حاجة المؤمن .

النفس وصغرها ، أو من الطمع المالى بمن يسامحه ، فيكون من رذائل القوة الغضبية من جانب التفريط ، أو من رذائل القوة الشهوية من جانب الافراط . وهو من المهلكات التي يعم فسادها وضرها ، ويسرى الى معظم الناس اثرها وشرها . كيف ولو طوى بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اضمحلت الديانة ، وتعطلت النبوة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، وضاعت أحكام الدين ، واندرست آثار شريعة رب العالمين ، وهلك العباد ، وخرجت البلاد . ولذا ترى وتسمع أن في كل عصر نهض باقامة هذه السنة بعض المؤيدين ، من غير أن تأخذهم في الله لومة لائمين ، من أقبياء العلماء المتكفلين لعلمها وإلقائها ، ومن سعداء الأمراء الساعين في اجرائها وإمضائها ؛ رغب الناس الى ضروب الطاعات والخيرات ، وفتحت عليهم بركات الأرض والسموات . وفي كل قرن لم يقم باحيائها عالم عامل ولا سلطان عادل ، استشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، واسترسل الناس في اتباع الشهوات والهوى ، وانمحت أعلام الهداية والتقوى .

ولذا ترى في عصرنا - لما اندرس من هذا القطب الأعظم عمله وعلمه ، وانمحت بالكلية حقيقته واسمه ، وعز على بسيط الأرض دين يحرس الشريعة ، واستولت على القلوب مداهنة الخليقة - أن الناس في بيداء الضلالة حيارى ، وفي أيدي جنود الأبالسة اسارى ، ولم يبق من الاسلام إلا اسمه ومن الشرع إلا رسمه .

ولأجل ذلك ورد الذم الشديد في الآيات والأخبار على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمداهنة فيهما ، قال الله سبحانه :

« لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ
وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ كَلْبَسُوا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » (١).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « مامن قوم عملوا بالمعاصي ،
وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل ، إلا يوشك أن يعصمهم الله بعذاب
من عنده ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الله تعالى ليبغض المؤمن
الضعيف الذي لا دين له ، ، فقيل له : وما المؤمن الذي لا دين له ؟ قال :
« الذي لا ينهى عن المنكر ، . وقيل له - صلى الله عليه وآله - : « أتهلك
القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ! قيل : بهم يارسول الله ؟ قال : بتما وونهم
وسكوتهم عن معاصي الله ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لتأمرن
بالمعروف ولتنهين عن المنكر ، أو ليستعملن عليكم شراركم ، فيدعو خياركم
فلا يستجاب لهم ، (٢) . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الله تعالى ليسأل
العبد : ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكر ؟ ، . وقال - صلى الله عليه وآله - :
« إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة ، حتى يظهر المنكر بين أظهرهم ،
وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، .

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - في بعض خطبه : « إنما هلك من
كان قبلكم ، حيث عملوا بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك ،
وانهم لما تآمدوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك ، نزلت

(١) المائة ، الآية : ٦٦ .

(٢) روى في (فروع السكاف) - باب الأمر بالمعروف - هذا الحديث عن ابن
الحسن الرضا - عليه السلام - . وصححنا الحديث الذي قبل الأخير طي (فروع السكاف) في
الموضع المذكور أيضاً .

بهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وقال ﷺ :
 « من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه ، فهو ميت بين الأحياء . » وقال
 - عليه السلام - : « أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وآله - أن نلقى أهل
 المعاصي بوجوه مكفهرة ، . وقال - عليه السلام - : « إن أول ما تغلبون
 عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم بالسنتكم ، ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً
 ولم ينكر منكراً قلباً ، فجعل أعلاه أسفله . » وقال الباقر - عليه السلام - :
 « أوحى الله عز وجل الى شعيب النبي - عليه السلام - : إني معذب من قومك
 مائة الف : أربعين الفاً من شرارهم ، وستين الفاً من خيارهم . فقال ﷺ :
 يارب ، هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : داهنوا
 أهل المعاصي ، ولم يفضبوا لغضبي ، . وقال الصادق - عليه السلام - : « ما
 قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويتها بحقه غير متعتع ، . وقال ﷺ :
 « ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، . وقال
 - عليه السلام - : « إن الله تعالى بعث ملسكين الى أهل مدينة ليقلبها على
 أهلها ، فلما انتهيا الى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرع اليه ، فقال أحد
 الملسكين لصاحبه : أما ترى هذا الداعي ؟ فقال : قد رأيته ، ولكن
 أمضى ما أمر به ربي . فقال : لا ، ولكن لا احدث شيئاً حتى أراجع ربي .
 فعاد الى الله تبارك وتعالى ، فقال : يارب إني انتهيت الى المدينة ، فوجدت
 عبدك فلاناً يدعوك ويتضرع اليك . فقال : امض ما امرتك به ، فإن ذا
 رجل لم يتمعر وجهه غيظاً لي قط ، . وقال - عليه السلام - لقوم من اصحابه :
 حق لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم ، وكيف لا يحق لي ذلك وانتم يبلغكم عن
 الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ، ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى
 يتركه ، . وقال - عليه السلام - : « لا حملن ذنوب سفهائكم على علمائكم . . . »

الى أن قال : ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون وما يدخل علينا به الأذى ، أن تأتوه فتؤنبوه وتعزلوه ، وتقولوا له قولاً بليغاً ، قيل له : اذن لا يقبلون منا ، قال : «هجروهم واجتنبوا مجالستهم» .

وفي بعض الأخبار النبوية : « إن أمتي إذا تهاونوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بحرب من الله » . وقد وردت أخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر إذا لم يمكنه دفعه والنهي عنه ، ولو حضر نزلت عليه اللعنة . وعلى هذا لا يجوز دخول بيت الظلمة والفسقة ، ولا حضور المشاهد التي يشاهد فيها المنكر ولا يقدر على تغييره ، إذ لا يجوز مشاهدة المنكر من غير حاجة ، اعتذاراً بأنه عاجز . ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة ، حذراً من مشاهدة المنكر في الأسواق والمجامع والاعياد ، مع مجزهم عن التغيير .

ثم إذا كان الأمر في المداينة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المثابة ، فيعلم أن الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف كيف حاله . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ » ، فقيل له - صلى الله عليه وآله - : « ويكون ذلك يا رسول الله ؟ » قال : « نعم ! وشر من ذلك ! كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ » ، فقيل له : « يا رسول الله ، ويكون ذلك ؟ » قال : « نعم ! وشر من ذلك ! كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ » ، وفي رواية : « وعند ذلك يبتلى الناس بفتنة ، يصير الحليم فيها حيران » ، (١) .

(١) صححنا الأحاديث هنا على (فروع الكافي) : باب الأمر بالمعروف . وعلى

(الوسائل) : كتاب الأمر بالمعروف . وعلى (المستدرک) : ٢ / ٣٦٠ - ٣٦١ كتاب

الأمر بالمعروف .

ومن تأمل في الأخبار والآثار ، واطلع على التواريخ والسير وقصص الأمم السالفة والقرون الماضية ، وما حدثت لهم من العقوبات ، وضم ذلك إلى التجربة والمشاهدة في عصره ، من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماوية والأرضية ، يعلم أن كل عقوبة سماوية وأرضية ، من الطاعون والوباء ، والقحط والغلاء ، وحبس المياه والأمطار ، وتسلط الظالمين والإشراق ، ووقوع القتل والغارات ، وحدوث الصواعق والزلازل ، وأمثال ذلك ، تكون مسبوقة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس .

وصل

(السعي في الأمر بالمعروف)

ضد المداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو السعي فيهما والتشمير لهما . وهو أعظم مراسم الدين ، والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين ، ونصب من بعدهم الخلفاء والأوصياء ، وجعل نوابهم أولي النفوس القدسية من العلماء . بل هو القطب الذي تدور عليه أرحية الملل والأديان ، وتطرق الاختلال فيه يؤدي إلى سقوطها عن الدوران . ولهذا ورد في مدحه والترغيب عليه مما لا يمكن احصاؤه من الآيات والأخبار ، قال الله سبحانه :

« وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

وقال : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » (١) . وقال : « فَلَمَّا نَسُوا

مَآذُ كُتِرُوا بِهِ اُنْجَيْنَا الَّذِيْنَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْءِ وَاَخَذْنَا
الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا بِعَذَابٍ بَلِيْسٍ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ » (٢). وقال :
« لا خَيْرَ فِي كَثِيْرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ، اِلَّا مَن اَمَرَ بِصَدَقَةٍ
اَوْ مَعْرُوْفٍ اَوْ اِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغَاءً
مَّرَضَاتِ اللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ اَجْرًا عَظِيْمًا » . وقال : « يَا أَيُّهَا
الَّذِيْنَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِيْنَ بِالْقِسْطِ » (٣).

والقيام بالقسط هو : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « ما أعمال البر عند الجهاد
في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لحي ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل
الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لحي ، . وقال
- صلى الله عليه وآله - : « إياكم والجلوس على الطرقات ، ، قالوا : مالنا
بد منها ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال : « فاذا أبيتم إلا ذلك ، فاعطوا
الطريق حقه ، ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « غض البصر ، وكف
الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، . وقال
- صلى الله عليه وآله : « ما بعث الله نبياً إلا وله حوارى ، فيمكث النبي بين
أظهرهم ما شاء الله ، يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره ، حتى اذا قبض الله
نبيه ، مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنة نبيه ، فاذا
انقرضوا ، كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر ، يقولون ما يعرفون

يعلمون ما ينكرون . فاذا رأيتم ذلك ، فحق على كل مؤمن جهادهم بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه . وليس وراء ذلك إسلام ، (١) . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « إن من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه ، فقد سلم وبرى ، ومن أنكره بلسانه فقد أجز ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذى اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين ، (٢) . وقال - عليه السلام - : « فمنهم المنكر المنكر بقلبه ولسانه ويده ، فذلك المستكمل لخصال الخير . ومنهم المنكر بلسانه وقلبه ، التارك بيده ، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير وهضيع خصلة . ومنهم المنكر بقلبه ، والتارك بيده ولسانه ، فذلك الذى ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة . ومنهم تارك لا ينكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت الاحياء . وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر . » وفي خبر جابر عن الباقر - عليه السلام - : « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصالحاء ، فريضة عظيمة ، بها تقام الفرائض ، وتأمين المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض ، وينتصف من الاعداء ، ويستقيم الأمر . فأنكروا بقلوبكم ، والفظوا بألسنتكم ، وصكوا بها

(١) صححنا هذه النبويات الثلاثة على (احياء العلوم) : ٢ / ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٢) صححنا الحديث على (المستدرک) : كتاب الأمر بالمعروف ، الباب ٣ . وعلى

(الوسائل) : كتاب الأمر بالمعروف ، الباب ٣ . وكذا الحديث بعده ، صححناه

على (الوسائل) في الموضوع المذكور .

جباهم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم . فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم :

« إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَوْ لَوَّكَهُمْ كَهَمُّ الْيَمِّ » (١).

هنالك فجاهدوهم بأبدانكم ، وابغضوهم بقلوبكم ، غير طالبين سلطانا ، ولا باغين مالا ، ولا مریدین اظلم ظفراً ، حتى يفيثوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته ، (٢).

فصل

(وجوب الأمر بالمعروف وشروطه).

مقتضى الآيات والأخبار المذكورة ، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولا خلاف فيه أيضاً ، إنما الخلاف في كون وجوبهما كفاً أو عينياً . والحق الأول ، كما يأتي .

ثم الواجب إنما هو الأمر بالواجب والنهي عن الحرام . وأما الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه فمندوب ، وإنما يجب بشروط أربعة :

الأول — العلم بكونهما معروفاً ومنكراً ، ليأمن من الغلط ، فلا يجبان في المتشابه ، فمن علم بالقطع الوجوب أو الحرمة ، وعدم جواز الاختلاف فيه من ضرورة الدين أو المذهب أو الإجماع القطعي النظري أو السكتاب والسنة أو من قول العلماء ، فله أن يأمر وينهى ويحتسب به على كل أحد ،

(١) الشورى ، الآية : ٤٢ .

(٢) صحیحنا الحديث علی (فروع الکافی) : کتاب الجهاد ، باب الأمر بالمعروف .

ومن لم يعملها بالقطع ، بل عليها بالظن الحاصل من الاجتهاد أو التقليد ، وجوز الاختلاف فيه ، فليس له الامر والنهي والحسبة ، إلا على من كان على هذا الاعتقاد من مجتهد أو مقلد ، أو لزم عليه أن يكون هذا الاعتقاد ، وان لم يكن عليه بالفعل للجهل ، كالمقلد المطلق للمجتهد اذا لم يعلم بمض العقائد الاجتهادية لمجتهده ، فيتأني لغيره ان يحتسب به عليه . وحاصل ما ذكر : أن القطعيات الوفاقية تتأني لكل أحد أن يحتسب بها على كل أحد بعد علمها ، وغير القطعيات الجائز فيها الاختلاف والمرجح أحد طرفيها لا جتهاد لا يتأني لمجتهدها ومقلده فيها الاحتساب ، أى الامر والنهي ، إلا على من كان موافقاً في الاعتقاد أو يلزم أن يكون موافقاً .

الثانى - تجويز التأثير . فلو علم أو غلب على ظنه انه لا يؤثر فيه ، لم يجب ، لعدم الفائدة .

الثالث - القدرة والتمكن منه ، وعدم تضمنه مفسدة . فلو ظن توجه الضرر اليه أو الى أحد من المسلمين بسببه سقط ، إذ لا ضرر ولا ضرار في الدين .
الرابع - أن يكون المأمور أو المنهى مصراً على الاستمرار . فلو ظهر منهما امارة الإقلاخ سقط ، للزوم العبث .

ثم هذه الشروط يختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما يأتي . ويدل على اشتراط الثلاثة الأول ماروى : « انه سئل مولانا الصادق - عليه السلام - : ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو واجب على الأمة جميعاً ؟ فقال : لا . فقيل له : ولم ؟ قال : انما هو على القوى المطاع ، العالم بالمعروف من المنكر ، لا على الضعيف الذى لا يهتدى سبيلاً الى أى من أى يقول من الحق الى الباطل . والدليل على ذلك كتاب الله عز وجل ، قوله :

« وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » (١) ،
فهذا خاص غير عام ، كما قال الله عز وجل :

« وَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ » (٢)
ولم يقل على امة موسى ، ولا على كل قوم ، وهم يومئذ امة مختلفة ،
والامة واحد فصاعداً ، كما قال الله عز وجل : (إن ابراهيم كان امة قانتاً لله)
يقول مطيعاً لله عز وجل . وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج ،
اذا كان لا قوة له ولا عذر ولا طاقة . قال مسعدة : « سمعت ابا عبد الله
عليه السلام - وسئل عن الحديث الذي جاء عن النبي ﷺ : (إن أفضل
الجهاد كلمة عدل عند امام جائر) ما معناه - قال : هذا على أن يأمره بعد
معرفة ، وهو مع ذلك يقبل منه ، وإلا فلا . وفي خبر آخر : « إنما يؤمر
بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعلم أو جاهل فيتعلم . فأما صاحب
سوط أو سيف فلا . وفي خبر آخر : « من تعرض لسلطان جائر واصابته
ببليّة ، لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر عليها ، (٣) . ومن الشرائط أن يظهر
المنكر على المحتسب من غير تجسس ، فلا يجب ، بل لا يجوز التجسس ،
كفتح الباب المغلق ، ووضع الاذن والانف لاحتباس الصوت والريح ،
وطلب اراءة ماتحت الثوب ، وأمثال ذلك ، لنص السكتاب والسنة .

(١) آل عمران ، الآية : ١٠٤ .

(٢) الأعراف ، الآية : ١٥٨ .

(٣) صححنا الأحاديث على (فروع الكافي) : باب الأمر بالمعروف ، وباب المنكر

المنكر بالقلب . اسقط المؤلف من الحديث الأول تسماً فأكملناه .

فصل

(عدم اشتراط العدالة فيه)

لا تشتراط فيه العدالة واثتار الأمر بما يأمر به واثتاهء الناهى عما ينهى عنه ؛ لا طلاق الأدلة ، ولأن الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره أمران : تركه وانكاره ، ولا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ، كيف ولو شرط ذلك لا يقتضى عدم وجوب ذلك إلا على المعصوم ، فينسد باب الحسبة بالكلية .

وأما الانكار فى قوله تعالى :

« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » (١) .

وقوله تعالى : « لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ

أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » (٢) .

وما فى حديث الاسرى من قرض مقاربيضهم بالنار ، فانما هو على عدم العمل بما يأمر به ويقوله ، لا على الأمر والقول . وكذلك ما روى : « أن الله تعالى أوحى الى عيسى : عظ نفسك ، فان اتعظت فعظ الناس ، وإلا فاستحى منى ، (٣) . وقس على ذلك جميع ما ورد من هذا القبيل .

(١) البقرة ، الآية : ٤٤ .

(٢) الصف ، الآية : ٢ — ٣ .

(٣) صححنا الأحاديث كلها على (فروع الكافي) : باب الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر . وعلى (الوسائل) : كتاب الأمر بالمعروف . وعلى (المستدرک) : ٢ / ٣٦٠ ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وما قيل إن هداية الغير فرع الاهتداء ، وتقويم الغير فرع الاستقامة ،
ففيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يكون بالوعظ وتارة بالقهر ،
ومن لم يكن مهتدياً مستقيماً ، تسقط عنه الحسبة بالوعظ ، لعلم الناس بفسقه ،
فلا يتضمن وعظه وكلامه فائدة ، ولا يؤثر في العالم بفسقه ، ولا يخرج ذلك وعظه
وقوله عن الجواز ، كما لا تخرج حسبته القهرية عن التأثير والفائدة أيضاً . إذ
الفاسق إذا منع غيره قهراً عن الزنا واللواط وشرب الخمر ، وارق الخمر ،
وكسر آلات الملاهي ، حصل التأثير والفائدة بلا شبهة . والحاصل : أن
أحد نوعي الاحتساب - اعني الوعظي - يتوقف تأثيره على العدالة ، وأما
نوعه الآخر - اعني القهري - فلا يتوقف عليه مطلقاً .

فان قيل : اذا أتى رجل امرأة إكراهاً ، وهي مستورة الوجه ،
فكشفت وجهها باختيارها ، فما اشنع وأقبح أن ينمها الرجل في أثناء الزنا
عن كشف وجهها ، ويقول لها : أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف
الوجه لغير المحرم ، وما أنا بمحرم لك ، فاستري وجهك .

قلنا : القبح والاستنكار إنما هو لأجل أنه ترك الأهم واشتغل بما هو
الاهون ، كما اذا ترك المشتبه وأكل الحرام ، أو ترك الغيبة وشهد بالزور ،
لأن هذا النهي هو حرام في نفسه ، أو خرج عن الوجوب الى الإباحة
أو الكراهة . ولأن نهيه هذا خرج بفسقه عن التأثير والفائدة ، فالاستنكار
عليه وتقييح نهيه عن هذا من حيث أنه نزل نفسه مقام من يؤثر قوله ، مع
أنه لا يؤثر ، كما تقدم آنفاً .

ثم ما ذكرناه من عدم اشتراط العدالة في العمل بما يأمر به وينهى عنه
إنما هو في آحاد الحسبة الصادرة من أفراد الرعية المطلعين على المنكر . وأما

من نصب نفسه لا صلاح الناس ونصحهم ، وبيان الاحكام الإلهية نيابة عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - والأئمة المعصومين - عليهم السلام - ، فلا بد فيه من العدالة والتقوى والعلم بالكتاب والسنة ، وغير ذلك من شرائط الاجتهاد . وعلى هذا يحصل جواب آخر عن الآيات والايخبار الواردة في الانكار على الواعظ غير المتمتع بتخصيصها به دون افراد الرعية . وعليه يحمل قول الصادق - عليه السلام - في (مصباح الشريعة) (١) : « من لم ينسلخ عن هواجسه ، ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ، ولم يهزم الشيطان ، ولم يدخل في كنف الله وأمان عصمته ، لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه اذا لم يكن بهذه الصفة ، فكلماً أظهر أمراً كان حجة عليه ، ولا ينتفع الناس به . قال الله عز وجل :

« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » (٢) .

ويقال له : يا خائن ! أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخت عنه عنانك ! . وكذا يحمل عليه قول الصادق - عليه السلام - (٣) : « صاحب الأمر بالمعروف يحتاج الى أن يكون عالماً بالحلال والحرام ، فارغاً من خاصة نفسه مما يأمرهم به وينهاهم عنه ، ناصحاً للخلق ، رحيماً لهم ، رقيقاً بهم ، داعياً لهم باللطف وحسن البيان ، عارفاً بتفاوت اخلاقهم ، لينزل كلاماً منزلة ، بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان ، صابراً على ما يلحقه ، لا يكافئهم بها ولا يشكو منهم ، ولا يستعمل الحمية ولا يغتالظ لنفسه ، مجرداً

(١) الباب ٦٤ . وقد صححنا الحديث عليه وعلى (بحار الانوار) : ٢١ / ١١٤ ،

باب الأمر بالمعروف . وعلى (مستدرک الوسائل) : ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٥ .

(٢) البقرة ، الآية : ٤٤ .

(٣) (مصباح الصريمة) : الباب المتقدم .

نيتة لله ، مستعيناً به ومبتغياً لوجهه ، فان خالفوه وجفوه صبر ، وإن وافقوه وقبلوا منه شكر ، مفوضاً أمره الى الله ، ناظراً الى عيبه ، .
 ﴿ تنبيهه ﴾ اعلم أن المحتسب عليه — أعنى من يؤمر به أو ينهى عنه — وان اشترط كونه عاقلاً بالغاً ، إلا أن هذا الشرط انما هو في غالب الأوامر والنواهي ، وبعضها لا يشترط فيه ذلك . إذ من رأى صيباً أو مجنوناً يشرب الخمر ، وجب عليه أن يمنعه ويريق خمره . وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة ، فعليه أن يمنعه منه ، ولا يلزم منه أن يكون ممنوع بهيمة عن افساد زرع انسان حسبة ونهياً عن منكر ، إذ لا يصدق اسم المحتسب عليه والمنهى إلا على من كان الفعل الممنوع عنه في حقه منكر ، وهو لا يكون إلا الانسان دون سائر الحيوانات .

فصل

(مراتب الأوامر بالمعروف)

اعلم أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب :
 الأولى — الانكار بالقلب : بأن يبغضه على ارتكاب المعصية . وهذا مشروط بعلم الناهي واصرار المنهى ، ولا يشترط بالشراطين الآخرين .
 الثانية — التعريف : بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصية ، فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصي لجهلهم بأنه معصية ، ولو عرف كونه معصية تركه .

الثالثة — إظهار الكراهة والإعراض والمهاجرة .

الرابعة — الانكار باللسان : بالوعظ ، والنصح ، والتخويف ، والزجر ، مرتباً الأيسر فالأيسر ، الى أن يصل الى التعنيف بالقول

والتغليظ في الكلام . كقوله : يا جاهل ! يا أحمق ! لا تخالف ربك !
وههنا شبكة عظيمة للشيطان ، ربما يصطاد بها أكثر الوعاظ . فينبغي لكل
عالم ناصح أن يراها بنور البصيرة ، وهي أن يحضره عند الوعظ والارشاد ،
ويلقى في قلبه تمززه وشرافته بالعلم ، وذلة من يعظه بالجهل والخسة . فربما
يقصد بالتعريف والوعظ الاذلال والتجهيل ، واطهار شرف نفسه بالعلم ،
وهذه آفة عظيمة تتضمن كبراً ورياءً . وينبغي لكل واعظ دين ألا
يغفل عن ذلك ، ويعرف بنور بصيرته عيوب نفسه وقبح سيرته . وعلامة
براءة نفسه من هذه الآفة ، أن يكون اتعاض ذلك العاصي بوعظ غيره
أو امتناعه من المعصية بنفسه أحب إليه من اتعاضه بوعظه .

الخامسة -- المنع بالقهر مباشرة : ككسر آلات اللغو ، وارقة الخمر ،
واستلاب الثوب المغصوب منه ورده الى صاحبه ، وأمثال ذلك .

السادسة -- التهديد والتخويف : كقوله : دع عنك هذا ، وإلا
ضربتك أو كسرت رأسك أو غير ذلك مما يجوز له أن يفعل لو لم ينته عن
معصيته . ولا يجوز أن يهدده بما لا يجوز فعله ، كقوله : دع هذا وإلا
أضرب عنقك أو أضرب ولدك ، أو استبين زوجتك ، وأمثال ذلك .

السابعة -- مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك ، من دون أن
ينتهي الى شهر سلاح وجراح .

الثامنة -- الجرح بشهر بعض الأسلحة . وجوزه سيدنا المرتضى
- رضى الله عنه - من أصحابنا وجماعة ، والباقون اشتروا إذن الامام
في ذلك . إذ ربما لا يقدر عليه بنفسه ، ويحتاج فيه الى أعوان وانصار
يشهرون السلاح ، وربما يستمد الفاسق أيضاً باعوانه ، فيؤدى الى المقاتلة
والمحاربة وحدث فتنة عظيمة .

فصل

(معنى وجوبها كـفائياً)

إذا اجتمعت الشرائط ، وكان المطلع منفرداً ، تعين عليه . وإن كان ثمة غيره ، وشرع أحدهما في الأمر والنهي ، فإن ظن الآخر أن لمشاركته أثراً في تعجيل ترتب الأثر ورسوخ الانزجار ، وجب عليه أيضاً ، وإلا فلا . لأن الغرض وقوع المعروف وارتفاع المنكر ، فتمت حصلاً بفعل واحد ، كان السعي من الآخر عبثاً . وهذا معنى كون وجوبها كـفائياً .

فصل

(ما ينبغي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

ينبغي لكل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون حسن الخلق ، صابراً حليماً قوياً في نفسه ، لئلا يزعج ، ولا يضطرب إذا قيل في حقه ما لا يليق به . فإن أكثر الناس اتباع الهوى ، فاذا نهوا عما يميلون إليه شق ذلك عليهم ، وربما اطلقوا أسنتهم في حق النهي ، ويقولون فيه ما لا يليق بشأنه ، وربما تجاوزوا الى سوء الأدب قولاً وفعلاً بالمشافهة . وأن يكون رفيقاً بالناس ، فإن الوعظ بالرفق والملاءمة أوقع وأشد تأثيراً في قلوب أكثر الناس .

وأن يكون قاطعاً للطمع عن الناس ، فإن الطامع من الناس في أموالهم أو اطلاق أسنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبة ، ولذا نقل : « أن بعض المشايخ كان له سنور ، وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً من القدر لسنوره ، فرأى على القصاب منكرآ ، فدخل الدار أولاً ، وأخرج

السنور ، ثم جاء ووعظ القصاب وشدد عليه القول ، فقال القصاب : لا يأكل سنورك شيئاً بعد ذلك ، فقال : ما احتسبت عليك إلا بعد اخراج السنور وقطع الطمع عنك ! .

تتميم

(أنواع المنكرات)

اعلم أن المنكرات إما محظورة أو مكروهة ، والمألوفة منها في العادات أكثر من أن تحصى .

فمنها — ما يكون غالباً في المساجد : كإساءة الصلاة ، والاخلال ببعض أفعالها ، والتأخير عن أوقاتها ، وادخال النجاسة فيها ، والتكلم فيها بأمور الدنيا والبيع والشراء ، ودخول الصبيان والمجانين فيها مع اشتغالهم باللغو واللعب ، وقرأة القرآن فيها باللحن أو الغناء ، ودخول النسوان فيها مع ظن تطرق الريبة ، ونظر الأجنبيات اليهن أو نظرهن إليهم ، ودخول الجنب أو الحائض فيها ، وتغني المؤذنين بالأذان أو غيره مما يقرؤون ، وتقديمهم الأذان على الوقت ، ووعظ من لا ينبغي ان يتمكن من الموعدة ، كمن يكذب في حديثه أو يفتى بالمسائل وليس أهلاً لها ، أو يظهر من وعظه كونه مرانياً طالباً للجاه ، وأمثال ذلك . فان كل ذلك من المنكرات ، بعضها محظورة وبعضها مكروهة ، ينبغي لكل مطلع ان ينهى عنها .

ومنها — ما يكون غالباً في الأسواق : من الكذب في المحاولات والمعاملات واخفاء العيب ، والايان الكاذبة ، والمنازعة بالضرب والشم والطعن واللعن وأمثال ذلك ، والتبخس في الكيل والميزان ، والمعاملات الفاسدة باقسامها على ما هو مقرر في الفقهيات .

ومنها — ما يكون في الشوارع : كوضع الاساطين ، وبناء الدكاك متصلة بالابنية المملوكة ، وتضييق الطرق على المارة بوضع الاطعمة والاحطاب وربط الدواب فيها ، وسوق الدواب فيها وعليها الاشواك والتجاسات — اذا تأذى الناس منها وامكن العدول بها الى موضع واسع ، وإن لم يمكن فلا منع ، إذ حاجة أهل البلد ربما تمس الى ذلك — وتحميل الدواب ما لا يطيقه من الحمل ، وذبح القصاب على الطريق أو على باب دكانه بحيث تلوث الطريق بالدم ، وطرح الكساسة على جواد الطريق ، ورش الماء على الطرق بحيث يخشى منه الزلق والسقوط ، وارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة ، وغير ذلك . وقس على ذلك منكرات الحمامات ، والخانات ، والاسواق ، ومجالس العامة ، ومجامع القضاة ، ومدارس الفقهاء ، ورباطات الصوفية ، ودواوين السلاطين ، وغيرها . فان أمثال ما ذكر من المنكرات يجب أن ينهى عنها ، فلو قام بالاحتساب والنهى عنها أحد سقط الحرج على البواقى ، وإلا عم الحرج أهل البلد جميعاً . وأمثال ما ذكر إنما هو من المنكرات اليسيرة الجزئية .

وأما المنكرات العظيمة : من البدعة في الدين ، والقتل ، والظلم ، والزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، وانواع الغناء ، والنظر الى غير المحارم ، وأكل الحرام ، والصلاة في الاماكن المغصوبة ، والوضوء والغسل من المياه المحرمة ، والتصرف في أموال الأوقاف وغصبها ، والمعاملة مع الظالمين ، والجهل في الاصول الاعتقادية والفروع الواجبة ، وآفات اللسان ، فلا يمكن حصرها لكثرتها ، لا سيما في أمثال زماننا . فلو امكن لمؤمن دين أن يغير هذه المنكرات كلاً أو بعضاً بالاحتساب ، فليس له أن يقعد في بيته ، بل يجب عليه الخروج للنهي والتعليم . بل ينبغي لكل مسلم

أن يبدأ بنفسه ، فيصلحها بالمواظبة على الطاعات وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهله وأقاربه ، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ، ثم الى أهل محلته ، ثم أهل بلده ، ثم أهل السواد المكتنف بلده ، ثم الى غيرهم ، وهكذا الاقرب فالأقرب الى اقصى العالم . فان قام به الاذن سقط عن الابد ، وإلا لزم الحرج على كل قادر عليه ، قريباً كان أو بعيداً . ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل يعرض عن فروض دينه وهو قادر على أن يسعى اليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فريضة . وهذا شغل شاغل لمن يهمله أمر دينه يشغله عن سائر المشاغل . إلا أن إعراض الناس عن أمور دينهم في عصرنا لم يبلغ حداً يقبل الاصلاح ، الى ان تتعلق به مشيئة الله ، فينهض بعض عباده السعداء الاقوياء ، فيدفع هذه الوصمة ، ويسد هذه الثلمة ، ويتلافى هذه الفترة .

ومنها :

الهجرة والتباعد

ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحقد ، أو الحسد أو البخل . فيكون من رذائل قوة الغضب أو الشهوة . وهو من ذمائم الأفعال . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أيما مسلمين تهاجرا ، فكنا ثلاثاً لا يصطلحان ، إلا كانوا خارجين من الاسلام ، ولم يكن بينهما ولاية . فأيهما سبق الكلام لأخيه ، كان السابق الى الجنة يوم الحساب » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ... » وقال الصادق - عليه السلام - : « لا يفترق رجلان على الهجران ، إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة ، وربما استحق ذلك كلاهما » ، فقال له معتب : جعلني الله

فذاك اهدا للظالم ، فما بال المظلوم ؟ قال : « لأنه لا يدعو أخاه الى صلته ، ولا يتعامس له عن كلامه . سمعت أبي - عليه السلام - يقول : اذا تنازع اثنان ، فعاد أحدهما الآخر ، فليرجع المظلوم الى صاحبه ، حتى يقول لصاحبه : أى أخى ، انا الظالم ، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه ، فان الله تبارك وتعالى حكم عدل ، يأخذ للمظلوم من الظالم . وقال عليه السلام : « لا يزال ابليس فرحاً ما اهتجر المسلمين ، فاذا التقي اصطكت ركبته وتخلعت أوصاله ، ونادى : ياويله ! ما اتى من الثبور . » وقال الباقر عليه السلام : « إن الشيطان يغرى بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه ، فاذا فعلوا ذلك استلقت على قفاه وتمدد ، ثم قال : فزت . فرحم الله امرأ ألف بين وليين لنا . يا معشر المؤمنين ، تألفوا وتعاطفوا ، (١) . والأخبار الواردة في ذم الهجرة والتباعد كثيرة .

فيجب على كل طالب لنجاة الآخرة أن يتأمل في امثال هذه الأخبار ، ثم يتذكر ثواب ضد ذلك وفوائده ، أعنى التآلف والتزاور بين الاخوان بنفسه ، فيحافظ نفسه من حصول الانقطاع والتباعد مع أحد اخوانه ، ولو حصل ذلك كلف نفسه المبادرة الى زيارته وتآلفه ، حتى يغلب على الشيطان ونفسه الامارة ، ويفوز بما يرجوه المتقون من عظيم الأجر وجزيل الثواب.

فصل

(التزاور والتآلف)

قد اشير الى أن ضد التباعد والهجران هو التزاور والتآلف ، وهو من ثمرات النصيحة والمحبة ، وثوابه أكثر من أن يحصى . عن أبي جعفر

(١) صححنا الاخبار كلها على (الكافي) : باب الهجران .

- عليه السلام - قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : حدثني جبرئيل - عليه السلام - : أن الله عز وجل أهبط الى الأرض ملكا ، فاقبل ذلك الملك يمشى حتى وقع الى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار ، فقال له الملك : ما حاجتك الى رب هذه الدار ؟ قال : أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى . فقال له الملك : ما جاء بك إلا ذاك ؟ فقال : ما جاء بي إلا ذاك . قال : فإني رسول الله اليك ، وهو يقرئك السلام ، ويقول : وجبت لك الجنة . وقال الملك : إن الله عز وجل يقول : أيما مسلم زار مسلماً فليس إياه زار ، بل إياي زار ، وثوابه عليّ الجنة . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « لقاء الاخوان مغنم جسيم ، وإن قلوا . »

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام : « إن لله عز وجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة : رجل حكم على نفسه بالحق ، ورجل زار أخاه المؤمن في الله ، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله . » وقال - عليه السلام - : « إن المؤمن ليخرج الى أخيه يزوره ، فيوكل الله عز وجل به ملكا فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظله ، فاذا دخل الى منزله ، ناداه الجبار تبارك وتعالى : أيها العبد المعظم لحق ، المتبع لأثار نبي ، حق عليّ إعظامك ، سلمني اعطك ، أدعني اجبك ، اسكت ابتدئك . فاذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل الى منزله ، ثم يناديه تبارك وتعالى : أيها العبد المعظم لحق ، حق عليّ إكرامك ، قد أوجبت لك جنتي ، وشفعتك في عبادي . » وقال - عليه السلام - : « أيما مؤمن خرج الى أخيه يزوره عارفاً بحقه ، كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحيت عنه سيئة ، ورفعت له درجة ، فاذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء ، فاذا التقيا وتصالحا وتعانقا ، أقبل الله عليهما بوجهه ، ثم باهى بهما الملائكة ، فيقول : انظروا الى عبيد تزاوروا وتحابوا في ، حق عليّ ألا

أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف . فاذا انصرف شيعه ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه ، يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة الى مثل تلك الليلة من قابل ، فان مات فيما بينهما اعفى من الحساب ، وان كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره .

وقال الصادق - عليه السلام - : « من زار أخاه لله لا لغيره ، التماس موعد الله وتمنجز ما عند الله ، وكل الله به سبعين الف ملك ينادونه : ألا طبت وطابت لك الجنة ! » . وقال - عليه السلام - : « من زار أخاه في الله ، قال الله عز وجل : إياي زرت ، وثوابك علي ، ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة » . وقال - عليه السلام - : « من زار أخاه في الله في مرض أو صحة ، لا يأتيه خداعاً ولا استبدالاً ، وكل الله به سبعين الف ملك ، ينادون في قفاه : أن طبت وطابت لك الجنة ! فاتم زوار الله ، وأنتم وفد الرحمن ، حتى يأتي منزله » ، فقال له بشير : جعلت فداك ! فان كان المكان بعيداً ؟ قال : « نعم يا بشير ! وإن كان المكان مسيرة سنة ؛ فان الله جواد ، والملائكة كثير ، يشيعونه حتى يرجع الى منزله » . وقال - عليه السلام - : « من زار أخاه في الله تعالى والله ، جاء يوم القيامة يخطر بين قباطي من نور(١) ، لا يمر بشيء الا أضاه له ، حتى يقف بين يدي الله عز وجل ، فيقول الله له : مرحباً ! واذا قال مرحباً ، اجزل الله عز وجل له العطية » . وقال - عليه السلام - : « لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات ، ومن أعتق رقبة مؤمنة وتى بكل عضو عضواً من النار ، حتى أن الفرج يقي الفرج » . وقال - عليه السلام - لأبي خديجة : « كم بينك وبين البصرة ؟ » قال : في الماء خمس اذا طابت الريح ، وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك ، فقال : « ما أقرب هذا ، تزاوروا وتعاهدوا بعضهم بعضاً ، فانه لا بد يوم القيامة

(١) القبط - بالكسر - : أهل مصر . واليهم تنسب الثياب البيض القبطية . والجمع (قباطي) .

يأتي كل انسان بشاهد شهده له على دينه ، . وقال : « إن المسلم إذا رأى أخاه ، كان حياة لدينه إذا ذكر الله ، . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى ، ما لقي المؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً ، .

والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة . والسر في هذا الترغيب الشديد على تزاور المؤمنين وملاقاتهم ، كونه دافعاً للحسد والعداوة ، جالباً للتأليف والمحبة . وهو أعظم ما يصلح به أمر دنياهم وعقباهم . ولذا ورد الثناء والمدح في الآيات والأخبار على نفس الألفة وانقطاع الوحشة ، لاسيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين . وورد الذم في التفرقة والتوحش ، قال الله سبحانه في مقام الامتنان على المؤمنين بنعمة الألفة :

« لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ

قُلُوبِهِمْ وَلَا يَكُنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ » (١) . وقال : « فَأَصْبَحْتُمْ

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » : أي بنعمة الألفة . وقال سبحانه :

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « المؤمن إلف مألوف ، ولاخير في من لا يآلف ولا يؤلف ، . وهذا هو السر في الترغيب على التسليم والمصافحة والمعانقة . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام ، . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « لا تغضبوا ولا تقبضوا ، افشوا السلام ، واطيئوا الكلام ، وصلوا

بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام . وقال الباقر - عليه السلام - : « إن الله يحب إفشاء السلام » . وقال - عليه السلام - : « من التواضع أن تسلم على من لقيت » . وقال الصادق - عليه السلام - « تصافحوا ، فإنها تذهب بالسخيمة » . وقال : « مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة » . وقال الباقر عليه السلام : « إن المؤمنين إذا التقوا فتصافحوا . ادخل الله تعالى يده بين أيديهما ، وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه . فإذا أقبل الله تعالى بوجهه عليهما ، تحانت عنهما الذنوب كما تتحانت الورق من الشجر » . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم وليصافحه ، فإن الله تعالى أكرم بذلك الملائكة ، فاصنعوا صنع الملائكة » . وقال الصادق - عليه السلام - : « إن المؤمنين إذا اعتنقا غميرتهما الرحمة ، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا ، قيل لهما : مغفوراً لكما فاستأنفا ، فإذا أقبلا على الماء ، قالت الملائكة بعضهم لبعض : تنحوا عنهما ، فإن لهما سرراً وقد ستر الله عليهما ، (١) .

ومنها :

قطع الرحم

وهو إيذاء ذوى اللحمة والقرباة ، أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهية والثروة والخيرات الدنيوية ، مع احتياجهم إليه . وباعثه إما العداوة أو البخل والحسنة ، فهو من رذائل القوة الغضبية أو الشهوية ، ولا ريب في كونه من أعظم المهلكات المفسدة للدنيا والدين ، قال الله سبحانه .

(١) صححنا الأحاديث كلها على (الكافي) : باب زيارة الاخوان ، وباب المصافحة ،

وباب المناقعة . وعلى (سفينة البحار) : ١ / ٥٦٨ .

« وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » (١).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أبغض الأعمال إلى الله :
الشرك بالله ، ثم قطيعة الرحم ، ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، .
وقال - صلى الله عليه وآله - : « لا تقطع رحمك وإن قطعتك ، . وقال تعالى :
« أنا الرحمن ، وهذه الرحم شققن لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ،
ومن قطعها قطعته ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « حافتا الصراط يرم
القيامة الرحم والامانة ، فاذا مر الوصول للرحم المؤدى للامانة نفذ إلى
الجنة ، واذا مر الخائن للامانة القطوع للرحم لم ينفعهما معه عمل (٢) وتكفأ
به الصراط في النار ، . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - في خطبة : « أعود
بالله من الذنوب التي تعجل الفناء ، ، فقام إليه عبد الله بن السكوى الإشكري ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، أو تكون ذنوب تعجل الفناء ؟ فقال : « نعم ،
ويلك ! قطيعة الرحم . إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة
فيرزقهم الله ، وإن أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله
وهم اتقياء ، . وقال - عليه السلام - : « إذا قطعوا الأرحام ، جعلت الأموال
في أيدي الأشرار ، . وقال الباقر عليه السلام : « في كتاب علي - صلوات الله عليه - :
ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن : البغي ، وقطيعة الرحم ،

(١) الرعد ، الآية : ٢٧ .

(٢) قال في (الوافي) : لم ينفعهما معه عمل ، أي لم ينفع الخائن ولا القطوع مع الحياة
أو القطع عمل . وفي نسخة من (السكاني) : لم ينفعه معها .

واليمين الكاذبة يبارز الله بها . وإن عجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم . وإن القوم ليكونون جفراً فيتواصلون فتنمى أموالهم ويثرون . وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها . وتنقل الرحم ، وإن نقل الرحم انقطاع النسل . وقال الصادق - عليه السلام - : « اتقوا الخالقة (١) ، فإنها تميمت الرجال » ، قيل : وما الخالقة ؟ قال : « قطيعة الرحم » . وجاء رجل إليه ، فشكى أقاربه ، فقال له : « اكظم وافعل » ، فقال : انهم يفعلون ويفعلون ، فقال : « أتريد أن تكون مثلهم فلا ينظر الله اليكم ؟ » (٢) . وكتب أمير المؤمنين - عليه السلام - الى بعض عماله : « مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا » (٣) ؛ وذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وذلك ربما يورث التحاسد والتباغض وقطيعة الرحم ، كما هو مشاهد في أكثر ابناء عصرنا ، وليس الخبر كالمعاينة ، وإذا لم يتجاوروا وتزاحمت (٤) ديارهم ، كان أقرب الى التعاطب ، كما قيل بالفارسية : « دورى ودوستى » (٥) .

وصل

(ضد قطيعة الرحم : صلة الرحم)

وهو تشريك ذوى اللحمة والقرابات بما ناله من المال والجاه وسائر

(١) قال في (مجمع البحرين) - مادة حلقى - : « وفي الحديث : اتقوا الخالقة . قال بعض الشارحين : الخالقة هي الحصلة التي من شأنها ان تحلق ، أى تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل موسى الشعر » .

(٢) صححنا الاحاديث كلها على (اصول السكاني) : باب قطيعة الرحم ، وباب صلة الرحم .

(٣) لم نثر على مصدر لهذا الحديث .

(٤) كذا في النسخ ، والظاهر ان الصحيح « وتباعدت » .

(٥) يعني : التباعد معه التعاطب .

خيرات الدنيا ، وهو أعظم القربات وأفضل الطاعات ، قال الله سبحانه :

« وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ

إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ... » (١). وقال : « وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ لِمَنَّ اللَّهُ كَانَعَلَيْكُمْ

رَقِيبًا » (٢). وقال : « الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ - إلى قوله -

أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ » (٣).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « اوصى الشاهد من امتي

والغائب ، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، إلى يوم القيامة : أن

يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة ، فإن ذلك من الدين . » وقال

- صلى الله عليه وآله - : « إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم . » وقال : « من

سره النساء في الأجل ، والزيادة في الرزق ، فليصل رحمه . » وقال - صلى

الله عليه وآله - : « إن القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة ، فيصلون

أرحامهم ، فتتسمى أعمالهم وتطول أعمارهم ، فكيف إذا كانوا إبراراً بررة . »

وقال - صلى الله عليه وآله - : « الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ،

وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين . » وقيل له - صلى

الله عليه وآله - : « أى الناس أفضل ؟ فقال : اتقاهم لله ، وأوصلهم للرحم ،

(٣) الرعد الآية ٢١ ، ٢٢ .

(١) النساء ، الآية : ٣٦ .

(٢) النساء ، الآية : ١ .

وآمرهم بالمعروف ، وأنهم عن المنكر ، . وقال - صلى الله عليه وآله - :
 « إن أهل البيت ليسكونون فجراً ، تنمى أموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا
 ارحامهم ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أفضل الفضائل : أن تصل من
 قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » . وقال - صلى الله عليه
 وآله - : « من سره أن يمد الله في عمره ، وأن يبسط في رزقه ، فليصل
 رحمه . فان الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق ، تقول : يارب ، صل من
 وصلني ، واقطع من قطعني . فالرجل ليرى بسبيل خير اذا أتته الرحم التي
 قطعها ، فتهوى به الى أسفل قعر في النار » .

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « صلوا أرحامكم ولو بالتسليم ،
 يقول الله تعالى : واتقوا الله الذي تساملون به والأرحام ، إن الله كان
 عليكم رقيباً ، . وقال الباقر - عليه السلام - : « إن الرحم متعلقة يوم القيامة
 بالعرش ، تقول : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ، . هذا تمثيل
 للمعقول بالمحسوس ، واثبات لحق الرحم على أبلغ وجه ، وتعلقها بالعرش
 كناية عن مطالبة حقها بمشهد من الله . وقال عليه السلام : « صلة الأرحام تحسن
 الخلق ، وتسمح الكف ، وتطيب النفس ، وتزيد في الرزق ، وتنسى في
 الأجل ، . وقال : « صلة الأرحام تزيك الأعمال ، وتنمى الأموال ، وتدفع
 البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسى في الأجل ، . وقال الصادق عليه السلام : « صلة
 الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا أرحامكم وبروا
 باخوانكم ، ولو بحسن السلام ورد الجواب ، . وقال - عليه السلام - :
 « صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ، وهي منسأة في العمر ، وتقي
 مصارع السوء ، . وقال - عليه السلام - : « صلة الرحم وحسن الجوار
 يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » . وقال - عليه السلام - : « ما نعلم شيئاً

يزيد في العمر إلا صلة الرحم ، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين ، فيكون وصولاً للرحم ، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة ، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة . ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة ، فيكون قاطعاً للرحم ، فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة ، ويجعل أجله الى ثلاث سنين ، (١) . والأخبار الواردة في فضيلة صلة الرحم وعظم مشروباته أكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه كاف لتنبه الغافل .

تنبيه

(المراد بالرحم)

المراد بالرحم الذي يحرم قطعه وتجب صلته ، ولو وهب له شيء لا يجوز الرجوع عنه ، هو مطلق القريب المعروف بالنسب ، وإن بعدت النسبة وجاز النكاح . والمراد بقطعه أن يؤذيه بالقول أو الفعل ، أو كان له شدة احتياج الى ما يقدر عليه زيادة على قدر حاجته ، من سكنى وملبوس وما كول فيمنعه ، أو أمكنه أن يدفع عنه ظلم ظالم ولم يفعل ، أو هاجره غيظاً وحقداً من دون أن يعود إذا مرض ، أو يزوره إذا قدم من سفر ، وأمثال ذلك . فان جميع ذلك وأمثالها قطع للرحم . وأضدادها ، من دفع الأذية ، ومواساته بماله ، وزيارته ، وإعانتته باللسان واليد والرجل والجاه وغير ذلك ، صلة .

ثم الظاهر تحقق الوساطة بين القطع والصلة ، إذ كل احسان ، ولو كان مما لا يحتاج اليه قريبه وهو محتاج اليه ، يسمى صلة ، وعدمه لا يسمى قطعاً .

(١) صححنا الأخبار هنا كلها على (اصول الكافي) : باب صلة الرحم . وعلى

ومنها:

عقوق الوالدين

وهو أشد أنواع قطيعة الرحم ، إذ أخص الأرحام وأمسها ما كان بالولادة ، فيتضاعف تأكيد الحق فيهما ، فهو كقطيعة الرحم ، إما يكون ناشئاً من الحقد والغیظ ، أو من البخل وحب الدنيا ، فيكون من رذائل إحدى قوتی الغضب والشهوة . ثم جميع ما يدل على ذم قطيعة الرحم يدل على ذم العقوق ، ولـكونه أشد أنواع القطيعة وأفظعها ، وردت في خصوص ذمه آيات وأخبار أخر كثيرة ، كقوله تعالى :

« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْمَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا » (١) .

وقول رسول الله ﷺ: « كن باراً واقصر على الجنة ، وإن كنت عاقاً فاقصر على النار » . وعن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ في كلام له : إياكم وعقوق الوالدين ، فإن ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام ، ولا يجدها عاق ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زان ، ولا جار إزاره خيلاء . إنما الكبرياء لله رب العالمين » . وقوله ﷺ : « من أصبح مستخفاً لا بويه ، أصبح له بابان مفتوحان الى النار » . وعن أبي جعفر - عليه السلام - قال : « ان أبي - عليه السلام - نظر الى رجل ومعه ابنة يمشى والابن متكئ على ذراع

الآب، قال: فما كلمه أبي مقتناً له حتى فارق الدنيا . وقال الصادق عليه السلام: «من نظر الى أبويه نظر مامت ، وهما ظالمان له ، لم يقبل الله له صلاة . » وقال الصادق - عليه السلام - : « إذا كان يوم القيامة ، كشف غطاء من أعطية الجنة ، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام ، إلا صنفاً واحداً ، فقيل له : من هم ؟ قال : « العاق لوالديه . » وقال - عليه السلام - : « لو علم الله شيئاً هو أدنى من اف لنهى عنه ، وهو من أدنى العقوق . ومن العقوق أن ينظر الرجل الى والديه فيجد النظر اليهما ، (١) . وسئل السكاظم عليه السلام عن الرجل يقول لبعض ولده : «أبي أنت وأمى ا أو بأبوى أنت ا أترى بذلك بأساً ؟ فقال : « إن كان ابواه حين فأرى ذلك عقوقاً ، وإن كانا قد ماتا فلا بأس . »

والأخبار في ذم العقوق أكثر من أن تحصى ، وورد في بعض الأخبار القدسية : « بعزتي وجلالى وارتفاع مكاني ! لو أن العاق لوالديه يعمل باعمال الأنبياء جميعاً لم أقبلها منه . » وروى أيضاً : « أن أول ما كتب الله في اللوح المحفوظ : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، من رضى عنه والداه فانا منه راض ، ومن سخط عليه والداه فانا عليه ساخط . » وقد ورد عن رسول الله أنه قال : « كل المسلمين يروني يوم القيامة ، إلا عاق الوالدين ، وشارب الخمر ، ومن سمع اسمي ولم يصل علي . » وقد ثبت من الأخبار والتجربة ، أن دعاء الوالد على ولده لا يرد ويستجاب ألبتة . ودلت الأخبار على أن من لا ترضى عنه امه تشتد عليه سكرات الموت وعذاب القبر . وكفى للعقوق ذماً أنه ورد في الاسرائيليات : « أنه تعالى أوحى الى موسى : أن من بر

(١) صححنا الاحاديث كلها على (اصول السكاكي) : باب العقوق . وعلى (مستدرك

الوسائل) : ٢ / ٦٣١ كتاب النكاح . وعلى (الوسائل) : كتاب النكاح .

والديه وعقني كتبته برآ ، ومن برني وعق والديه كتبته عاقاً .

وصل

(بر الوالدين)

ضد العقوق (بر الوالدين) والاحسان اليهما ، وهو أفضل القربات ، وأشرف السعادات . ولذلك ورد ما ورد من الحث عليه ، والترغيب اليه . قال الله سبحانه :

« وَانخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » (١) . وقال : « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله » . وقال ﷺ : « من أصبح مرضياً لا بويه ، أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة » . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن رجلاً أتى الى النبي - صلى الله عليه وآله - فقال : يا رسول الله أوصني . فقال : لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وعذبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان ، والديك فأطعهما وبرهما حين كانا أو ميتين وإن امرأك ، أن تخرج من أهلك ومالك فافعل ، فان ذلك من الايمان » . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « جاء رجل وسأل النبي ﷺ عن بر الوالدين . فقال : ابرر امك ، ابرر امك ابرر امك ابرر اباك ابرر اباك ابرر اباك ، بالام قبل الأب .

وعن ابي عبد الله - عليه السلام - قال : « جاء رجل الى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، من أبر ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : أبك . » و اتاه رجل آخر وقال : « إني رجل شاب نشيط ، وأحب الجهاد ، ولي والدة تكره ذلك . فقال له النبي - صلى الله عليه وآله - : ارجع فكن مع والدتك ، فوالذي بعثني بالحق لا أنسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة . » وقال ابو عبد الله ﷺ : « إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أتته اخت له من الرضاعة ، فلما نظر اليها سربها ، وبسط ملحفته لها ، فاجلسها عليها ، ثم أقبل يتحدثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت فذهبت وجاء أخوها ، فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل له : يا رسول الله ، صنعت باخته ما لم تصنع به وهو رجل ، فقال : لأنها كانت أبر بالديها منه . »

وقيل للمصدق - عليه السلام - : « أي الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها ، وبر الوالدين ، والجهاد في سبيل الله . » وقال له ﷺ رجل : « إن أبي قد كبر جداً وضعف ، فنحن نحمله إذا اراد الحاجة . فقال : إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل ، واقمه بيديك ، فانه جنة لك غداً . » وقال له ﷺ رجل : « إن لي أبوين مخالفين . فقال : برهما كما تبر المسلمين ممن يتولانا ، . وقال رجل للرضا - عليه السلام - : « أدعو لوالدي إذا كانا لا يعرفان الحق ؟ قال : ادع لهما وتصدق عنهما ، وان كانا حين لا يعرفان الحق فدارهما فان رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال : إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق . » وقد وردت أخبار أخر في الأمر بالبر والاحسان الى الوالدين ، وإن كان على خلاف الحق . وقال - عليه السلام - : « ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حين وميتين ، ويصلي عنهما ، ويتصدق عنهما ،

ويج عنهما ، ويصوم عنهما ، فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك ،
فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيراً كثيراً (١) .

والأخبار في ثواب بر الوالدين غير محصورة . فينبغي لكل مؤمن أن
يكون شديد الاهتمام في تكريمهما وتعظيمهما واحترامهما ، ولا يقصر في
خدمتهما ، ويحسن صحبتتهما ، وألا يتركهما حتى يسألاه شيئاً مما يحتاجان إليه ،
بل يبادر إلى الاعطاء قبل أن يفتقر إلى السؤال ، كما ورد في الأخبار ، وإن
أضجراه فلا يقل لهما أف ، وإن ضرباه لا يعبس وجهه ، وقال لها : غفر
الله لكما ، ولا يملأ عينيه من النظر إليهما إلا برحمة ورقة ، ولا يرفع صوته
فوق صوتهما ، ولا يده فوق أيديهما ، ولا يتقدم قدامهما ، بل ممهما
أمكن له لا يجلس عندهما ، وكلما بالغ في التذلل والتخضع كان أجره أزيد
وثوابه اعظم .

وبالجملة : اطاعتها واجبة وطلب رضاها حتم ، فليس للولد أن
يرتكب شيئاً من المباحات والمستحبات بدون اذنها ، ولذا أفتى العلماء بأنه
لا تجوز المسافرة في طلب العلم إلا باذنها ، إلا إذا كان في طلب علم الفرائض ،
من الصلاة والصوم واصل العقائد ، ولم يكن في بلده من يعلمه ، ولو كان
في بلده من يعلمه لم تجز المسافرة . وقد روى : د أن رجلاً هاجر من اليمن
إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله - وأراد الجهاد ، فقال له : ارجع إلى
أبيك فاستأذنها ، فإن أذنا جاهد ، وإلا فبرهما ما استطعت ، فإن ذلك
خير مما كلف به بعد التوحيد . وجاء آخر إليه للجهاد ، فقال : «ألك والدة؟»

(١) صححنا الأحاديث كلها على (أصول الحنفى) : باب بر الوالدين . وعلى

(الوسائل) : كتاب النكاح أبواب أحكام المصرة ، باب وجوب بر الوالدين ، وباب وجوب
بر الوالدين برين كانا أو فاجرين ، وباب جملة من حقوق الوالدين . وعلى (المستدرک)
٦٢٨ / ٣ . كتاب النكاح .

قال: نعم اقال : « فالزمها ، فان الجنة تحت قدمها . وجاء آخر ، وطلب البيعة على الهجرة الى الجهاد ، وقال : ما جئتك حتى ابكيت والدي . قال : « ارجع اليهما ، فأضحكهما كما ابكيتهما . . ولو وقعت بين الوالدين مخالفة ، بحيث توقف رضى احدهما على سخط الآخر ، فينبغي أن يجتهد في الاصلاح بينهما بأى طريق امكن ، ولو بالعرض الى فقيه البلد حتى يطلبها ويعظها ويقبضها على الوفاق ، لئلا ينكسر خاطر أحدهما منه .

واعلم أن حق كبير الأخوة على صغيرهم عظيم ، فينبغي محافظته . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده . .

ترتيب

(حق الجوار)

حق الجوار قريب من حق الرحم ، إذ الجوار يقتضى حقاً وراه ما تقتضيه اخوة الاسلام ، فيستحق الجوار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة ، فن قصر في حقه عداوة أو بخلاً فهو آثم . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « الجيران ثلاثة : فمنهم من له ثلاثة حقوق : حق الجوار ، وحق الاسلام ، وحق القرابة . ومنهم من له حقان : حق الاسلام ، وحق الجوار . ومنهم من له حق واحد : الكافر له حق الجوار . . فانظر كيف اثبت للكافر حق الجوار . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذ جاره . . وقال صلى الله عليه وآله : « لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه . . وقيل له - صلى الله عليه وآله - : « فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق ، وتؤذى جارها

بلسانها . فقال ﷺ : لا خير فيها ، هي من أهل النار . وعن علي رضي الله عنه :
 « إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - كتب بين المهاجرين والأنصار ومن
 لحق بهم من أهل يثرب : أن الجار كالنفس ، غير مضار ولا آثم ، وحرمة
 الجار على الجار كحرمة أمه . وقال الصادق رضي الله عنه : « حسن الجوار زيادة في الأعمار
 وعمارة في الديار . » وقال - عليه السلام - : « ليس منا من لم يحسن مجاورة
 من جاوره . » وقال - عليه السلام - : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - :
 ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع . » وقال : « إن يعقوب رضي الله عنه
 لما ذهب عنه بنيامين ، نادى : يارب أما ترحمني ، اذهب عيني واذهب
 ابني ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : لو امتها لآحييتها لك ، اجمع بينك
 وبينهما ، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت ، وفلان إلى جانبك
 صائم لم تنله منها شيئاً . » وفي رواية أخرى : « فكان بعد ذلك يعقوب ينادى
 مناديه كل غداة ومساء من منزله على فرسخ : ألا من أراد الغداء أو العشاء
 فليأت إلى يعقوب ، (١) . وفي بعض الأخبار (٢) : « أن الجار الفقير يتعلق
 بجاره الغني يوم القيامة ، ويقول : سل يارب هذا لم تمنعني معروفه وسد
 بابه دوني ؟ » .

تسميم

(حدود الجوار وحقه)

معرفة الجوار موكولة إلى العرف ، فأى دار يطلق عليها الجار عرفاً

(١) صححنا الأحاديث هنا على (اصول السكاني) : باب حسن الجوار . وعلى
 (المستدرك) : ٢ / ٧٨ و ٧٩ . وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، أبواب أحكام العمرة ،
 الباب ٨٥ - ٨٨ .

(٢) هذا كلام ذكره في (أحياء العلوم) : ٢ / ١٨٩ بعد قوله : « إذ يقال » .

يلزم مراعاة حقوق أهلها . والمستفاد من بعض الأخبار : أن كل أربعين داراً من كل واحد من الجوانب الأربعة جيران . ثم لا ينحصر حق الجار في مجرد كف الأذى ، إذ ذلك يستحقه كل أحد ، بل لا بد من الرفق واهداء الخير والمعروف ، وتشريكه فيما يملكه ويحتاج إليه من المطاعم ، كما ظهر من بعض الأخبار المتقدمة . وينبغي أن يبدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثّر عن حاله السؤال ، ويعوده في المرض ، ويعزّيه في المصيبة ، ويقوم معه في العزاء ، ويهنئه في الفرح ، ويصفح عن زلاته ، ويستمر ما اطلع عليه من عوراته ، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ، ولا في صب الماء في ميزابه ، ولا في مطرح التراب في فنائه ، ولا في المرور عن طريقه ، ولا يمنع ما يحتاج إليه من الماعون ، ويغض بصره عن حرمه ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ويتلطف لأولاده في كلمته ، ويرشده إلى ما يصلحه من أمر دينه ودنياه ، وإن استعان به في أمر أعانه ، وإن استقرضه أقرضه ، ولا يستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح ، إلا باذنه ، وإذا اشترى شيئاً من لذائذ المطاعم وطرفها فليهد له ، وإن لم يفعل فليدخلها بيته سرّاً ، ولا يخرج بها أولاده حتى يطلع عليها بعض أولاد جاره ، فيشتهيه وينكسر لذلك خاطره .

ومنها :

طلب العثرات

وتجسس العيوب والعورات وإظهارها . ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحسد ، وربما حدث في القوة الشهوية رداة توجب الاهتزاز

والانبساط ، من ظهور عيب بعض المسلمين ، وإن لم يكن عداوة
وحقداً ، كما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كريمة ولكن عين السخط تبدى المساويا
ومن تصفح الآيات والأخبار ، يعلم أن من يتبع عيوب المسلمين
ويظهرها بين الناس أسوأ الناس وأخبثهم ، قال الله تعالى :

« وَلَا تَجَسَّسُوا » (١). وقال : « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ

تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (٢).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من أذاع فاحشة كان
كمتدائها ، ومن غير مؤمناً بشيء ، لم يمت حتى يرتكبه » . وقال صلى الله عليه وآله :
« كل امتي معافي ، إلا المجاهرين » ، والمجاهرة أن يعمل الرجل سوءاً فيخبر
به . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من استمع خبر قوم وهم له كارهون ،
صبت في أذنيه الآنك يوم القيامة » . عن أبي جعفر - عليه السلام - قال :
« قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه الا لا تتبعوا
عثرات المسلمين ، فانه من يتبع عثرات المسلمين يتبع الله عثراته ، ومن تتبع
الله عثراته يفضحه » . وقال الباقر عليه السلام : « من اقرب ما يكون العبد الى
المكفر ان يؤاخى الرجل الرجل على الدين ، فيحصى عليه زلاته ليعيره بها
يوماً ما » . وقال الصادق - عليه السلام - : « من أنب مؤمناً أنه الله عز وجل
في الدنيا والآخرة » . وقيل للصادق - عليه السلام - : « شيء يقوله الناس ،
عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ فقال : ليس حيث تذهب ، إنما عورة
المؤمن ان يراه يتكلم بكلام يعاب عليه فيحفظه عليه ليعيره به يوماً اذا

غضب ، . وقال الباقر - عليه السلام - : « قال رسول الله ﷺ : إن أسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي . وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعنى عنه ، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه ، وأن يؤذى جليسه بما لا يعينه » (١) . والأخبار الواردة بأمثال هذه المضامين كثيرة .

وصل

(ستر العيوب)

ضد كشف العيوب سترها واخفاؤها ، وهو من أعظم شعب النصيحة ، ولا حد لثوابه ، كما يستفاد من الأخبار الكثيرة . قال رسول الله ﷺ : « من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة » . وقال ﷺ : « لا يستر عبد عيب عبد إلا ستره الله يوم القيامة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه ، إلا دخل الجنة » . وكفى بستر العيوب فضلاً أنه من أوصاف الله سبحانه ، ومن شدة اعتنائه بستر الفواحش انما ثبوت الزنا - وهو أخفها - بما لا يمكن اتفاهه إلا نادراً ، وهو مشاهدة أربعة عدول كالميل في المكحلة . فانظر الى أنه تعالى كيف اسبل الستر على العصاة من خلقه في الدنيا ، بتضييق الطرق المؤدية الى كشفه . ولا تظن أنك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر ، فقد ورد في الحديث : « أن الله تعالى إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة ، وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها

(١) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافي) : باب من طلب عثرات المؤمنين

وعوراتهم وعلى (الوسائل) : ابواب احكام المصرة ، الباب ١٥٠ . وعلى (المستدرک) :

٢ / ١٠٤ . وعلى (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١٧٥ ، باب تتبع عيوب الناس وافشائها .

أخرى ، . وورد أيضاً : « أنه يؤتى يوم القيامة بعبد يبكى ، فيقول الله سبحانه له : لم تبكى ؟ فيقول : أبسكى على ما سينكشف عني من عوراتي وعيوبي عند الناس والملائكة . فيقول الله : عبدى ما أفتضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك ، وأنت تعصينى وتضحك ! فكيف أفضحك اليوم بكشفها وأنت تعصينى وتبكى ! ، . وفي خبر آخر : « أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - يطلب يوم القيامة من الله سبحانه ألا يحاسب أمته بحضرة من الملائكة والرسل وسائر الأمم ، لئلا تظهر عيوبهم عندهم ، بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه ، وسواه - صلى الله عليه وآله - ، فيقول الله سبحانه : يا حبيبي ، أنا أرأف بعبادى منك ، فاذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك ، فأنا أكره كشفها عندك أيضاً ، فاحاسبهم وحدى بحيث لا يطلع على عثراتهم غيرى ، .

فاذا كانت عناية الله سبحانه فى ستر عيوب العباد بهذه المثابة ، فأنى لك أيها المسكين المبتلى بأنواع العيوب والمعاصى ، تسعى فى كشف عيوب عباد الله ، مع أنك مثلهم فى الاتصاف بأنواع العيوب والعثرات ! وتأمل أنه لو أظهر أحد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك ، فقس عليه حال غيرك من تكشف أنت بعض فواحشه . وقد ثبت ووضح من الأخبار والتجربة : أن من يفضح يفتضح . فيا حبيبي ، ترحم على نفسك وتأس بربك ، فاسبل الستر على عيوب غيرك .
ومنها :

افسأ السر

وإذا عته . وهو اعم من كشف العيب . إذ السر قد يكون عيباً وقد

لا يكون بعيد ، ولكن في افشائه ايذاء واهانة بحق الأصدقاء أو غيرهم من المسلمين ، وهو من رذائل قوة الغضب إن كان منشأه العداوة ، ومن رذائل قوة الشهوة إن كان منشأه تصور نفع مالى ، أو مجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها ، وهو مذموم منهي عنه . قال رسول الله ﷺ : « إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت ، فهى أمانة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الحديث بينكم أمانة » . وورد : « أن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك » . وقال عبد الله بن سنان للصادق - عليه السلام - : « عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ فقال : نعم ! قلت : يعنى سفلته ؟ قال : ليس حيث تذهب ، إنما هو اذاعة سره » (١) .

فصل

(كتمان السر)

ضد إفشاء السر كتمانته ، وهو من الأفعال المحمودة ، وقد أمر به في الأخبار . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « طوبى لعبد نومة ، عرفه الله ولم يعرفه الناس ، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ، تنجلي عنهم كل فتنة مظلمة ، ليسوا بالمذاييع البذر ، ولا الجفأة المرائين » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « طوبى لعبد نومة ، لا يؤبه له ، يعرف الناس ولا يعرفه الناس ، يعرفه الله منه برضوان ، أولئك مصابيح الهدى ، تنجلي عنهم كل فتنة ، ويفتح لهم باب كل رحمة ، ليسوا بالبذر المذاييع ، ولا الجفأة المرائين » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « قولوا الخير تعرفوا به ، واعملوا الخير تكونوا من أهله ، ولا تكونوا مجلا مذاييع .

(١) صححنا الأحاديث على البحار : ٤ / ١٧٥ مج ١٥ ، باب تتبع عيوب الناس .

فان خياركم الذين اذا نظر اليهم ذكر الله ، وشراركم المشاؤون بالنميمة ،
المفروقون بين الاحبة ، المبتغون للبراء المعاييب ، (١) .

تفسير

(النميمة)

النميمة تطلق في الأكثر على أن يتم قول الغير الى المقول فيه ، كأن
يقال : فلان تكلم فيك بكذا وكذا ، أو فعل فيك كذا وكذا . وعلى
هذا تكون نوعاً خاصاً من افشاء السر وهتك الستر ، وهو الذي يتضمن
فساداً أو سعاية . وقد تطلق على ما لا يختص بالمقول فيه ، بل على كشف
ما يكره كشفه ، سواء كره المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث ،
وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو بالرمز والايحاء ، وسواء كان
المنقول من الاعمال أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على
المنقول عنه أو لم يكن . وعلى هذا يكون مساومة لافشاء السر وهتك الستر .
وحينئذ فكل ما يرى من احوال الناس ولم يرضوا بافشائه ، فاذا عته نميمة .
فاللازم على كل مسلم أن يسكت عما يطلع عليه من احوال غيره ، إلا اذا
كان في حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصية . كما اذا رأى أحداً يتناول مال
غيره ، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، واما اذا رآه يخفي مالا
لنفسه ، فخبايته نميمة وافشاء للسر .

ثم الباعث على النميمة يكون غالباً ارادة السوء بالحكي عنه ، فيكون
داخلاً تحت الايذاء ، وربما كان باعته اظهار المحبة للحكي له ، أو التفريخ

(١) صححنا الاحاديث كلها على (البحار) : ج ٤ مج ١٥ : باب فضل كتمان السر .

وعلى (أصول الكافي) : باب كتمان السر ، وباب الرواية على المؤمن .

بالحديث ، أو الخوض في الفضول . وعلى أى تقدير ، لا ريب فى أن النيمة أرذل الأفعال القبيحة وأشنعها . وماورد فى ذمها من الآيات والأخبار لا يحصى كثرة ، قال الله سبحانه :

« هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَاعٍ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ » (١) .

والزنيمة : هو ولد الزنا . فيستفاد من الآية : أن كل من يمشى بالنيمة فهو ولد الزنا . وقال سبحانه :

« وَيَلِدُ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لُمُزَةً » (٢) : أى النمام المغتاب .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « لا يدخل الجنة نمام » . وفى خبر آخر : « لا يدخل الجنة قتات » : أى النمام . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أحبكم الى الله أحسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يالفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم الى الله المشاؤون بالنيمة ، المفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبراء العثرات » (٣) . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ألا انبشكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : المشاؤون بالنيمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء المعاييب » (٤) . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من اشار على مسلم كلمة ليثينه بها فى الدنيا بغير حق ، شانه الله فى النار يوم

(١) القلم ، الآية : ١١ - ١٣ .

(٢) الهدزة ، الآية : ١ .

(٣) صححنا الحديث على (المستدرک) : ١١١ كتاب الحج .

(٤) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العمرة ، الباب

١٦٤ . وعلى (المستدرک) : ١١٠ كتاب الحج . وعلى (اصول الكافي) : باب النيمة .

القيامة . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أيام رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله أن يدينه بها يوم القيامة في النار ، . وقال عليه السلام : « إن الله لما خلق الجنة قال لها : تكلمي ، قالت : سعد من دخلني . قال الجبار جل جلاله : وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : لا يسكنك مدمن خمر ، ولا مصر على الزنا ، ولا قتات - وهو النمام - ، ولا ديوث ، ولا شرطى ، ولا مخنث ، ولا قاطع رحم ، ولا الذى يقول على عهد الله أن أفعل كذا وكذا ثم لم يف به ، . وقال الباقر - عليه السلام - : « الجنة محرمة على المغتائب المشائين بالنميمة » . وقال - عليه السلام - : « يحشر العبد يوم القيامة وما ندا دماً (١) ، فيدفع اليه شبه المحجمة أو فوق ذلك ، فيقال له : هذا سهمك من دم فلان ، فيقول : يارب ، انك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً ، فيقول : بلى ، سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه ، فنقلت حتى صارت الى فلان الجبار فقتله عليها ، وهذا سهمك من دمه » . وقال الصادق عليه السلام : « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس ، أخرج الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ، ولا يقبله الشيطان » (٢) .

(١) قال في مجمع البحرين - مادة (ندا) - : « فلان ماندا دماً ولا قتل قتلا : أى ما سفك دماً » . وقد كتبت كلمة (ندا) في جميع ما وجدناه من الكتب بالانف ، وعسى أن تكون بالياء هكذا (ندى) كرضى . واحتمل في الواقع أن تكون (ندى) بتشديد الدال ، وذكر احتمالات كثيرة ، فراجعها وقد روي في (الوسائل) - كتاب الحج ، أبواب احكام العمرة ، الباب ١٦٣ - مثل هذا الحديث عن (الشيخ الطوسي) ، وقد جاء فيه : « وما ادعى دماً » . أما الحديث المذكور هنا ، فقد صحناه على (اصول السكاني) باب الاذاعة .

(٢) صحننا الحديث على (الوسائل) : كتاب الحج ، أبواب احكام العمرة ، الباب

٢٥٧ . وعلى (اصول السكاني) : باب الرواية على المؤمن .

وروى : « انه اصاب بنى اسرائيل قحط ، فاستسقى موسى مرات ، فما اجيب . فأوحى الله تعالى اليه : إني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النيمة . فقال موسى : يارب ، من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ فقال : يا موسى ، انهاكم عن النيمة واكون نماماً ؟ فتأبوا باجمعهم ، فسقوا . »
وروى : « أن ثلث عذاب القبر من النيمة . »

ومن عرف حقيقة النيمة ، يعلم أن النمام شر الناس واخبثهم ، كيف وهو لا ينفك من الكذب ، والغيبة ، والغدر ، والخيانة ، والغل ، والحسد ، والنفاق ، والإفساد بين الناس ، والخديعة . وقد قال الله سبحانه :
« وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ

في الأرضِ » (١) .

والنمام يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسد في الأرض .
وقال الله :

« إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي

الأرضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » (٢) . والنمام منهم .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع ، أي قاطع بين الناس ، والنمام قاطع بينهم . وقال ﷺ : « شر الناس من اتقاه الناس لشره ، : والنمام منهم ، والنمام أعظم شراً من كل أحد . »

نقل : أن رجلاً باع عبداً ، فقال للمشتري : ما فيه عيب إلا النيمة ، قال رضيت . فاشتراه ، فكسب الغلام اياماً ، ثم قال لزوجته مولاه : إن

زوجك لا يحبك ، وهو يريد أن يتسرى عليك ، وانا اسجره لك في شعره ، فقالت : كيف اقدر على أخذ شعره ؟ فقال : اذا نام نخذي الموسى واحلتي من قفاه عند نومه شعرات . ثم قال للزوج : إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك ، فتناوم لها حتى تعرف . فتناوم فجاءته المرأة بالموسى ، فظن أنها تقتله ، فقام وقتلها ، فجاء أهلها وقتلوا الزوج ، فوقع القتال بين القبيلتين ، وطال الأمر بينهم .
ثم يلزم على من تحمل اليه النيمة ألا يصدق النمام ، لأنه فاسق ، والفاسق مردود الشهادة بقوله تعالى :

« إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا » (١)

وأن ينهاه عن ذلك ، وينصحه ويقبح له فعله ، لقوله تعالى :

« وأُؤمّرُ بالمعروفِ وانهَ عن المنكرِ » (٢)

وأن يبغضه في الله ، لسكونه مبغوضاً عنده تعالى ، وألا يظن بأخيه سواً بمجرد قوله ، لقوله تعالى :

« اجتنبوا كثيراً من الظنِّ » (٣)

وَألا يحمل عمله على التجسس والبحث لتحقيق ما حكى له ، لقوله تعالى :
« ولا تجسسوا . . . وألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام ، فلا يحكى نيمته ، فيقول : فلان قد حكى كذا وكذا ، فيكون به نماماً ومفتاباً . وروى محمد بن فضيل عن الكاظم - عليه السلام - : « أنه قال له - عليه السلام - :

(٣) الحجرات ، الآية : ١٢ .

(١) الحجرات ، الآية : ٦ .

(٢) لقمان ، الآية : ١٧ .

جعلت فداك ! الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي اكرهه ، فاسأله عنه فينكر ذلك ، وقد أخبرني عنه قوم ثقات . فقال لي : يا محمد ، كذب سمعك وبصرك عن أخيك ، فان شهد عندك خمسون قسامة ، فقال لك قولاً ، فصدقه وكذبهم ، ولا تزيعن عليه شيئاً تشينه به وتمدم مروته ، فتكون من الذين قال الله :

« إِنَّ الَّذِينَ يَجْبُونَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » (١).

وقد روى عن أمير المؤمنين - عليه السلام - : « أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل ، فقال : يا هذا ، نحن نسأل عنك قلت ، فان كنت صادقاً مقتناً ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت أن نقبلك ألقناك . قال : اقلني يا أمير المؤمنين . » . ونقل : « أن رجلاً زار بعض الحكماء ، واخبره بخبر عن غيره ، فقال : قد ابطأت عنى الزيارة ، وبغضت إلي أخى ، وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمانة . » .

تتم

(السعاية)

السعاية هي النيمة ، بشرط كون المحكي له من يخاف جانبه ، كالمسلاطين والأمراء والحكام والرؤساء وأمثالهم ، فهي أشد أنواع النيمة إثمًا ومعصية ، وهي أيضاً تكون من العداوة ومن حب المال وطمعه ، فتكون من رداة

(١) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العمرة ،

الباب ١٥٧ . والآية من سورة النور : ١٩ .

القوتين وخبائثهما . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « الساعى بالناس الى الناس لغير رشده » : يعنى ليس ولد حلال . وذكرت السعاة عند بعض الأكارب ، فقال : ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة إلا منهم ؟ ومنها :

الافساد بين الناس

وهو فى الأكثر يحصل بالنميمة ، وإن لم يوجب كل نميمة افساداً . ولا ريب فى كونه من المهلكات المؤدية الى النار ، قال الله سبحانه :

« الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » (١).

وقال رسول الله ﷺ : « إن فساد ذات البين هى الحالقة » .

وصل

(الاصلاح)

وضده الاصلاح بين الناس ، وهو أعظم أفراد النصيحة ، ولا غاية لمثوبته عند الله . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أفضل الصدقة اصلاح ذات البين » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » . وقال ﷺ : « ليس

بكذب من اصلح بين اثنين فقال خيراً . وقال ﷺ: « كل الكذب مكتوب ، إلا أن يكذب الرجل في الحرب ، فان الحرب خدعة ، أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما . . . وقال الصادق - عليه السلام - : « صدقة يحبها الله تعالى اصلح بين الناس اذا تفسدوا ، وتقارب بينهم اذا تباعدوا . » وقال - عليه السلام - للمفضل : « إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة ، فافتدها من مالي . » وقال - عليه السلام - لابن عمار : « ابلغ عنى كذا وكذا في اشياء أمر بها . فقال له ابن عمار : فابلغهم عنك ، وأقول عنى ما قلت لي وغير الذى قلت ؟ قال : نعم ! إن المصلح ليس بكذاب . » وقال ﷺ : « المصلح ليس بكاذب ، (١) : يعنى اذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الاصلاح لم يعد كلامه كذباً . وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس ، لأن ترك الكذب واجب ، ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه .

ومنها :

الشَّامَاتُ

وهو إظهار أن ما حدث بغيره من البلية والمصيبة إنما هو من سوء فعله واساءته ، والغالب صدوره عن العداوة أو الحسد . وعلامته أن يكون مع فرح ومسرة ، وربما صدر عن رداة القوة الشهوية ، بأن يهتز به ويميل إليه ، مع جهله بمواقع القضاء والقدر ، وإن لم يكن معه حقد وحسد . والتجربة والأخبار شاهدان على أن كل من شتمت بمسلم في مصيبة لم يخرج من

(١) صححنا الاحاديث عن الصادق - عليه السلام - على (اصول الكافي) : باب

الاصلاح بين الناس وصححنا النبويات على (كنز العمال) : ٢ / ٤٤ ، ١٢٨ .

الدنيا حتى يتبلى بمثلها ويشمت به غيره فيها . قال الصادق - عليه السلام - :
 « لا تبدي الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويحملها بك ، . وقال - عليه السلام - :
 « من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن ، (١) . على أن
 كل بلية ومصيبة ترد على مسلم يمكن أن تكون كفارة لذنوبه أو باعثاً لرفع
 درجاته واعتلاء مرتبته في دار الآخرة .

والدليل على ذلك : أن أعظم البلايا والمصائب موكلة بالأنبياء ، ثم
 بالاولياء ، ثم بالأمثل فالأمثل في درجات الاعتلاء . ولا ريب في أن ورود
 المصائب والمحن عليهم ليس من سوء فعلهم وإساءتهم . فينبغي لسلك عاقل أن
 يتأمل (أولاً) أن الشماتة بمسلم بمصيبة لا ينفك في الدنيا من ابتلائه بمثلها ،
 (وثانياً) أنها إيذاء لأخيه المسلم ، فلا ينفك عن العذاب في الآخرة ،
 (وثالثاً) ان نزول هذه المصيبة به لا يدل على سوء حاله عند الله ، بل
 الأرجح دلالاته على حسن حاله وتقربه عند الله سبحانه . فليحافظ على نفسه
 عن ابداء الشماتة لأحد من المسلمين ، ويخوف من يراه من الشماتين عن
 عقوبة العاجل وعذاب الآجل .

ومنها :

المراء والجدال والخصومة

إعلم ان المراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه ، من غير غرض
 سوى تحقيره واهانتة ، واظهار تفوقه وكياسته . والجدال مراء يتعلق
 باظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها . والخصومة لجاج في الكلام لا ستيفاء
 مال أو حق مقصود ، وهذه تكون تارة ابتداءً وتارة اعتراضاً ، والمراء

(١) صححنا الحديثين علي (اصول السكاني) : باب الشماتة .

لا يكون إلا اعتراضاً على كلام سبق ، فالمرء داخل تحت الايذاء ، ويكون ناشئاً من العداوة أو الحسد . وأما الجدال والخصومة ، فربما صدرا من أحدهما أيضاً ، وربما لم يصدرا منه .

وحينئذ ، فالجدال إن كان بالحق — أى تعلق باثبات احدى العقائد الحقة — وكان الغرض منه الارشاد والهداية ، ولم يكن الخصم لدوداً عنوداً ، فهو الجدال بالأحسن ، وليس مذموماً ، بل بمدوح معدود من الثبات فى الايمان الذى هو من نتائج قوة المعرفة وكبر النفس ، قال الله سبحانه :

« وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (١)

وإن لم يكن بالحق ، فهو مذموم اقتضته العصبية أو حب الغلبة أو الطمع المالى ، فيكون من رذائل القوة الغضبية أو الشهوية ، وربما أورث شكوكاً وشبهات تضعف العقيدة الحقة ، ولذا نهى الله سبحانه عنه وذم عليه ، فقال :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى »

« وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ » (٢). وقال : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ » (٣).

والخصومة أيضاً إن كانت بحق ، أى كانت بما يتوقف عليه استيفاء مال أو حق ثابت ، فهى بمدوحة معدودة من فضائل القوة الشهوية ، وإن كانت بباطل ، أى تعلقت بما يدعيه كذباً أو بلا علم ويقين ، فهى مذمومة معدودة من رذائلها . فالخصومة المذمومة تتناول المخاصمة فيما يعلم قطعاً عدم

(٣) الانعام ، الآية : ٦٨ .

(١) العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

(٢) الحج ، الآية : ٨ .

استحقاقه ، وفيما لا علم له بالاستحقاق ، كخصومة وكيل القاضى ، فانه قبل أن يعرف أن الحق فى أى جانب ، يتوكل فى الخصومة من أى جانب كان ، ويخاصم من غير علم وإيقان ، فمثل خيأط العثرات وركاب الشبهات ، يضرب بالمسلمين بلا غرض ، ويتحمل أوزار الغير بلا عوض ، فهو أخسر الناس اعمالاً وأعظمهم فى الآخرة أوزاراً ونكالاً . وتتناول أيضاً مخاصمة من يطلب حقه وليكنه لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والعناد فى الخصومة قصداً للسلط والإيذاء ، ومن يمزج بخصومته كلمة مؤذية لا يحتاج إليها فى اظهار الحق وبيان الحق ، ومن يحمله على الخصومة محض العناد بقهر الخصم وكسره مع استحقاقه لذلك القدر من المال ، وربما صرح بأن قصدى العناد والغلبة عليه وكسر عرضه ، وإذا أخذت منه هذا المال رميته ، ولا أبالى ، فمثل غرضه اللدد واللجاج .

فتنحصر الخصومة الجائزة بمخاصمة المظلوم الذى يطلب حقه وينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد وإيذاء ، مع الاقتصار على قدر الحاجة فى الخصومة من دون أن يتكلم بالزائد ولا بكلمات مؤذية ، ففعله ليس بحرام وإن كان الأولى تركه ما وجد اليه سبيلاً ، إذ ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر أو متعسر ، لأنها توغر الصدر ، وتميج الغضب ، وإذا هاج الغضب ذهب المتنازع فيه من البين ، واشتد الحقد بين المتخاصمين حتى يحزن كل واحد بمسرة صاحبه ويفرح بمسأته . فالخصومة مبدأ كل شر ، فينبغى ألا يفتح بابها إلا عند الضرورة على قدر الضرورة ، ولا يتعدى عن الواجب ، إذ أقل درجاتها تشوش خاطر ، حتى أنه فى الصلاة ليشتغل بمخاصمة الخصم ، ويتضمن الطعن والاعتراض ، أى

التجمل والتكذيب ، إذ من يخاصم غيره إما يجمله أو يكذبه ، فيكون آتياً بسوء الكلام ، ويفوت به ضده ، اعنى طيب الكلام ، مع ما ورد فيه من الثواب . وكذا الحال في المراء والجدال .

وبالجملة : المراء والجدال والخصومة ، سوى ما استثنى ، من ذمائم الأفعال ومبادئ اكثر الشرور والفتن ، ولذا ورد بها الذم الشديد في الأخبار قال رسول الله ﷺ : « من جادل في خصومة بغير علم ، لم يزل في سخط حتى ينزع » . وقال ﷺ : « إن أبغض الرجال الى الله الألد الخصم » . وقال ﷺ : « ما أنانى جبرئيل قط إلا وعظنى ، فآخر قوله لى : إياك ومشادة الناس ، فانها تكشف العورة وتذهب بالعز » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إياكم والمراء والخصومة ، فانهما يمرضان القلوب على الاخوان ، وينبت عليهما النفاق » . وقال على بن الحسين - عليهما السلام - : « ويل امة فاسقاً من لا يزال ممارياً ! ويل امة فاجراً من لا يزال مخاصماً ! ويل امة آثماً من كثير كلامه في غير ذات الله ! » . وقال الصادق عليه السلام : « لا تمارين حليماً ولا سفياً ، فان الحليم يغلبك والسفيه يؤذيك » . وقال : « إياك والمشادة ، فإنها تورث المعرفة وتظهر العورة » . وقال عليه السلام : « إياكم والخصومة ، فانها تشغل القلب ، وتورث النفاق ، وتكسب الضغائن » (١) . فمن تأمل في ما يدل على ذمها وسوء عاقبتها عقلاً ونقلًا — فمع عدم ترتب فائدة عليها ، وتذكر ما ورد في مدح تركها وفوائدها ، اعنى طيب الكلام — يسهل عليه ان يتركها ولا يحوم حولها .

(١) صححنا الأحاديث على (الكان) : باب المراء والخصومة . وعلى (الوسائل) :

كتاب الحج ، ابواب احكام العمرة ، الباب ١٣٥ و ١٣٦ . وعلى (احياء العلوم) : ١٠٢/٢ .

تنزيب

(علاج المرء)

طريق المعالجة في إزالة المرء والجدال والخصومة : أن يعلم انها توجب التباغض والمباينة ، وتزيل الإلفة والمحبة ، وتقطع الإلتيام والوحدة . ولا ريب في أن قوام النظام الأصلح بالإلتيام والوحدة ، كما اقتضته العناية الإلهية والحكمة الازلية ، والمباينة الراجعة الى الكثرة ينافيهما ، ولا ينبغي للعاقل أن يرتكب ما يضاد فعل الله وحكمته . وهذا هو العلاج العلمي ، وأما العملي ، فليواطب على ضد هذه الثلاثة ، أعنى طيب الكلام ، ويكلف نفسه عليه ، حتى يصير ملكة له وترتفع اضدادها عنه بالمرّة .

وصل

(طيب الكلام)

قد أشير الى أن ضد الرذائل الثلاث طيب الكلام ، وما ورد في مدحه وفي ثواب تركها أكثر من أن يحصى . قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من لقي الله تعالى بهن دخل الجنة من أى باب شاء : من حسن خلقه ، وخشى الله في المغيب والمحضر ، وترك المرء وإن كان محقاً ، . وقال ﷺ : « يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام ، . وقال ﷺ : « إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام ، . وقال ﷺ : « الكلمة الطيبة صدقة ، . وروي : « أن عيسى - عليه السلام - مر به خنزير . فقال : مر بسلامة . فقيل له : يا روح الله ، تقول هذا للخنزير ! فقال : اكره أن اعود لساني الشر ، . وقال بعض الحكماء : « الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح ، .

ومنها :

السخرية والاستهزاء

وهو محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم وخلقهم ، قولا وفعلا ، أو إيماء وإشارة ، على وجه يضحك منه . وهو لا ينفك عن الإيذاء والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص . وإن لم يكن ذلك بحضرة المستهزأ به ، فيتضمن الغيبة أيضاً . وباعثه إما العداوة أو التكبر واستصغار المستهزأ به ، فيكون من رذائل القوة الغضبية ، أو قصد ضحك الأغنياء وتنشيط قلوبهم ، طمعاً في بعض أوساخهم الملوثة ، وأخذ النبذ من حطامهم المحرمة ، ولا ريب في أنه صفة من لاحظ له في الدين ، وشيمة أراذل أحزاب الشياطين ؛ لأنهم يظهرون أكاذيب الأقوال ويرتكبون أعاجيب الأفعال ، يخلعون قلائد الحرية عن الرقاب ، ويهتكون أستار الحياء بمرأى من أولى الألباب ، يبتغون عيوب المؤمنين وعوراتهم ، ويظهرون نقائص المسلمين وعثراتهم ، يقلدون أفعال الأخيار على وجه يضحك الأشرار ، ويحاكون صفات الأبرار على أفصح الوجوه في الأنظار . ولا ريب في أن المرتكب لهذه الأفعال بعيد عن الإنسانية بمراحل ، ومستوجب لعقوبة العاجل وعذاب الآجل ، ولا يخلو ساعة عن الصغار والهوان ، ولا وقع له في قلوب أهل الإيمان ، وكفاه ذمًا أنه جعل تلك المعاصي الخبيثة وسيلة لتحصيل المال أو الواقع في قلوب أبناء الدنيا ، ويلزمه عدم اعتقاده بأن الله سبحانه هو المتكفل لأرزاق العباد . والطريق في دفعه — بعد التأمل في سوء عاقبته ، ووخامة خاتمته ، وفيما يلزمه من الذلة والهوان في الدنيا — أن يبادر إلى إزالة العداوة والتكبر إن كان باعثه ذلك ، وإن كان باعثه تنشيط قلوب أهل الدنيا طمعاً في مالهم ،

فليعلم أن لكل نفس ما قدر لها من الأموال والأرزاق ، يصل إليها من الله سبحانه ألبته ، فان من يتق الله ويتوكل عليه يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ويكون في الآخرة سعيداً ، وان أغواه الشيطان وحته على تحصيلها من المداخل الخبيثة ، لم يصل إليه أكثر مما قدر له ، وكان في الآخرة شقيماً .

وليعلم أيضاً أن المتوكل على الله والمتصف بالحرية ، لا يبدل التوكل والحرية بهذه الأفعال لأجل الوصول الى بعض خبائث الأموال ، فليعاتب نفسه ويزجرها بالمواعظ والنصائح ، ويتذكر ما ورد في الشريعة من ذم المستهزئين وتعذيبهم يوم القيامة بصورة الاستهزاء ، قال الله جل شأنه :

« لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ » (١) .

وقال ﷺ : « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة ، فيقال : هلم هلم ! فيجى بكر به وغمه ، فاذا أتى أغلق دونه ، ثم يفتح له باب آخر ، فيقال : هلم هلم ! فيجى بكر به وغمه ، فاذا أتى أغلق دونه . فما يزال كذلك ، حتى يفتح له الباب ، فيقال له : هلم هلم ! فما يأتيه ، . وقال ابن عباس في قوله تعالى :

« يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » (٢) :

«الصغيرة: التبسم بالاستهزاء بالموءمن ، والكبيرة: القهقهة بذلك ، . وفيه

إشارة الى أن الضحك على الناس من الجرائم العظيمة .

ثم جميع ما ذكر إنما هو في حق من يؤذى الناس ويهينهم باستهزائه وسخريته ، وأما من جعل نفسه مسخرة ويسر بأن يهزل ويسخر به ، وإن كان هو ظالماً لنفسه خارجاً عن شعار المؤمنين ، حيث أهان نفسه وأذلها ، إلا أن سخرية الغير به من جملة المزاح ، ويأتى ما يذم منه وما يحمده ، وإنما المحرم منه ما يؤدي الى اذنائه وتحقيره : بأن يضحك على كلامه إذا يخطب ولم ينتظم ، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة ، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيراً أو طويلاً أو ناقصاً بعيب من العيوب . فالضحك على جملة ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

وطريق علاجه - بعد تذكر ما تقدم - أن استهزائه يوجب خزي نفسه يوم القيامة عند الله وعند الملائكة والنبين وعند الناس أجمعين ، فلو تفكر في حسرته وحياته وخجله وخزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ به ويساق الى النار ، لأدهشه ذلك عن إخزاء غيره ، ولو عرف حقيقة حاله يوم القيامة ، لسكان الأولى له أن يضحك على نفسه تارة ويبكى عليها أخرى ، لانه باستهزائه به عند بعض أراذل الناس عرض نفسه لان يأخذ بيده ذلك الغير يوم القيامة على ملاء من الناس ويسوقه تحت الشياطين ، كما يساق الخمار ، الى النار ، مستهزئاً به ، مسروراً بخزيه وتمكين الله تعالى إياه على الانتقام منه . فمن تأمل في ذلك ، ولم يكن عدواً لنفسه ، اجتنب عن السخرية والاستهزاء كل الاجتناب .

ومنها :

المزاح

وأصله مذموم منهي عنه ، وسببه إما خفة في النفس ، فيكون من رذائل القوة الغضبية ، أو ميل النفس وشهوتها اليه ، أو تطيب خاطر بعض أهل الدنيا طمعاً في مالهم ، فيكون من رذائل القوة الشهوية . وسبب الذم فيه : أنه يسقط المهابة والوقار ، وربما أدى الى التباغض والوحشة والضعف ، وربما انجر الى الهزل والاستهزاء ، وادخل صاحبه في جملة المستهزأ بهم ، وربما صار باعثاً لظهور العداوة — كما قيل — وربما جر الى اللعب ، قال رسول الله ﷺ : « لا تمار أخاك ، ولا تمازحه » ، وقال بعض الاكابر لابنه : « يا بني ، لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنيا فيجتري عليك » ، وقال آخر : « أياكم والممازحة ، فانها تورث الضغينة وتجر الى القطيعة » . وقال آخر : « المزاح مسلبة للبهاء ، ومقطعة للاصدقاء » . وقيل : « لكل شئ بذر ، وبذر العداوة المزاح » . ومن مفسد المزاح : أنه سبب للضحك ، وهو منهي عنه . قال الله تعالى :

﴿ فَأَيُّضَحِكُوا قَلِيلًا وَلَيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ (١)

وقال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه ، يهوى بها أبعد من الثريا » ، وقال : « لو تعلمون ما أعلم لبكىتم كثيراً وضحكتكم قليلاً » ، وهو يدل على أن الضحك علامة الغفلة عن الآخرة وقال بعض : « من كثر ضحكك قلت هيئته » ، ومن مزح استخف به ، ومن

أكثر من شيء عرف به ، ومن أكثر كلامه أكثر سقطه ، ومن أكثر سقطه قلّ
حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه ، . وخاطب
عارف نفسه وقال : « أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟ »
وقال رجل لأخيه : « يا أخى ، هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم !
قال : وهل أتاك أنك خارج منها ؟ فقال : لا ، قال : فقيم الضحك ؟
فأرتى بعد ذلك ضاحكا حتى مات ، . ونظر بعضهم الى قوم يضحكون فى
يوم الفطر ، فقال : « إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ،
وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين ، .

ثم المذموم من الضحك هو القهقهة ، والتبسم الذى ينكشف فيه السن
ولا يسمع الصوت ليس مذموماً ، بل محمود لفعل النبي ﷺ (١) .

تزييب

(المذموم من المزاح)

الحق أن المذموم من المزاح هو الإفراط فيه والمداومة عليه ، أو
ما يودى الى الكذب والغيبة وأمثالهما ، ويخرج صاحبه عن الحق . وأما القليل
الذى يوجب انبساط خاطر وطيبة قلب ، ولا يتضمن ايذاءً ولا كذباً ولا
باطلاً ، فليس مذموماً ، لقول رسول الله ﷺ : « إنى لأمزح ولا أقول
إلا حقاً ، . ولما روي : « أنهم قالوا له ﷺ : يا رسول الله ، أنك
تداعبنا ! فقال : إنى وإن داعبتكم ، فلا أقول إلا حقاً ، . ولما روت

(١) راجع اخبار المزاح والضحك والتبسم : كتاب (الوسائل) : الباب ٨٠ - ٨٤

من ابواب احكام العسرة ، والظاهر ان المؤلف لم يرجع الى اخبارنا التى فيها غنى عن النقل
عن اناس مجهولين .

العامه : « أنه ﷺ كان كثير التبسم ، وكان أفكه الناس ، . وورد : « أن رسول الله ﷺ كسا ذات يوم واحدة من نسائه ثوباً واسعاً ، وقال لها : إلبسنيه واحمدى ، وجرى منه ذيلاً كذييل العروس ، . وقال ﷺ : « لا تدخل الجنة عجوز . فبكت العجوز . فقال : إنك لست يومئذ بعجوز ، وجاءت امرأة اليه ، وقالت : « إن زوجي يدعوك . فقال ﷺ : زوجك هو الذى بعينه بياض ؟ قالت : والله ما بعينه بياض ! فقال : بلى ، إن بعينه بياضاً . فقالت : لا والله ! فقال : ما من أحد إلا بعينه بياض ، . وأراد به البياض المحيط بالحدقة . وجاءته امرأة أخرى ، وقالت : « احملنى يا رسول الله على بعير . فقال : بل نحملك على ابن البعير . فقالت : ما اصنع به ، انه لا يحملنى ، فقال ﷺ : هل من بعير إلا وهو ابن بعير؟ . . وكان ﷺ يدلع لسانه للحسين عليه السلام ، فيرى لسانه فيمش له . وقال لهصيب - وبهرمد وهو يأكل التمر - : « أتأكل التمر وأنت أرمد ؟ فقال : إنما آكل بالشق الآخر . فتبسم رسول الله حتى بدت نواجذه ، . وروي : « أن خوات ابن جبير كان جالساً الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة ، وكان ذلك قبل اسلامه ، فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال له : مالك مع النسوة ؟ قال : يفتلن ضفيراً للجمل لي شرود . فمضى رسول الله لحاجته ثم عاد ، فقال : يا أبا عبد الله ، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ قال : فسكت واستحييت ، وكنت بعد ذلك استخفي منه حياء ، حتى اسلمت وقدمت المدينة ، فاطلع علي يوماً وأنا أصلي في المسجد ، فجلس إلي ، فطولت الصلاة ، فقال : لا تطول فاني انتظرك ، فلما فرغت قال : يا أبا عبد الله ، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ قلت : والذى بعثك بالحق نبياً ! ما شررد منذ أسلمت ! فقال : الله اكبر الله اكبر ، اللهم اهد أبا عبد الله . فحسن اسلامه ، . وكان نعيان الانصارى ،

رجلاً من أحمأ ، فاذا دخل المدينة شىء نفيس من اللباس أو المطاعم اشترى منه ، وجاء به الى رسول الله ﷺ ويقول : هذا أهديته لك . فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمانه ، جاء به الى رسول الله ﷺ ، وقال : يا رسول الله ، اعطه ثمن متاعه ، فيقول له النبي - صلى الله عليه وآله - : « أو لم تهده لنا ؟ » ، فيقول : لم يكن عندي والله ثمنه ، وأحبت أن تأكل منه ، فيتبسّم رسول الله ويأمر لصاحبه بثمانه . وأمثال هذه المطايبات مروية عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - وعن الأئمة - عليهم السلام - وأكثرها منقولة مع النسوان والصبيان ، وكان ذلك معالجة لضعف قلوبهم ، من غير ميل الى هزل ولا كذب ولا باطل ، وكان صدور ذلك عنهم أحياناً وعلى الندرة ، ومثلهم كانوا يتقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق والاعتدال ، وأما غيرهم فاذا فتح باب المزاح فربما وقع في الافراط والباطل . فالأولى لامثالنا تركه مطلقاً .

ومنها :

الغيبة

وهى أن يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه ، سواء كان ذلك بنقص فى بدنه أو فى اخلاقه أو فى أقواله ، أو فى أفعاله المتعلقة بدينه أو دنياه ، بل وإن كان بنقص فى ثوبه أو داره أو دابته .

والدليل على هذا التعميم - بعد إجماع الامة على أن من ذكر غيره بما يكرهه إذا سمعه فهو مغتاب - ما روى عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه قال : « هل تدرى ما الغيبة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذكرك

أخاك بما يكره ، ، قيل له : أرأيت ان كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن لم يكن فيه فقد بهتته ، . وما روى : « انه ذكر رجل عنده ، فقالوا : ما أعجزه ! فقال - صلى الله عليه وآله - : اغتبتم أخاكم ، قالوا : يا رسول الله ، قلنا ما فيه . قال : إن قلت ما ليس فيه فقد بهتموه ، . وما روى عن عائشة : « دخلت علينا امرأة ، فلما ولت ، أو مات بيدي انها قصيرة ، فقال ﷺ : اغتبتها ، . وما روى انها قالت : « إنى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي - صلى الله عليه وآله - : إن هذه لطويلة الذيل . فقال لي : الفظي الفظي ! فلنظمت مضغعة لحم ، . وقد روى : « أن أحد الشيخين قال للآخر : إن فلاناً لنؤوم ، ثم طلبا أدماً من رسول الله ليأكلأ به الخبز . فقال - صلى الله عليه وآله - : قد اتدمتما . فقالا : ما نعلمه ، فقال : بلى ! إنكما اكلتما من لحم صاحبكما ، .

وأما ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال : « صفة الغيبة أن تذكر أحداً بما ليس هو عند الله بعيب ويندم ما يحمده أهل العلم فيه . وأما الخوض في ذكر الغائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم ، فليس بغيبة ، وإن كره صاحبه إذا سمع به وكنت أنت معافى عنه وخالياً منه ، وتكون في ذلك مبيئاً للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ، وليكن على شرط ألا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله عز وجل ، واما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى ، فهو مأخوذ بفساد مراده وان كان صواباً ، (١) فهو مخصوص بما اذا لم يكن صاحبه عالماً بقبحه ، أو كان ساتراً على نفسه كإرهاؤ لظهوره . ويدل على ذلك ما روى عنه عليه السلام أيضاً ، أنه سئل عن الغيبة ،

(١) صححنا الحديث على (مصباح المرمية) : الباب ٤٩ . وقد تقدم المك في صحة

(مصباح المرمية) في الجزء الاول .

فقال : « هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل ، وتبث عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حدّ » . وقال عليه السلام : « الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه ، وأما الأمر الظاهر فيه ، مثل الحدة والعجلة ، فلا » . وقال السكاظم عليه السلام : « من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس ، لم يغتبه ، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس ، اغتابه ، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته » (١) . ويأتى أن المجاهر بمعصيته غير ساتر لها ، لا غيبة له فيها .

والحاصل : ان الاجماع والأخبار متطابقان على أن حقيقة الغيبة هو أن يذكر الغير بما يكرهه إذا سمعه ، سواء كان ذلك بنقص في نفسه أو بدنه ، أو في دينه أو دنياه ، أو فيما يتعلق به من الأشياء ، وربما قيل إنه لا غيبة فيما يتعلق بالدين ، لأنه ذم من ذمه الله ورسوله ، فذكره بالمعاصي وذمه جائز . وأيد ذلك بما روى : « أنه ذكر عند رسول الله امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جيرانها » . فقال : هي في النار . وذكرت امرأة أخرى بأنها بخيلة ، فقال : « فما خيرها اذن ؟ » . ولا ريب في بطلان هذا القول ؛ لما عرفت من عموم الأدلة . وما ورد من ذم الأشخاص المعينة في كلام الله وكلام حججه إنما هو لتعريف الأحكام وتبيينها ، وسؤال الأصحاب عنهم وذكرهم بالمعاصي ، إنما كان لحاجتهم الى معرفة الأحكام ، لا للذم وإظهار العيب ، ولذا لم يكن ذلك إلا في مجلس الرسول - صلى الله عليه وآله - أو الأئمة - عليهم السلام - .

(١) صححنا الأحاديث الثلاثة على (الوسائل) : كتاب الحج ، أبواب أحكام

المشرفة ، الباب ١٥٤ ، وعلى (اصول السكاني) : باب الغيبة والبهت . وعلى (البحار)

٤ ج ١٥ / ١٨٤ باب الغيبة ، وقال في الموضع المذكور عن الحديث الأول : « الغيبة هو أن

تقول : الضمير للغيبة ، وتذكيره بتأويل الاغتيا ب أو باعتبار الخبر .

فصل

(لا تنحصر الغيبة باللسان)

اعلم أن الغيبة لا تنحصر باللسان ، بل كل ما يفهم نقصان الغير ، ويعرف ما يكرهه فهو غيبة ، سواء كان بالقول أو الفعل ، أو التصريح أو التعريض ، أو بالإشارة والإيحاء ، أو بالغمز والرمز ، أو بالكتابة والحركة ولا ريب في أن الذكر باللسان غيبة محرمة ، لتفهمه الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه ، لا لكون المفهم والمعرف لسانا ، فكل ما كان مفهما ومعرفة فهو مثله .

فالغيبة تتحقق باظهار النقص بالفعل والمحاكاة ، كمشية الأعرج ، بل هو أشد من الغيبة باللسان ؛ لأنه أعظم في التصوير والتفهم منه ، وبالإيحاء والإشارة ، وقد روى : « أنه دخلت امرأة على عائشة ، فلما ولت ، أو مات بيدها أنها قصيرة . فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : قد اغتبتها . »

وبالكتابة ، إذ القلم أحد اللسانين ، وبالتعريض ، كأن يقول : الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة ، والتبذل في طلب الجاه والمال ، أو يقول : نعوذ بالله من قلة الحياء ، ونسأله أن يعصمنا منه ، معرضاً في كل ذلك بمن ارتكب ذلك ، فيذكره بصيغة الدعاء . وربما قدم مدح من يريد غيبته ، ثم اتبعه باظهار عيبه ، كأن يقول : لقد كان فلان حسن الحال ، ولما ابتلى بما ابتلى به كلنا من سوء الحال ، وهو جمع بين الرياء والغيبة ، ومدح نفسه بالتشبهه بالصلحاء في ذم انفسهم .

ومن المغتابين المنافقين من يظهر في مقام غيبة مسلم الاغتمام والحزن من سوء حاله ، كأن يقول : لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من

الاهانة والاستخفاف ، أو ارتكابه معصية كذا ، ففسأل الله ان يجعله مكرماً أو يصلح حاله ، أو يقول : قد ابتلى ذلك المسكين بأفة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه . وهو كاذب في ادعائه الحزن والسكآبة ، وفي اظهار الدعاء ، إذ لو اغتم لأغتم باظهار ما يكرهه ايضاً ، ولو قصد الدعاء لأخفاه في خلواته ، فاطهار الحزن والدعاء ناش عن خبث سريره ، وهو يظن أنه ناش عن صفاء طويته . هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوة البصيرة بمكائد اللعين وتليساته ، فيسخر بهم ويضحك عليهم ، ويحبط اعمالهم بمكائده ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنماً . وربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم ولم ينتبه له بعض الحاضرين ، فيقول اسماعاً له واعلاماً لما يقوله : سبحان الله اما أعجب هذا ، حتى يتوجه اليه ويعلم ما يريد ، فيستعمل اسم الله آلة لتحقيق خبثه . ثم المستمع للغيبة أحد المغتابين ، كما ورد به الخبر (١) . وقد دل على ذلك أيضاً ما تقدم من حديث الشيخين ، وما روى : « أنه ﷺ لما رجم ما عزأ في الزنا ، قال رجل لآخر : هذا أقص كما يقمص الحلب . فرأى النبي ﷺ معها بجيفة ، فقال : انهشوا من هذه الجيفة . فقالا : يا رسول الله ، ننهش جيفة ! فقال : ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه . فجمع بينهما ، مع ان أحدهما كان قائلاً والآخر مستمعاً .

وهو إما لا يسر باستماعها ، إلا أنه لا ينكرها باللسان ولا يكرهها بالقلب ، أو يسر ويفرح باستماعها ، إلا أن النفاق والتزهد حملاه على عدم التصديق ، وربما منع منها رياء وتزهداً ، مع كونه مشتتياً لها بقلبه ، وربما

(١) اشارة الى ما رواه الشيخ ابو الفتح الرازى في تفسيره ، عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه قال : « المستمع أحد المغتابين » . والى قول امير المؤمنين - عليه السلام - : « السامع للغيبة احد المغتابين » . (بحار الانوار) : ٤ / ١٥ / ١٧٩ .

توصل بالحيل المرغبة للمغتتاب في زيادة الغيبة ، مع التباس الأمر عليه بأنه يشتبهها ، مثل أن يظهر التعجب ويقول : عجبت منه ما علمت أنه كذلك ، وما عرفته الى الآن إلا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا عافا ما الله من بلائه . فان ذلك تصديق للمغتتاب ، وباعت لزيادة نشاطه في الغيبة ، فكأنه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق .

والحاصل : أن المستمع لا يخرج عن أثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه ، أو يقطع الكلام بكلام آخر ، أو يقوم من المجلس ، وإن لم يقدر على شيء من ذلك ، فلينكر بقلبه ، وإن قال بلسانه : اسكت ، وهو يشتبهه بقلبه فذلك نفاق ، ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه . ومع عدم الخوف لا يكفي أن يشير باليد أو حاجبه أو جبينه ، أى اسكت ، إذ ذلك استحقاق للمذكور ، مع أنه ينبغي أن يعظمه فيذب عنه صريحا . قال النبي ﷺ : « من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينتصر له فلم ينتصره ، أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق ، . وقال : « من رد عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة ، . وقال ﷺ : « من ذب عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقا على الله أن يعتقه من النار ، . وقال ﷺ : « من رد عن عرض أخيه ، كان له حجاباً من النار ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما من رجل ذكر عنده اخوه المسلم ، وهو يستطيع نصره ولو بكلمة ولم ينصره ، إلا اذله الله عز وجل في الدنيا والآخرة . ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره ، نصره الله في الدنيا والآخرة ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا ، بعث الله له ملاكاً يحميه يوم القيامة من النار ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من تطول على أخيه في غيبته ، سمعها عنه في مجلس فردها ،

رد الله عنه الف الف باب من الشر في الدنيا والآخرة ، وان لم يردّها وهو قادر على ردها ، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة ، وقال الباقر عليه السلام : من اغتیب عنده اخوه المؤمن فنصره وأعانه ، نصره الله في الدنيا والآخرة ، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه ، إلا خفضه الله في الدنيا والآخرة . وبهذه المضامين أخبار كثيرة اخر .

فصل

(بواعث الغيبة)

اعلم ان باعث الغيبة — غالباً — إما الغضب أو الحقد أو الحسد ، فيكون من نتائجها ، ومن رذائل قوة الغضب ، وله بواعث آخر :

الأول — السخرية والاستهزاء : فإن ذلك كما يجرى في الحضور يجرى في الغيبة أيضاً ، وقد عرفت ان منشأهما ماذا .

الثاني — اللب والهزل والمطايبة : فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب والمحاكاة . ويأتى ان باعث الهزل والمزاح ماذا ، وانه متعلق بالقوة الشهوية .

الثالث — ارادة الافتخار والمباهاة : بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره ، فيقول : فلان لا يعلم شيئاً . وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وأنه أفضل منه . وظاهر أن منشأ ذلك التكبر أو الحسد ، فيكون أيضاً من رذائل القوة الغضبية .

الرابع — أن ينسب الى شيء من القبائح ، فيريد أن يتبرأ منه بذكر الذي فعله ، وكان اللازم عليه أن يبرىء نفسه منه ، ولا يتعرض للغير الذي فعله ، وقد يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ، ليتمهد بذلك

عذر نفسه في فعله ، وربما كان منشأ ذلك صغر النفس وخبثها .

الخامس - مرافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام ، حذراً عن تنفرهم واستنقاعهم إياه لولاه ، فيساعدهم على اظهار عيوب المسلمين وذكر مساويهم ، ظناً منه أنه مجاملة في الصحبة ، فيهلك معهم . وباعث ذلك أيضاً صغر النفس وضعفها .

السادس - أن يستشعر من رجل أنه سيذكر مساويه ، أو يقبح حاله عند محشم ، أو يشهد عليه بشهادة ، فيبادره قبل ذلك باظهار عداوته ، أو تقبيح حاله ، ليسقط أثر كلامه وشهادته . وربما ذكره بما هو فيه قطعاً ، بحيث ثبت ذلك عند السامعين ليكذب عليه بعده ، فيروج كذبه بالصدق الأول ، ويستشهد به ويقول : ليس الكذب من عادتي ، فاني اخبرتكم قبل ذلك من أحواله كذا وكذا ، فكان كما قلت ، فهذا أيضاً صدق كسابقه . وهذا أيضاً منشأ الجبن وضعف النفس .

السابع - الرحمة ، وهو أن يحزن ويفتم بسبب ما ابتلى به غيره ، فيقول : المسكين فلان قد غمني ما ارتكبه من القبح ، أو ما حدث به من الإهانة والاستخفاف ، فيكون صادقاً في اغتمامه ، إلا انه لما ذكر اسمه واظهر عيبه صار مغتاباً ، وقد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه وعيبه ممكناً ، فواقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب جزئه ورحمته .

الثامن - التعجب من صدور المنكر والغضب لله عليه ، بأن يرى منكراً من انسان أو سمعه ، فيقول عند جماعة : ما اعجب من فلان أن يتعارف مثل هذا المنكر ، أو يغضب منه ، فيظهر غضبه واسمه ومنكره ، فانه وإن كان صادقاً في تعجبه من المنكر وغضبه عليه ، لكن كان اللازم ان يتعجب منه ويغضب عليه ، ولا يمكنه لا يظهر اسمه عند من لم يطالع على

ما صدر منه من المنكر ، بل يظهر غضبه عليه بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف من غير أن يظهره لغيره ، فلما أوقعه الشيطان في ذكره بالسوء صار مغتاباً ، وبطل ثواب تعجبه وغضبه ، وصار آثماً من حيث لا يدري . وهذه الثلاثة الأخيرة مما يغمض دركها ؛ لأن أكثر الناس يظنون أن الرحمة والتعجب والغضب إذا كان لله كان عذراً في ذكر الاسم ، وهو خطأ محض ، إذ المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم دون غيرها ، وقد روى : « أن رجلاً مر على قوم في عصر النبي - صلى الله عليه وآله - ، فلما جاوزهم ، قال رجل منهم : إني أبغض هذا الرجل لله ، فقال القوم : والله لبئس ما قلت ! وإنا نخبره بذلك ، فآخبروه به ، فأتى الرجل رسول الله - صلى الله عليه وآله - وحكى له ما قال ، وسأله أن يدعوه . فدعاه ، وسأله عما قال في حقه ، فقال : نعم ! قد قلت ذلك . فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : ولم تبغضه ؟ فقال : أنا جاره وأنا به خبير ، والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة ! فقال : يا رسول الله ، فأسأله هل رآني آخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها والركوع والسجود ؟ فسأله ، فقال : لا ! فقال : والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه كل بر وفاجر ! قال : فأسأله يا رسول الله هل رآني افطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً ؟ فسأله ، فقال : لا ! فقال : والله ما رأيته يعطى سائلاً قط ولا مسكيناً ، ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً في سبيل الخير إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر ! قال : فأسأله هل رآني نقصت منها شيئاً أو ما كسبت فيها طالبها الذي يسألها ؟ فسأله فقال : لا ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - للرجل : قم ، فلعله خير منك . ولا ريب في أن إنكار القوم عليه بعد قوله أبغضه لله يفيد عدم

جواز اظهار المنكر الصادر من شخص لغيره ، وإن كان في مقام الغضب
والبغض لله .

فصل

(ذم الغيبة)

لما علمت حقيقة الغيبة وبواعثها ، فاعلم أنها أعظم المهلكات وأشد
المعاصي ، وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه ، وشبهه صاحبها بأكل
لحم الميتة ، فقال :

« وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُّحِبُّ
أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » (١) . وقال :
« لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ
سَمِيمًا عَلِيمًا » (٢) . وقال : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ » (٣) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « المسلم على المسلم حرام دمه
وماله وعرضه ، والغيبة تنناول العرض . وقال - صلى الله عليه وآله - :
« إياكم والغيبة ، فإن الغيبة أشد من الزنا ، فإن الرجل قد يزني ويتوب
فيتوب الله عليه ، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ، .
وقال - صلى الله عليه وآله - : « مررت ليلة أسرى بي على قوم يخمشون وجوههم
بأظفارهم ، فقلت : يا جبرئيل ، من هؤلاء ؟ قال : الذين يغتابون الناس ،

(٣) ق- ، الآية : ١٨ .

(١) الحجرات ، الآية : ١٢ .

(٢) النساء ، الآية : ١٤٧ .

وبقعون في أعراضهم ، . وخطب عليه السلام يوماً حتى أسمع العواتق في بيوتها ، فقال : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ! لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فان من تتبع عورة اخيه يتتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته ، . وخطب عليه السلام يوماً فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال : « إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل ، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم ، . ومر عليه السلام على قبرين يعذب صاحباهما ، فقال : « إنهما ليعذبان في كبيرة ، أما أحدهما فكان يغتاب الناس ، وأما الآخر فكان لا يستبرى من بوله ، . ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرها ، ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبره ، وقال : « أما إنه يهون من عذابها ما كانتا رطبتين ، . وروى : « أنه عليه السلام أمر الناس بصوم يوم ، وقال : لا يفطرن أحد حتى آذن له . فصام الناس ، حتى إذا أمسوا ؛ جعل الرجل يبحي ، فيقول : يا رسول الله ، ظلمت صائماً فاذن لي لأفطر ، فيأذن له ، والرجل والرجل ، حتى جاء رجل ، فقال : يا رسول الله ، فتانان من أهلي ظلنا صائمتين ، وانهما تستحيان أن تأتياك ، فأذن لهما لتفطرا . فأعرض عنه . ثم عاوده فأعرض عنه . ثم عاوده ، فقال : انهما لم تصوما ، وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس ، أذهب فرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيتا . فرجع إليهما ، فاخبرهما ، فاستقأتا ، فقأتا كل واحدة منهما حلقة من دم . فرجع الى النبي عليه السلام فاخبره ، فقال : والذي نفس محمد بيده ! لو بقيتا في بطنيهما لا كتبهما النار ، . وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : « من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار ، . وقال عليه السلام : « من مشى في غيبة اخيه وكشف عورته

كثانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم ، فكشف الله عورته على رؤس الخلائق . ومن اغتاب مسلماً ، بطل صومه ونقض وضوءه ، فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله . وقال صلى الله عليه وسلم : « الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه » (١) . وقال - صلى الله عليه وآله - « الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ، ما لم يحدث ، ، فقييل : يا رسول الله ، وما الحدث ؟ قال : « الاغتيا ب » . وقال - صلى الله عليه وآله - « من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلواته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة ، إلا أن يغفر له صاحبه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من اغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يؤثر على صيامه » . وقال - صلى الله عليه وآله - « من اغتاب مؤمناً بما فيه ، لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً ، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه ، انقطعت العصمة بينهما ، وكان المعتاب في النار خالداً فيها وبتس المصير » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة . فاجتنب الغيبة فانها ادم كلاب النار » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب بالدين ، فنزهوا أسماعكم من استماع الغيبة ، فان القائل والمستمع لها شريكان في الاثم » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما النار في الثبن بأسرع

(١) الرواية مذكورة في (البحار) : ٤ ج ١٥ / ١٧٧ . قال في اللوضع المذكور:

« بيان : الاكلة - كقرحة - داء في العضو يأكل منه ، وقد يقرأ بعد الهمزة على وزن فاعلة ، أى الملة التي تأكل اللحم . والأول أوفق باللغة . وقيل الاكلة - بالضم - اللقمة ، وكلاهما محتملان الى ان ذكر الجوف يؤيد الأول واردة الاضافة والاذهاب يؤيد الثاني والأول أقرب وأصوب ، وتشبيهه الغيبة بأكل اللقمة أنسب ، لأن الله سبحانه شبهها باكل اللحم » .

من الغيبة في حسنة العبد ، (١) . وقال الصادق عليه السلام : « من قال في مؤمن ما رآته عيناه وسمعته اذناه ، فهو من الذين قال الله عز وجل : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم) » . وقال عليه السلام : « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس ، اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان ، فلا يقبله الشيطان » . وقال عليه السلام : « من اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان » (٢) . وقال عليه السلام : « الغيبة حرام على كل مسلم ، وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

والأخبار الواردة في ذم الغيبة مما لا يكاد يمكن حصرها ، وما ذكرناه كداف لا يقاطط الطالبين . والعقل أيضاً حاكم بانها أخبث الرذائل ، وقد كان السلف لا يرون العبادة في الصوم والصلاة ، بل في المكيف عن اعراض الناس ؛ لأنه كان عندهم أفضل الأعمال ، ويرون خلافه صفة المنافقين ، ويعتقدون أن الوصول الى المراتب العالية في الجنة يتوقف على ترك الغيبة ، لما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه قال : « من حسنت صلواته ، وكثرت عياله ، وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين ، كان معي في الجنة كهاتين » . وما أقبح بالرجل المسلم أن يغفل عن عيوب نفسه ، ويتجسس على عيوب اخوانه ، ويظهرها بين الناس ، فما باله يبصر القذى في عين أخيه ، ولا يبصر الجذع في عين نفسه .

(١) صححنا الأحاديث هنا على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب أحكام العشرة ، الباب ١٥٢ . وعلى (البحار) : ٤ / ١٥٧ / ١٧٧ . وعلى (المستدرک) : ٢ / ١٠٦ . وعلى (احياء العلوم) : ٣ / ١٢٣ .

(٢) صححنا الأحاديث الثلاثة على (الوسائل) في الموضوع المتقدم . وعلى (اصول الكافي) باب الغيبة والبهت . وعلى (المستدرک) .

فيا حبيبي ، اذا أردت أن تذكر عيوب غيرك ، فاذكر عيوبك ، وتيقن بأنك لن تصيب حقيقة الإيمان ، حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ باصلاح ذلك العيب . واذا كان شغلك اصلاح عيوب نفسك ، كان شغلك في خاصة نفسك ، ولم تكن لك فرصة للاشتغال بغيرك ، وحينئذ كنت من أحب العباد الى الله ، لقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ! » . واعلم أن عجز غيرك في الاجتناب عن ذلك العيب وصعوبة ازالته عليه كهجزك عن الاجتناب عنه إن كان ذلك العيب فعلاً اختيارياً ، وإن كان أمراً خلقياً ، فالذم له ذم للخالق تعالى . فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قيل لبعض الحكماء : يا قبيح الوجه ! فقال : « ما كان خلق وجهي إلي فاحسنه » . ولو فرض براءتك عن جميع العيوب ، فلتشكر الله ، ولا تلوث نفسك باعظم العيوب . إذ أكل لحوم الميتات أشد العيوب وأقبحها ، مع انك لو ظننت خلوك عن جميع العيوب لكنت أجهل الناس ، ولا عيب أعظم من مثل هذا الجهل .

ثم ينبغي أن يعلم المغتاب ان الغيبة تحبط حسناته وتزيد في سيئاته ، لما ثبت من الأخبار الكثيرة : ان الغيبة تنقل حسنات المغتاب يوم القيامة الى من اغتابه ، وان لم تكن له حسنة نقل اليه من سيئاته . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « يؤتى بأحدكم يوم القيامة ، فيوقف بين يدي الله تعالى ، ويدفع اليه كتابه ، فلا يرى حسناته ، فيقول : إلهي ليس هذا كتابي ، فإنني لا أرى فيه طاعتي ، فيقول له : إن ربك لا يضل ولا ينسى ، ذهب عملك باغتياب الناس . ثم يؤتى بآخر ويدفع اليه كتابه ، فيرى فيه طاعات كثيرة ، فيقول : إلهي ما هذا كتابي ، فإنني ما عملت هذه الطاعات ، فيقول له : إن فلاناً اغتابك فدفعت حسناته اليك » . وفي معناه أخبار آخر . ولا ريب في أن العبد

يدخل النار بان تترجح كفة سيئاته ، وربما تنقل اليه سيئة واحدة مما اغتاب به مسلماً ، فيحصل به الرجحان ويدخل لأجله النار . وأقل ما في الباب أن ينقص من ثواب صالحات أعماله ، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والمناقشة في الحساب . وروى عن بعضهم : « أن رجلاً قيل له : ان فلاناً قد اغتابك ، فبعث اليه طبقاً من الرطب ، وقال : بلغني أنك قد أهديت الي من حسناتك ، فأردت أن أكافيك عليها ، فأعذرتني ، فاني لا أقدر أن أكافيك على التمام . »

والحاصل : أن العاقل ينبغي أن يتأمل في أن من يغتابه ان كان صديقاً ومحباً له ، فإظهار عيوبه وعثراته بعيد عن المروءة والانصاف ، وان كان عدواً له ، فتحمل خطاياهم ومعاصيه ونقل حسناته الى ديوانه غاية الحماسة والجهل .

فصل

(علاج الغيبة)

الطريق في علاج الغيبة وتركها ، أن يتذكر أولاً ما تقدم من مفسدها الاخروية ، ثم يتذكر مفسدها في الدنيا ، فإنه قد تصل الغيبة الى من اغتیب ، فتصير منشأ لعداوته أو لزيادة عداوته ، فيتعرض لاىذاء المقتاب واهانتة ، وربما انجر الأمر بينهما الى ما لا يمكن تداركه من الضرب والقتل وأمثال ذلك . ثم يتذكر فوائد أضدادها - كما نشير اليها - ، وبعد ذلك فليراقب لسانه ، ويقدم التروى في كل كلام يريد أن يتكلم به ، فان تضمن غيبة سكت عنه ، وكلف نفسه ذلك على الاستمرار ، حتى يرتفع عن نفسه الميل الجلى والخفى الى الغيبة .

والعمدة في العلاج أن يقطع أسبابها المذكورة ، وقد تقدم علاج الغضب والحقد والحسد والاستهزاء والسخرية ، ويأتى طريق العلاج في الهزل والمطايبة والافتخار والمباهاة . وأما تنزيه النفس بنسبة ما نسب إليه من الجناية الى الغير ، فمعالجته أن يعلم أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق ، ومن اغتاب تعرض لمقت الله وسخطه قطعاً ، ولا يدري أنه يتخلص من سخط الناس أم لا ، فيحصل بعمله ذم الله وسخطه تقديراً ، وينتظر دفع ذم الناس نسيئة ، وهذا غاية الجهل والخذلان . وأما تعرضه لمشاركة الغير في الفعل تمهيداً لعذر نفسه ، كان يقول إني اكلت الحرام ، لأن فلاناً أيضاً أكل ، وقبلت مال السلطان ، لأن فلاناً أيضاً قبل ، مع انه أعلم مني ، فلا ريب في أنه جهل وسفه ، لأنه اعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاقتداء به . فان من خالف الله لا يقتدى به كائناً من كان ، فلو دخل غيره النار وهو يقدر على عدم الدخول فهل يقتدى به في الدخول ، ولو دخل عد سفيهاً أحق ، ففعله معصية ، وعذره غيبة وغباوة ، فجمع بين المعصيتين والحماقة ، ومثله كمثل الشاة ، اذا نظرت الى العنز تردى نفسها من الجبل فهي أيضاً تردى نفسها ، ولو كان لها لسان ناطق واعتذرت عن فعلها بأن العنز اكبس منى وقد اهلكت نفسها فكذلك فعلت انا ، لكان هذا المغتاب المعتذر يضحك عليها ، مع أن حاله مثل حالها ولا يضحك على نفسه .

والعجب أن بعض الأشقياء من العوام ، لما صارت قلوبهم عش الشيطان ، صرفوا اعمارهم في المعاصي ، واشتغلت ذمهم بمظالم الناس بحيث لا يرجي لهم الخلاص ، مالت نفوسهم الخبيثة الى ألا يكون معاد وحساب وحشر وعقاب ، ولما وجد ذلك الميل منهم اللعين ، خرج من السكين ، ووسوس في

صدورهم بأنواع الشكوك والشبهات ، حتى ضعف بها عقائدهم أو أفسدها . ودعاهم في مقام الاعتذار عن أعمالهم الخبيثة ألا يصرحوا بما ارتكز في قلوبهم ويشتمونه ، خوفاً من القتل وأجراء أحكام الكفار عليهم ، ولم يدعمهم أيضاً تلبيسهم وتزويرهم وغلبة الشيطنة عليهم أن يعترفوا بالنقص وسوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على أن يعتذروا من سوء فعالهم بأن بعض العلماء يفعلون ما نفعل ولا يجتنبون عن مثل أعمالنا ، من طلب الرئاسة وأخذ الأموال المحرمة ، ولم يدروا أن هذا القول ناش من جهلهم وخبائثهم .

إذ نقول لهم : إن فعل هذا البعض إن صار منشأ لزوال إيمانكم بالمعاد والحساب ، فأنتم كافرون ، وباعث أعمالكم الخبيثة هو الكفر وعدم الاذعان بأحوال النشأة الآخرة . وإن لم يصبر منشأ له ، بل إيمانكم ثابت ، فاللازم عليكم العمل بمقتضاه ، من غير تزلزل بعمل الغير كائناً من كان . فما الحججة في عمل هذا البعض ، مع اعتقادكم بأنه على باطل ؟ .

وأيضاً لو كان باعث أعمالكم الخبيثة فعل العلماء ، فلم اقتديتم بهذا البعض مع عدم كونه من علماء الآخرة وعدم اطلاعه على حقيقة العلم ؟ ولو كنتم صادقين فيما تنسبون إليه ، فهو المتأكل بعلمه ، وإنما حصل نبذاً من علوم الدنيا ليتوسل بها إلى حطامها ، ولا يعد مثله عند أولى الابواب عالماً ، بل هو متشبهه بالعلماء . ولم ما اقتديتم بعلماء الآخرة المتخلفين بشرائهم عن الدنيا وحطامها ؟ وانكار وجود مثلهم ، والقدح في الكل مع كثرتهم في أقطار الأرض غاية اللجاج والعناد . ولو سلمنا منكم ذلك ، فلم ما اقتديتم بطوائف الأنبياء والأوصياء ، مع أنهم أعلم الناس بانفاق الكل ، وحقيقة العلم ليس إلا عندهم ؟ فإن أنكروا أعليتهم وعصمتهم من المعاصي ، واحتملوا كونهم أمثالا لهم ، ظهر ما في بواطنهم من الكفر الخفي .

وأما موافقة الاقران ، فعلاجه أن يتذكر أن الله يسخط عليه ويفضه إذا اختار رضا المخلوقين على رضاه ، وكيف يرضى المؤمن أن يترك رضابه لرضا بعض أراذل الناس ؟ وهل هذا إلا كونه تعالى أهون عنده منهم ؟ وهو ينافي الايمان .

وأما استشعاره من رجل أنه يقبح عند محتشم حاله أو يشهد عليه بشهادة فيبادره بالغيبة اسقاطاً لأثر كلامه ، فعلاجه أن يعلم : (أولاً) أن مجرد الاستشعار لا يستلزم الوقوع ، فلعله لا يقبح حاله ولا يشهد عليه ، فالموأخذة بمحض التوهم تنافي الديانة والايان . و (ثانياً) أن اقتضاء قوله سقوط اثر كلام من اغتابه في حقه مجرد توهم ، والتعرض لمقت الله يقيناً بمجرد توهم ترتب فائدة دنيوية عليه محض الجهل والحماقة . و (ثالثاً) أن تؤدي فعل الغير - اعنى تقبيح حاله عند محتشم مع فرض وقوعه - الى اضراره في حين الشك ، إذ ربما لم يقبله المحتشم ، وربما لم تقبل شهادته شرعاً ، فتقبيح حاله وتحمل معاصيه بدون الجزم بصيرورته سبباً لا يذاته محض الجهل والخذلان .

وأما الرحمة له على ائمه والتعجب منه والغضب لله عليه ، وان كان كل منها حسناً ، الا أنه اذا لم تكن معه غيبة ، وأما اذا كانت معه غيبة ، أحبط أجره وبقى ائمه . فالعلاج ان يتأمل ان باعث الرحمة والتعجب والغضب هو الايمان وحماية الدين ، واذا كان معها غيبة أضرت بالدين والايان ، وليس شيء من الامور الثلاث ملزوما للغيبة لإمكان تحققه بدونها ، فمقتضى الايمان وحماية الدين أن يترحم ويتعجب ويفض لله ، مع ترك الغيبة واظهار الاثم والعيب ، ليكون ماجوراً غير آثم .

فصل

(مسوغات الغيبة)

لما عرفت ان الغيبة ذكر الغير بما يكرهه لو سمعه ، فاعلم ان ذلك انما يحرم اذا قصد به هتك عرضه ، والتفكك به ، أو اضحاك الناس منه . واما اذا كان ذلك لغرض صحيح لا يمكن التوصل اليه إلا به ، فلا يحرم . والاعراض الصحيحة المرخصة له امور :

الاول - التظلم عند من له رتبة الحكم واحقاق الحقوق ، كالتقاضي والمفتين والسلطين ، فان نسبة الظلم والسوء الى الغير عندهم لاستيفاء الحق جائز ، لقول النبي ﷺ : « لصاحب الحق مقال » ، وقوله ﷺ : « لي الواجد يحل عرضه وعقوبته » . وعدم انكاره ﷺ على قول هند بحضرته : « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني إياي وولدي ، أفأخذ من غير علمه ؟ » وقوله - صلى الله عليه وآله - لها : « خذي ما يكفيك وولدي بالمعروف » .

الثاني - الاستعانة على رفع المنكر ورد المعاصي الى الصلاح ، وانما يستباح بها ذكر مساوته بالقصد الصحيح لابدونه .

الثالث - نصح المستشير في التزويج ، وايداع الامانة ، وامثالها . كذلك جرح الشاهد والمفتي والقاضي اذا سئل عنهم ، فله ان يذكر ما يعرفه من عدم العدالة والاهلية للافتاء والقضاء ، بشرط صحة القصد واردة الهداية وعدم باعث حسد أو تلبيس من الشيطان ، وكذلك توقي المسلمين من الشر والضرر أو سرابة الفسق والبدعة ، فإن من رأى عالماً أو غيره من المؤمنين يتردد الى ذى شر أو فاسق أو مبتدع ، وخاف أن يتضرر ويتعدى اليه الفسق والبدعة بمصاحبته ، يجوز له أن يكشف له ما يعرفه من شره وفسقه وبدعته ،

بشرط كون الباعث مجرد خوف وصول الشر والفساد أو سراية الفسق والبدعة اليه . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أترعون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس ؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس ، . ومن جملة ما يدخل في تحذير المسلمين وتوقيهم من الشر والضرر ، اظهار عيب يعلمه في مبيع ، وان كرهه البايع ، حفظاً للمشتري من الضرر . مثل أن يشتري عبداً ، وقد عرفه بالسرقه أو الفسق أو عيب آخر ، أو فرسا ، وقد عرفه بكونه مال الغير ، فله ان يظهر ذلك ، لاستلزام سكوته ضرراً على المشتري .
الرابع - رد من ادعى نسباً ليس له .

الخامس - القدح في مقالة او دعوى باطلة في الدين .

السادس - الشهادة على فاعل المحرم حسبة .

السابع - ضرورة التعريف ، فانه اذا كان احدهم عرفوا بلقب يعرب عن عيب ، وتوقف تعريفه عليه ، ولم يكن اثم في ذكره ، بشرط عدم امكان التعريف بعبارة اخرى ، لفعل الرواة والعلماء في الاعصار والامصار ، فانهم يقولون : روى الاعمش والاعرج وغير ذلك ، لأن الغالب صيرورته بحيث لا يكرهه صاحبه .

الثامن - كون المقول فيه مستحقاً للاستخفاف ، لتظاهرة وتجاهره بفسق ، كالظلم والزنا وشرب الخمر وغير ذلك ، بشرط عدم التعدي عما يتظاهر به ، اذ لو ذكره بغير ما يتظاهر به لكان اثماً ، وأما اذا ذكر منه مجرد ما يتجاهر به فلا اثم عليه ، اذ صاحبه لا يستنكف من ذكره ، وربما يتفاخر به ويقصد اظهاره . ومع قطع النظر عن ذلك ، فالأخبار دالة عليه ، كما تقدم جملة منها . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من القى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبة له ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ليس لفاسق غيبة » .

والظاهر أن ذكر ما يتجاهر به من العيوب ليس غيبة ، لا شرعاً ولا لغة ، لا أنه غيبة استثنى جوازها شرعاً ، قال الجوهرى : « الغيبة أن يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه ، فان كان صدقاً سمي غيبة ، وإن كان كذباً سمي بهتاناً . »

هذا وقد صرح جماعة بجواز الغيبة في موضعين آخرين : أحدهما : أن يكون اثنان أو أكثر مطلعين على عيب رجل ، فيقع تحاكيه بينهم من غير أن يظهره لغيرهم ممن لم يطلع عليه ، وفي بعض الأخبار المتقدمة دلالة على جوازه ، كما لا يخفى . وثانيهما : أن يكون متعلقها — اعنى المقول فيه — غير محصور ، كأن يقال : « قال قوم كذا ، أو أهل البلد الفلاني كذا ، . ومثله إذا قال : « بعض الناس يقول أو يفعل كذا ، أو من مر بنا اليوم شأنه كذا ، ، إذا لم يتعين البعض والمارة عند المخاطب ، ولو انتقل الى شخص معين لقيام بعض القرائن ، كانت غيبة محرمة ، وكذا لو قال : « بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم ، ، إن كان معه قرينة يفهم عين الشخص فهو غيبة وإلا فلا . وكذا ذكر مصنف في كتابه فاضلاً معيناً ، وتهجين كلامه بلا اقتران شيء من الاعذار الموجبة الى ذكره غيبة ، وأما لو ذكره بدون تعيينه ، كأن يقول : « ومن الفضلاء من صدر عنه في المقام هفوة أو عثرة ، ، فليس غيبة . ثم السر في اشتراط الغيبة بكونه تعريضاً لشخص معين ، وعدم كون التعرض بالمبهم وغير المحصور غيبة ، عدم حصول السكراهة مع الإبهام وعدم الانحصار ، كما لا يخفى . وربما كان في بعض الأخبار أيضاً اشعار به ، وقد كان رسول الله ﷺ إذا ذكره من انسان شيئاً يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ، من دون تعيين للفاعل . »

ترتيب

(كفارة الغيبة)

كفارة الغيبة - بعد التوبة والندم للخروج عن حق الله - أن يخرج من حق من اغتابه . وطريق الخروج من حقه ، إن كان ميتاً أو غائباً لم يمكن الوصول اليه ، أن يكثر له من الاستغفار والدعاء ، ليحسب ذلك يوم القيامة من حسناته ويقابل بها سيئة الغيبة ، وإن كان حياً يمكن الوصول اليه ولم تبلغ اليه الغيبة ، وكان في بلوغها اليه مظنة العداوة والفتنة ، فليكثر له أيضاً من الدعاء والاستغفار ، من دون أن يخبره بها ، وإن بلغت اليه أو لم تبلغه ، ولم يكن في بلوغها ظن الفتنة والعداوة ، فليستحله متعذراً متأسفاً مبالغاً في الثناء عليه والتودد اليه ، وليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه ويحله فإن لم يطب قلبه من ذلك ولم يحله ، كان اعتذاره وتودده حسنة يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة .

والدليل على هذا التفصيل قول الصادق عليه السلام : « وإن اغتبت فبلغ المغتاب ، فاستحل منه ، فإن لم تبلغه لم تلحقه ، فاستغفر الله ، (١) ، وذلك لأن في الاستحلال مع عدم البلوغ اليه إثارة للفتنة وجلب الضغائن ، وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه بموت أو غيبة ، وعلى هذا فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « كفارة من اغتبت أن تستغفر له ، ، محمول على صورة عدم امكان الوصول اليه ، أو إمكانه مع ايجاب الاعلام والاستحلال لإثارة الفتنة والعداوة . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض

(١) هذا جزء من الحديث المتقدم عن (مصباح الفريفة) : ٢٨٩ ، الباب ٤٩

أو مال ، فليتهجللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، إنما يؤخذ من حسناته ، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته ، ، محمول على صورة البلوغ أو عدم البلوغ ، مع عدم إيجاب الاعلام والاستحلال فتنة وعداوة .

تنبيه

(البهتان)

قد ظهر مما تقدم أن البهتان أن تقول في مسلم ما يكرهه ولم يكن فيه ، فإن كان ذلك في غيبته كان كذبا وغيبة ، وإن كان بحضوره كان أشد انواع الكذب . وعلى أى تقدير ، فهو أشد إنما من الغيبة والكذب ، قال الله سبحانه :

« وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ لَامَةً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا » (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « من بهت مؤمناً أو مؤمنة ، أو قال فيه ما ليس فيه ، أقامه الله على تل من نار ، حتى يخرج مما قاله فيه ، . وقال الصادق عليه السلام : « من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه ، بعثه الله عز وجل في طينة خبال ، حتى يخرج مما قال ، ، قلت : وما طينة خبال ؟ قال : « صديد يخرج من فروج المومسات ، (٢) . ثم ما ورد في ذم اللسان وكونه شر الاعضاء

(١) النساء ، الآية : ١١١ .

(٢) صحفنا الاحاديث كلها على (اصول السكاني) : باب الغيبة والبهتان . وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، باب تحريم البهتان في المؤمن . وعلى (المستدرک) : ١٠٧ ، كتاب الحج ، باب تحريم البهتان المؤمن ،

ومنبع أكثر المعاصي - كما يأتي في موضعه - يدل على ذم الغيبة والبهتان ، كما يدل على ذم جميع آفات اللسان مما تقدم : من الفحش ، واللعن ، والظن ، والسخرية ، وغير ذلك ، وما يأتي : من الكذب ، والمزاح ، والخوض في الباطل . وفضول الكلام ، وغير ذلك .

وصل

(المدح ومواضع حسنه وقبحه)

الغيبة لما كانت راجعة الى الذم ، فضدها المدح ودفع الذم ، والبهتان لما كان كذباً ، فضده الصدق . وكما أن لكل واحدة من آفات اللسان مما مر وما يأتي ضدّاً خاصاً ، فكذلك لجميعها ضد واحد عام هو الصمت - كما اشير اليه فيما سبق أيضاً . وضد البهتان - أعنى الصدق - يأتي في مقام بيان الكذب . وأما الضد العام لكل ، فقد يأتي في موضعه مع ما يدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان ، فهنا نشير الى بيان المدح وما يحمده منه ، حتى يكون ضدّاً لها وفضيلة للقوة الغضبية أو الشهوية ، وما يذم منه حتى يكون رذيلة لاحدهما ، فنقول :

لا ريب في أن مدح المؤمن في غيبته وحضوره بمدوح مندوب اليه ، لكونه ادخالا للسرور عليه ، وقد علم مدحه وثوابه ، ولما ورد من أن رسول الله ﷺ أثنى على أصحابه ، وأنه قال لجماعة - لما اثنوا على بعض الموتى - : « وجهت لكم الجنة ، وأنتم شهداء الله في الأرض » . ولما ورد من أن لبي بن آدم جلساء من الملائكة ، فاذا ذكر أحد أخاه المسلم بخير ، قالت الملائكة : ولك مثله ، واذا ذكره بسوء ، قالت الملائكة : يا ابن آدم المستور عورته ، إربع على نفسك واحمد الله إذ ستر عورتك ، ، ولكنه

ليس راجحاً مندوباً على الإطلاق ، بل اذا سلم من آفاته ، وهى أن يكون صدقاً لا يفرط المادح فيه ، بحيث ينتهى الى الكذب ، وألا يكون المادح فيه مرائياً منافقاً ، بأن يكون غرضه اظهار الحب مع عدم كونه محباً فى الواقع سواء كان صادقاً فيما ينسبه اليه من المدح أم لا ، وألا يمدح الظالم والفاسق وإن كان صادقاً فيما يقول فى حقه ، لأنه يفرح بمدحه ، وادخال القرح على الظالم أو الفاسق غير جائز ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليغضب اذا مدح الفاسق ، فالظالم الفاسق ينبغى أن يذم ليغتم ، ولا يمدح ليفرح ، وألا يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه .

وهذه الآفة إنما تتطرق فى المدح بالأوصاف المطلقة والخفية ، كقولك : إنه تقى ورع زاهد خير ، أو قولك : إنه عدل رضى ، وأمثال ذلك ؛ لتوقف الصدق فى ذلك على قيام الأدلة والخبرة الباطنة ، وتحقيقهما فى غاية الندرة . فالغالب أن المدح بأمثال ذلك يكون من غير تحقق وتثبت ، وألا يحدث فى الممدوح كبراً أو إعجاباً يوجبان هلاكة ، ولا رضى عن نفسه يوجب فتوره عن العمل ، إذ من اطلقت اللسان بالثناء عليه يرضى عن نفسه ، ويظن أنه قد أدرك ، وهذا يوجب فتوره عن العمل ، إذ المتشمر له إنما هو من يرى نفسه مقصراً ، ولذلك قال رسول الله ﷺ لرجل مدح بحضرة رجلاً آخر : « ويحك ! قطعت عنق صاحبك ، لو سمعها ما أفلح ، وقال ﷺ : « اذا مدحت أخاك فى وجهه ، فكأنما أمرت على حلقه موسى » . وقال أيضاً لمن مدح رجلاً : « عقرت الرجل عقرك الله ! » . وقال ﷺ : « لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف ، كان خيراً له من أن يثنى عليه فى وجهه » .

والسر فى هذه الأخبار : أن المدح يوجب الفتور عن العمل ، أو

الكبر أو العجب ، وهو مهلك ، كقطع العنق والعقر وامرار الموسيقى أو السكين على الخلق ، فان سلم المدح عن الآفات المذكورة المتعلقة بالمادح والممدوح كان ممدوحاً ، وإلا كان مذموماً . وبذلك يحصل الجمع بين ما ورد في مدحه — كما تقدم — وما ورد في ذمه .

فاللزام على المادح أن يحتترز عما تقدم من الآفات المتعلقة به ، وعلى الممدوح أن يحتترز من آفة الكبر والعجب والفتور والرياء ، بأن يعرف نفسه ويتذكر خطر الخاتمة ، ولا يغفل عن دقائق الرياء ، ويظهر كراهة المدح ، واليه الإشارة بقوله عليه السلام : « احتوا التراب في وجوه المداحين ، وبالجملة : اللزام على الممدوح ألا يتفاوت حاله بالمدح ، وهذا فرع معرفة نفسه ، وتذكر ما لا يعرفه المادح من عثراته . وينبغي أن يظهر أنه ليس كما عرفوه ، قال بعض الصالحين لما اثني عليه : « اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني ، . وقال أمير المؤمنين عليه السلام لما أثني عليه : « اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون ، .

ثم الظاهر عدم المؤاخذة والاثم بالانبساط والارتياح بالمدح ، ليكون النفوس مجبولة على الفرح والسرور بنسبة الكمال إليها ، ولكن بشرط أن يكره من نفسه ذلك الارتياح ، ويقهر نفسه ويعاتبها على ذلك ، ويحتهد في إزالة ذلك عنها ، إذ مقتضى العقل الفرح بوجود الكمال فيه لا بنسبته إليه ، فما ينسب إليه منه إن كان موجوداً فيه ، فينبغي أن يكون فرحه به لا بنسبته إليه ، إذ الانبساط بتصريح رجل بأنك صاحب هذا الكمال حمق وسفه . وإن لم يكن موجوداً فيه ، فاللزام أن يحزن ويغضب ، لسكونه استهزاء لا مدحاً . والحاصل : أن العاقل ينبغي ألا يسر بمدح الغير ولا يحزن بذمه ، إذ من ملك باقوتة شريفة حمراء أي ضرر عليه إذا قال رجل إنها خرزة ، وإذا ملك

خرزة أى فائدة له اذا قال انها باقوتة .

ومنها :

الكذب

وهو اما فى القول ، أى الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هى عليه ،
وصدوره إما عن العداوة أو الحسد أو الغضب ، فيكون من رذائل قوة
الغضب ، أو من حب المال والطمع ، أو الاعتياد الحاصل من مخالطة أهل
الكذب ، فيكون من رذائل قوة الشهوة .

أو فى النية والارادة ، وهو عدم تمحيضها بالله ، بالأى يكون الله سبحانه
بانفراده باعث طاعاته وحرركاته ، بل يمازجه شئ من حظوظ النفس . وهذا
يرجع الى الرياء ، ويأتى كونه من رذائل أى قوة .

وإما فى العزم ، أى الجزم على الخير ، وذلك بأن يعزم على شئ من
الخيرات والقربات ، ويكون فى عزمه نوع ميل وضعف وتردد يضاد الصدق
فى العزيمة ، وهذا أيضاً من رداءة قوة الشهوة .

وإما فى الوفاء بالعزم ، فإن النفس قد تسخو بالعزم فى الحال ، لعدم
مشقة فى الوعد ، فاذا حقت الحقائق ، وحصل التمكن ، وهاجت الشهوات ،
انحلت العزيمة ، ولم يتفق الوفاء بالعزم ، وهذا أيضاً من رذائل قوة الشهوة
ومن انواع الشره .

وإما فى الأعمال ، وهو ان تدل اعماله الظاهرة على أمر فى باطنه
لا يتصف هو به ، أى لا يكون باطنه مثل ظاهره ولا خيراً منه . وهذا غير
الرياء ، لأن المرأى هو الذى يقصد غير الله تعالى فى أعماله ، ورب واقف على

هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره سبحانه ، ولكن قلبه غافل عن الله وعن الصلاة ، فمن نظر الى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع والاستكانة ، يظن انه بشر اشرفه منقطع الى جناب ربه ، وحذف ما سواه عن صحيفة قلبه ، وهو بكليته عنه تعالى غافل ، والى أمر من أمور الدنيا متوجه . وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة الطمأنينة والوقار ، بحيث من يراه يجزم بأنه صاحب السكينة والوقار ، مع ان باطنه ليس موصوفاً بذلك . فمثل ذلك كاذب في عمله ، وان لم يكن مرئياً ملتفتاً الى الخلق ، ولا نجاة من هذا الكذب إلا باستواء السريرة والعلائية ، أو كون الباطن أحسن من الظاهر . وهذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوة الشهوة ، وربما كان من رذائل قوة الغضب ، وربما كان من رذامة القوة المدركة ، بأن كان باعته مجرد الوسواس .

وأما في مقامات الدين ، كالكذب في الخوف والرجاء ، والزهد والتقوى ، والحب والتعظيم ، والتوكل والتسليم ، وغير ذلك من الفضائل الخلقية ، فإن لها مبادئ يطلق الاسم بظهورها ، ثم لها حقائق ولوازم وغايات والصادق المحقق من نال حقائقها ولوازمها وغاياتها ، فمن لم يبلغها كان كاذباً فيها . مثلاً الخوف من الله تعالى له مبدأ هو الإيمان به سبحانه ، وحقيقة هو تألم الباطن واحتراقه ، ولوازم وآثار هي اصفرار اللون وارتعاد الفرائض وتكدر العيش وتقسم الفكر وغير ذلك ، وغايات هي الاجتناب عن المعاصي والسيئات والمواظبة على الطاعات والعبادات ، فمن آمن بالله تعالى صدق عليه كونه خائفاً منه خوفاً يطلق عليه الاسم ، إلا أنه إن لم تكن معه حرقة القلب وتكدر العيش والتشمير للعمل كان خوفاً كاذباً ، وإن كان معه ذلك كان خوفاً صادقاً ، أى بالغاً درجة الحقيقة ، قال امير المؤمنين - صلوات الله عليه - : إياكم

والكذب . فإن كل راج طالب ، وكل خائف هارب ، (١) : أى لا تكذبوا في ادعائكم الرجاء والخوف من الله ، وذلك لأن كل راج طالب لما يرجو ساع في أسبابه ، وأنتم لستم كذلك ، وكل خائف هارب مما يخاف منه ، مجتنب مما يقربه منه ، وأنتم لستم كذلك ، وهذا مثل قوله ﷺ في نهج البلاغة : « كذب والله العظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله ! وكل من رجا عرف رجاؤه إلا رجاء الله ، فانه مدخول ، وكل خوف محقق إلا خوف الله ، فانه معلول ... » (٢) .

ثم الكذب في كل مقام لما كان راجعاً الى عدمه ، فيكون رذيلة متعلقة بالقوة التي في هذا المقام فضيلة متعلقة بها . وبما ذكر يظهر : أن من له مبدأ الايمان ، اعنى الاقرار بالشهادتين ، وكان فاقداً لحقيقته ، اعنى اليقين القطعي بالمبدأ والمعاد ، أو للوازمه وغاياته ، اعنى الخوف الصادق منه تعالى والتعظيم الحقيقي له سبحانه والاهتمام البالغ في امتثال أوامره ونواهيه ، كان كاذباً في دعوى الايمان .

فصل

(ذم الكذب)

الكذب أقبح الذنوب وأفحشها ، وأخبث العيوب وأشنعها ، قال

الله سبحانه :

(١) صححنا الرواية على (اصول الكافي) : باب الكذب ، وعلى (البعار)

ج ٣ / ١٥ ، باب الكذب .

(٢) هذا الكلام مروى في (الوافي) : ٣ / ٤٠٩ باب الكذب وفي (البعار)

ج ٣ / ١٥ . وهو مروى عن (نهج البلاغة) كما صرح به العلامة المجلسي - قدس

سره - في الموضع المذكور .

لِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ « (١) .
 « فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ
 مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي الى
 الفجور ، والفجور يهدي الى النار . » وقال ﷺ : « المؤمن اذا كذب من
 غير عذر لعنه سبعون الف ملك ، وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش ،
 فيلعنه حملة العرش ، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية ، أهونها
 كمن زنى مع أمه ، (٣) . وسئل ﷺ : « يكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم !
 قيل : ويكون بخيلاً ؟ قال : نعم ! قيل ويكون كذاباً ؟ قال : لا ! ،
 وقال ﷺ : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت
 له به كاذب . » وقال ﷺ : « الكذب ينقص الرزق . » وقال ﷺ :
 « ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ! ويل له ويل له ! » . وقال
 ﷺ : « رأيت كأن رجلاً جاءني ، فقال لي : قم ، فقممت معه ، فاذا أنا
 برجلين أحدهما قائم والآخر جالس ، ويبد القائم كلوب من حديد يلقمه
 في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر
 فيمده ، فاذا مده رجع الآخر كما كان ، فقلت للذي أقامني : ما هذا ؟
 فقال : هذا رجل كذاب ، يعذب في قبره الى يوم القيامة . » وقال ﷺ :
 « ألا أخبركم باكبر الكبائر : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وقول
 الزور ، : أي الكذب . » وقال ﷺ : « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعده

(١) النحل ، الآية : ١٠٥ .

(٢) التوبة ، الآية : ٧٨ .

(٣) صحننا هذين الحديثين على (جامع الأخبار) : الباب ١٢ الفصل ٧٠ .

الملك منه مسيرة ميل من نين ما جاء به ، . وقال عليه السلام : « إن للشيطان كحلا ولهو قأ ونشوقاً . فاما لهو قه فالكذب ، واما نشوقه فالغضب ، واما كحله فالنوم ، (١) .
وقال روح الله لأصحابه : « من كثر كذبه ذهب بهاؤه . » وقال امير المؤمنين عليه السلام :
« لا يجد العبد طعم الايمان حتى يترك الكذب ، هزله وجده ، . وقال عليه السلام :
« أعظم الخطايا عند الله اللسان والكذب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، .
وقال علي بن الحسين - عليهما السلام - : « اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل ؛ فإن الرجل اذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير ، .
وقال ابو جعفر عليه السلام : « إن الله عز وجل جعل للشرا أقبالا ، وجعل مفاتيح تلك الأقبال الشراب ، والكذب شر من الشراب ، . وقال عليه السلام :
« الكذب هو خراب الايمان ، . وقال عليه السلام : « إن أول من يكذب الكذاب الله عز وجل ، ثم الملائكة اللذان معه ، ثم هو يعلم أنه كاذب ، . وقال الامام الزكي العسكري عليه السلام : « جعلت الحيئات كلها في بيت ، وجعل مفاتيحها الكذب ، . والأخبار الواردة في ذم الكذب أكثر من أن تحصى . وأشد أنواع الكذب إثماً ومعصية الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة ، وكفاه ذماً أنه يبطل الصوم ، ويوجب القضاء والكفارة على الأقوى .
قال الصادق عليه السلام : « إن الكذبة لتفطر الصائم ، قال الراوى : وأینما لا يكون ذلك منه ، قال : « ليس حيث ذهبت ، إنما الكذب على الله تعالى وعلى رسوله وعلى الأئمة - عليهم السلام - . » وقال عليه السلام : « الكذب على الله

(١) مثل مضمون هذه الرواية ورد في (الوسائل) في الموضوع الآتي الباب ١٣٨ .
وفي (المستدرک) في الموضوع الآتي . وفي (سفينة البحار) : ٢ : ٤٧٣ ، وفيه اختلاف عما في نسخ (جامع السماعات) ، فان الموجود بهذه الكتب بهذا النص : « ان لا يبس كحلا ولهو قأ وسهوطاً ، فكحله الزهاس ، ولهو قه الكذب ، وسهوطه السكر ، »

وعلى رسوله وعلى الأوصياء - عليهم السلام - من الكبائر ، و ذكر عنده
 ﷺ الحائك ، وكونه ملعوناً ، فقال : « إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله
 وعلى رسوله ، . وقال الباقر ﷺ : « لا تكذب علينا كذبة ، فتسلب
 الخيفية ، (١) .

فصل

(مسوغات الكذب)

الكذب حرام ؛ لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره ، أو
 لايجاب به اعتقاد المخاطب خلاف الواقع ، فيصير سبباً لجهله . وهذا القسم
 مع كونه أهون الدرجات وأقلها إثماً ، محرم أيضاً ، إذ إلقاء خلاف الواقع
 على الغير وسببية جهله غير جائز ، إلا أنه اذا كان مما يتوقف عليه تحصيل
 مصلحة مهمة ، ولم يمكن التوصل اليها بالصدق ، زالت حرمة وارتفع أثمه
 فان كانت المصلحة مما يجب تحصيلها ، كإنقاذ مسلم من القتل والاسر ، أو حفظ
 عرضه أو ماله المحترم ، كان الكذب فيه واجباً . وان كانت راجحة غير
 بالغة حد الوجوب ، فالكذب لتحصيلها مباح أو راجح مثلها ، كالأصلاح
 بين الناس والغلبة على العدو في الحرب ، وتطيب خاطر امرأته واسترضائها
 وقد وردت الأخبار المتكثرة بجواز الكذب اذا توقف عليه تحصيل هذه
 المقاصد الثلاثة ، كما روى : « ان رسول الله ﷺ لم يرخص في شيء من
 الكذب إلا في ثلاث : الرجل يقول القول يريد به الأصلاح ، والرجل يقول
 القول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها ، وقال

(١) صححنا أكثر الأحاديث هنا على (الوسائل) : الباب ١٣٨ - ١٤٠ من

ابواب أحكام العنرة ، وعلى (المستدرک) : ٢ / ١٠٠ - ١٠٢ . وعلى (اصول الكافي) :

باب الكذب ، وعلى (البتار) : ٣ مج ١٥ / ٣٥ ، باب الكذب .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : « لَيْسَ بِالْكَذَّابِ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا ، . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُلُّ الْكَذَّابِ يَكْتُبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ ، إِلَّا رَجُلًا كَذَبَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَصْلِحُ بَيْنَهُمَا . »
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُلُّ الْكَذَّابِ مَكْتُوبٌ كَذِبًا لَا مَحَالَةَ ، إِلَّا أَنْ يَكْذِبَ الرَّجُلُ فِي الْحَرْبِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ ، أَوْ يَكُونُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ شَحْنَاءَ فَيَصْلِحُ بَيْنَهُمَا ، أَوْ يَحْدُثُ أَمْرًا يَرْضِيهَا . » وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا كَذِبَ عَلَى الْمَصْلُوحِ . »
 وَقَالَ الصَّادِقُ ع : « كُلُّ كَذِبٍ مَسْئُولٌ عَنْهُ صَاحِبُهُ يَوْمًا ، إِلَّا كَذِبًا فِي ثَلَاثَةٍ : رَجُلٌ كَانَتْ فِي حَرْوَبِهِ ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُ . أَوْ رَجُلٌ لَصَلِحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَلْتَقِي هَذَا بغير ما يَلْتَقِي بِهِ هَذَا ، يَرِيدُ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحَ مَا بَيْنَهُمَا . أَوْ رَجُلٌ وَعَدَ أَهْلَهُ شَيْئًا وَهُوَ لَا يَرِيدُ أَنْ يَتِمَّ لَهُمْ ، . » وَقَالَ ع : « الْكَلَامُ ثَلَاثَةٌ : صَدَقَ وَكَذَبَ ، وَاصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ ، قِيلَ لَهُ : مَا الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ ؟ قَالَ : « تَسْمَعُ فِي الرَّجُلِ كَلَامًا يَبْلُغُهُ فَيَخْبِثُ نَفْسَهُ ، فَتَلْقَاهُ وَتَقُولُ : قَدْ سَمِعْتُ مِنْ فُلَانٍ فَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ كَذَا وَكَذَا ، خِلَافَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ ، (١) . » وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَخْبَارٌ أُخْرَى فِي هَذَا الْمَعْنَى .

وهذه الأخبار وإن اختلفت بالمقاصد الثلاثة ، إلا أن غيرها من المقاصد الضرورية التي فوقها أو مثلها في المصلحة يلحقها من باب الأولوية أو اتحاد الطريق . والأخبار التي وردت في ذم هتك السر وكشف العيوب والفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع ، وإن كان مطلعاً مع كونه كاذباً ، فلا اثم على أحد بصدور الكذب عنه إذا كان وسيلة إلى شيء من المقاصد الصحيحة الضرورية له أو لغيره من المسلمين ، فإن أخذه ظالم وسأله

(١) صححنا هذه الأخبار على (اصول الكافي) : باب الكذب . و (الوسائل) : كتاب الحج ، الباب ١٤١ من ابواب العمرة ، و (كنز العمال) : ٢ / ١٢٨ . و (احياء العلوم) : ٣ / ١١٩ .

عن ماله فله أن ينكر ، وإن أخذه سلطان وسأله عن فاحشة ارتكبتها بينه وبين الله فله أن ينكر ، وإن سئل عما يعمل به عن عيب أخيه أو سره فله أن ينكره ، ولو وقع بين اثنين فساد فله أن يكذب ، توسلاً إلى الإصلاح بينهما وكذا يجوز له للإصلاح بين الضرات من نسائه أن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه ، وإن كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد ما لا يقدر عليه ، يجوز أن يعدها في الحال تطيباً لقلبها ، وإن لم يكن صادقاً في وعده . ويلحق بالنساء الصبيان ، فإن الصبي إذا لم يرغب فيما يؤمر به من الكتابة وغيرها إلا بوعد أو وعيد وتخويف ، كان ذلك جائزاً ، وإن لم يكن في نيته الوفاء به . وكذا لو تكدر منه انسان ، وكان لا يطيب قلبه إلا بالاعتذار إليه ، بانكار ذنب واظهار زيادة تودد ، كان ذلك جائزاً ، وإن لم يكن صادقاً .

والحاصل : أن الكذب لدفع ضرر أو شر أو فساد جائز ، بشرط صحة القصد . وقد ورد : أن الكذب المباح يكتب ويحاسب عليه لتصحيح قصده ، فإن كان قصده صحيحاً يعني عنه ، وإلا يؤاخذ به . فينبغي أن يحتمد في تصحيح قصده ، وأن يحترز عنه ما لم يضطر إليه ، ويقتصر فيه على حد الواجب ، ولا يتعدى إلى ما يستغنى عنه .

ولا ريب في أن ما يجب ويضطر إليه هو الكذب لأمور في فواتها محذور واضرار ، وليس كل الكذب لزيادة المال والجاه وغير ذلك مما يستغنى عنه ، فإنه محرم قطعاً ، إذ فواته لا يوجب ضرراً وفساداً واعداماً للموجود بل إنما يوجب فوات حظ من حظوظ النفس . وكذلك فتوى العالم بما لا يحققه وفتوى من ليس له اهلية الافتاء ، اظهاراً للفضل أو طلباً للجاه والمال ، بل هو أشد أنواع الكذب إثماً وحرمة ، لأنه مع كونه كذباً لما يستغنى عنه ، كذب على الله وعلى رسوله .

فالكذب اذا كان وسيلة الى ما يستغنى عنه حرام مطلقاً ، واذا كان وسيلة الى ما لا يستغنى عنه ينبغي أن يوازن (١) محذور الكذب مع محذور الصدق ، فيترك أشدهما وقعاً في نظر الشرع . وبيان ذلك : أن الكذب في نفسه محذور ، والصدق في المواضع المذكورة يوجب محذوراً ، فينبغي أن يقابل أحد المحذورين بالآخر ، ويوازننا بالميزان القسط ، فان كان محذور الكذب أهون من محذور الصدق فله الكذب ، وإن كان محذور الصدق أهون وجب الصدق ، وقد يتقابل المحذوران بحيث يتردد فيهما ، وحينئذ فالميل الى الصدق أولى ، إذ الكذب أصله الحرمة ، وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة ، واذا شك في كون الحاجة مهمة ، لزم الرجوع الى أصل التحريم .

تفصيص

(التورية والمبالغة)

كل موضع يجوز فيه الكذب ، إن امكن عدم التصريح به والعدول الى التعريض والتورية ، كان الأولى ذلك . وما قيل : إن في المعارض لمندوحة عن الكذب ، وإن فيها ما يغنى الرجل عن الكذب ، ليس المراد به أنه يجوز التعريض بدون حاجة واضطرار ، إذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به ، لأن المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه ، وهذا موجود في الكذب بالمعارض . فالمراد أن التعريض يجوز

(١) لم يثبت لهذه الموازنة على عمومها دليل من الشرع ، وكل ما ثبت منه تلك المواضع المذكورة آنفاً ، التي جاز فيها الكذب ، وهي : الاصلاح والحرب والزوجة ، وفي الحصر بالمواضع الثلاثة في الروايات المتقدمة دليل على عدم جواز الكذب في غيرها ، لا سيما مثل قوله - عليه السلام - . « كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوماً ، إلا كذباً في ثلاثة ... » ولكن ثبت استثناء بعض المواضع ، كدفع الظلم ، فلا يتعداها .

إذا اضطر الانسان الى الكذب ، ومست الحاجة اليه ، واقتضته المصلحة في بعض الاحوال في تأديب النساء والصبيان ومن يجرى مجراهم ، وفي الحذر عن الظلمة والاشرار في قتال الأعداء . فمن اضطر الى الكذب في شئ من ذلك فهو جائز له ، لأن نطقه فيه إنما هو على مقتضى الحق والدين ، فهو في الحقيقة صادق ، وإن كان كلامه مفهما غير ما هو عليه ، لصدق نيته وصحة قصده و ارادته الخير والصلاح ، فمثل هذا النطق لا يكون خارجاً عن حقيقة الصدق ، إذ الصدق ليس مقصوداً لذاته ، بل للدلالة على الحق ، فلا ينظر الى قلبه وصورته ، بل الى معناه وحقيقته . نعم ، ينبغي له في هذه المواضع أن يعدل الى المعارض ما وجد اليه سبيلاً يصدق اللفظ حينئذ أيضاً وإن كان متشاركاً مع التصريح في تفهيم الشئ على خلاف ما هو عليه في الواقع . وقد كان رسول الله ﷺ إذا توجه الى سفر وراه بغيره ، لئلا ينتهي الخبر الى الأعداء فيقصدهونه .

وما يدل على جواز التعريض مع صحة النية ، ما روى في الاحتجاج :
 « أنه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام :
 « قال بل فعمله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » (١) .

قال : ما فعله كبيرهم وما كذب ابراهيم . قيل : وكيف ذلك ؟ فقال :
 إنما قال ابراهيم فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، أى إن نطقوا فكبيرهم فعل ، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً ، فما نطقوا وما كذب ابراهيم - عليه السلام - ،
 « وسئل عن قوله تعالى :

« أَيْتَهَا السِّعِيرُ لَكُمْ لَسَارِ قُونَ » (١)

قال : انهم سرقوا يوسف من أبيه ، ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا :
ماذا تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك ، ولم يقولوا : سرقت صواع
الملك . انما سرقوا يوسف من أبيه ، . « وسئل عن قول ابراهيم :
« فَتَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النَّجْمِ وَمِمْ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ » (٢)
قال : ما كان ابراهيم سقيما ، وما كاذب ، انما عني سقيما في دينه ،
اي مر تادا ، .

وطريق التعريض والتورية : أن يخبر المتكلم المخاطب بلفظ ذي احتمالين
أحدهما غير مطابق للواقع واظهر في المقام ، فيحمله المخاطب عليه ، وثانيهما
مطابق له يريد المتكلم ، كما ظهر من خبر الاحتجاج . ومن أمثله : أنه
إذا طلبك ظالم وانت في دارك ولا تريد الخروج اليه ، أن تقول لأحد أن
يضع اصبعه في موضع ويقول : ليس ههنا . وإذا بلغ عنك شيء الى رجل ،
وأردت تطيب قلبه من غير أن تكذب ، تقول له : ان الله ليعلم ما قلت من
ذلك من شيء ، على أن يكون لفظة (ما) عندك للإبهام ، وعند المستمع للنفي .
وقد ظهر مما ذكر : أن كل تعريض لغرض باطل كالتصريح في عدم الجواز ،
لأن فيه تقريراً للغير على ظن كاذب . نعم ، قد تباح المعارض لغرض
خفيف ، كتطيب قلب الغير بالمزاح ، كقول النبي ﷺ : « لا تدخل
الجنة عجوز ، و « في عين زوجك بياض ، و « نملكك على ولد بعير ، ...
وقس عليه أمثال ذلك .

ومن التكذب الذي يجوز ولا يوجب الفسق ، ماجرت به العادة في

(١) يوسف ، الآية : ٧٠

(٢) الصافات ، الآية : ٨٨ ، ٨٩

المبالغة ، كقولك : قلت لك كذا مائة مرة ، وطلبتك مائة مرة ، وأمثال ذلك لأنه لا يراد بذلك تفهيم المرات بعددها ، بل تفهيم المبالغة . فان لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا ، وان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم ، وان لم تبلغ مائة .

ومن الكذب الذى لا اثم عليه ما يكون فى أنواع المجاز والاستعارات والتشبيهات ، إذ الغرض تفهيم نوع من المناسبة والمبالغة ، لادعوى الحقيقة والمساواة من جميع الجهات .

ومن الكذب الذى جرت العادة به ، ويتساهل فيه ، قول الرجل اذا قيل له : كل الطعام : (لا اشتبهيه) ، مع كونه مشتبهياً له . وهذا منهى عنه كما تدل عليه بعض الاخبار ، إلا اذا كان فيه غرض صحيح ، وما جرت العادة به قول الرجل : (الله يعلم) فيما لا يعلمه ، وهو اشد أنواع الكذب ، قال عيسى - عليه السلام - : « إن من أعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد : ان الله يعلم لما لا يعلم ، ومن الكذب الذى عظم ذنبه ويتساهل فيه ، الكذب فى حكاية المنام ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « إن من اعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير أبيه ، أو يرى عينيه فى المنام ما لم ير ، أو يقول على ما لم أقل ، . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من كذب فى حلم ، كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعرتين » .

تنزيب

(شهادة الزور ، اليمين الكاذب ، خلف الوعد)

من أنواع الكذب واخفشها : شهادة الزور ، واليمين الكاذب ، وخلف الوعد .

ويدل على ذم الاول قوله تعالى فى صفة المؤمنين :

« وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا

كِرَامًا » (١).

وقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « شاهد الزور كما عبد الوثن » .
وعلى ذم الثاني قول النبي - صلى الله عليه وآله - : « التجارهم الفجار » ،
فقيل : يارسول الله ، أليس الله قد أحل البيع ؟ فقال : « نعم ! ولكنهم
يحلّفون فيأثمون ، ويحدّثون فيكذبون » . وقوله - صلى الله عليه وآله - :
« ثلاث نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم : المنان
بعطيته ، والمنفق سلّته بالخلف الفاجر ، والمسبل إزاره » . وقوله - صلى
الله عليه وآله - : « ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة ، إلا
كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة » . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « ثلاث
يشنأهم الله : التاجر او البايع الخلاف ، والفقير المختال ، والبخیل المنان » .
وعلى ذم الثالث قول النبي - صلى الله عليه وآله - : « من كان يؤمن بالله
وباليوم الآخر فليف اذا وعد ، وقول الصادق - عليه السلام - : « عدة
المؤمن أخاه نذر لا كفارة له ، فمن اخلف فبخلف الله تعالى بدأ ولمقتته
تعرض ، وذلك قواه تعالى :

« يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَالًا تَفْعَلُونَ . كَسْبُ

مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَالًا تَفْعَلُونَ » . (٢)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أربع من كن فيه كان منافقاً
ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق ، حتى يدعها : اذا حدث

كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاضم فجر ، . فمن وعد وكان عند الوعد عازماً على ألا يني ، أو كان عازماً على الوفاء وتركه بدون عذر ، فهو منافق . وأما إن عن له عذر من الوفاء ، لم يكن منافقاً وآثماً . وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ، فالأولى أن يحترز عن صورة النفاق ايضاً كما يحترز عن حقيقته ، وذلك بالأب لا يجزم في الوعد ، بل يعلقه على المشية ومثلها .

بِقَاط

(علاج الكذب)

طريق معالجة الكذب : أولاً : أن يتأمل في ما ورد في ذمه من الآيات والاحبار ، ليعلم أنه لو لم يتركه لأدركه الهلاك الأبدى . ثم يتذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب في الدنيا ولا يعتنى أحد بقوله ، وكثيراً ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه . ومن أسباب افتضاحه أن الله سبحانه يسلط عليه النسيان ، حتى أنه لو قال شيئاً ينسى أنه قاله ، فيقول خلاف ما قاله ، فيفتضح . وإلى ذلك أشار الصادق - عليه السلام - بقوله : « إن مما أعان الله به على الكذابين النسيان » . ثم يتأمل في الآيات والاحبار الواردة في مدح ضده ، أعني الصدق كما يأتي ، وبعد ذلك إن لم يكن عدواً لنفسه ، فليقدم التروى في كل كلام يريد أن يتكلم به ، فإن كان كذاباً يتركه وليجتنب مجالسة الفساق وأهل الكذب ، ويجالس الصالحاء وأهل الصدق .

وصل

(الصدق ومدحه)

ضد الكذب الصدق . وهو أشرف الصفات المرضية ، ورئيس الفضائل

النفسية ، وما ورد في مدحه وعظم فائدته من الآيات والأخبار مما لا يمكن احصاؤه ، قال الله سبحانه :

« رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عَلَيْهِ » (١). وقال: « لاتقوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » (٢). وقال: «الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ » (٣). وقال سبحانه: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُّثَمَّ كَمْ يَرْتَابُوا - إِلَى قَوْلِهِ - أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » (٤). وقال عز وجل: «وَلَسَنُكُنَّ لِلْيَبْرِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . ثُمَّ قَالَ : وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا » (٥) .

وقال رسول الله ﷺ : « تقبلوا الى بست اتقبل لكم بالجنة : اذا حدث احدكم فلا يكذب ، واذا وعد فلا يخلف ، واذا ائتمن فلا يخن وعضوا ابصاركم ، وكفوا ايديكم ، واحفظوا فروجكم ، . وعن الصادقين عليهم السلام - : « ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقا » . وعن الصادق عليه السلام قال : « كونوا دعاء الناس بالخير بغير أسنتكم ، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع ، . وعنه عليه السلام : « من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ، ومن حسن بره بأهل بيته مد له في عمره ، . وعنه عليه السلام قال : « لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده ، فان ذلك

(٤) الحجرات، الآية ١٥

(١) الاحزاب، الآية ٢٣

(٥) البقرة الآية ١٧٧

(٢) التوبة، الآية ١٢٠

(٣) آل عمران، الآية ١٧

شيء اعتاده ، ولو تركه لاستوحش لذلك ، ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء أمانته ، . وقال عليه السلام لبعض اصحابه : « انظر الى ما بلغ به علي - عليه السلام - عند رسول الله - صلى الله عليه وآله - فالزمه ، فان علياً - عليه السلام - انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله بصدق الحديث واداء الامانة ، . وعنه - عليه السلام - قال : « إن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر ، (١) . وقال - عليه السلام - : « اربع من كن فيه كمل ايمانه ولو كان ما بين قرنه الى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك - قال - : هي الصدق ، واداء الامانة ، والحياء ، وحسن الخلق ، . وقد وردت بهذه المضامين اخبار كثيرة اخر . ومن انواع الصدق الصدق في الشهادة ، وهو ضد شهادة الزور والصدق في اليمين ، وهو ضد الكذب فيه ، والوفاء بالعهد ، وهو ضد خلف الوعد ، وهذا القسم من الصدق ، أعنى الوفاء بالعهد ، أفضل أنواع الصدق القولى وأحبها ، ولذا اثني الله تعالى على نبيه اسماعيل به ، وقال :

« إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا » (٢) .

قيل : انه واعد انساناً في موضع فلم يرجع اليه ، فبقى اثنين وعشرين يوماً في انتظاره . وروى : « أنه بايع رجل رسول الله - صلى الله عليه وآله - ووعدته أن يأتيه في مكانه ذلك ، فنسى وعده في يومه وغده ، واتاه في اليوم الثالث وهو في مكانه ، . وقال رسول الله : « العدة دين ، . وقال عليه السلام :

« الوأى - أى الوعد - مثل الدين أو أفضل ، .

(١) صححنا اغلب الاحاديث على (اصول الكافي) : باب الصدق واداء الامانة . وعلى

(الوسائل) : كتاب الحج ، باب وجوب الصدق . وعلى (المستدرک) : ٢ / ٨٤ - ٨٩

تكميل

(أقسام الصدق)

الصدق كالكذب له أنواع ستة :

الاول - الصدق في القول ، وهو الاخبار عن الاشياء على ما هي عليه ، وكال هذا النوع بترك المعاريض من دون ضرورة ؛ حذراً من تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ، ورعاية معناه في الفاظه التي يناجى بها الله سبحانه ، فمن قال : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض ، وفي قلبه سواه ، أو قال : « اياك نعبد ، وهو يعبد الدنيا بتقيد قلبه بها ، إذ كل من تقيد قلبه بشيء فهو عبد له ، كما دلت عليه الاخبار ، فهو كاذب .

الثاني - الصدق في النية والارادة ، ويرجع ذلك الى الاخلاص ، وهو تمحيض النية وتخليصها لله ، بالألا يكون له باعث في طاعاته ، بل في جميع حركاته وسكناته ، إلا الله . فالشوب يبطله ويكذب صاحبه .

الثالث - الصدق في العزم ، أى الجزم على الخير : فان الانسان قد يقدم العزم على العمل ، ويقول في نفسه : إن رزقني الله كذا تصدقت منه كذا ، وإن خلصني الله من تلك البلية فعلت كذا . فان كان في باطنه جازماً على هذا العزم ، مصمماً على العمل بمقتضاه ، فعزمه صادق ، وإن كان في عزمه نوع ميل وضعف وتردد ، كان عزمه كاذباً ، إذ التردد في العزيمة يصاد الصدق فيها ، وكان الصدق هنا بمعنى القوة والتمامية ، كما يقال : لفلان شهوة صادقة ، أى قوة تامة ، أو شهوة كاذبة ، أى ناقصة ضعيفة .

الرابع - الصدق في الوفاء بالعزم : فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال ، إذ لامشقة في الوعد ، فاذا حان حين العمل بمقتضاه ، هاجت

الشهوات وتعارضت مع باعث الدين ، وربما غلبته بحيث انحلت العزيمة ولم يتفق الوفاء بمتعلق الوعد ، وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال الله سبحانه :

« رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليهِ » (١) .

الخامس - الصدق في الاعمال : وهو تطابق الباطن والظاهر ، واستواء السريرة والعلانية ، أو كون الباطن خيراً من الظاهر ، بالأدلة أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به ، لا بأن يترك الاعمال ، بل بأن يستجر الباطن الى تصديق الظاهر . وهذا اعلى مراتب الاخلاص ، لإمكان تحقق نوع من الاخلاص بما دون ذلك ، وهو أن يخالف الباطن الظاهر من دون قصد ، فإن ذلك ليس رياء . فلا يمتنع صدق اسم الاخلاص عليه . توضيح ذلك : أن الرياء هو أن تقصد غير الله سبحانه في الاعمال ، وقد تصدر عن انسان اعمال ظاهرة تدل على أنه صاحب فضيلة باطنة ، من التوجه الى الله والانس به ، أو السكينة والوقار ، أو التسليم والرضا وغير ذلك ، مع أنه فاقد لها ، لحصول الغلبة المانعة عن تحققها ، أو اتفاق صدور الاعمال الظاهرة بهذه الهيئة من دون أن يقصد بها مشاهدة غيره سبحانه ، فهذا غير صادق في عمله ، كاذب في دلالة الظاهر على الباطن . وإن لم يكن مرئياً ولا ملتفتاً الى الخلق ، فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كانت من قصد سميت رياء ، ويفوت بها الاخلاص ، وان كانت من غير قصد سميت كذباً ويفوت بها الصدق ، وربما لم يفوت بها بعض مراتب الاخلاص . وهذا النوع من الصدق - اعني مساواة السر والعلانية أو كونه خيراً منها - أعز من الانواع السابقة عليه ، ولذلك كرر طلبه من الله سيد الرسل - صلى الله عليه وآله -

في دعواته بقوله : « اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي ، واجعل علانيتي
صالحة ، . وورد : « أنه اذا ساوت سريرة المؤمن علانيته ، باهى الله به
الملائكة ، يقول : هذا عبدى حقاً ، . وكان بعض الأكابر يقول : « من
يدلني على بقاء بالليل بسام بالنهار؟ ، . ولانعم ما قيل :

اذا السر والاعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
وان خالف الاعلان سرّاً فما له على سعيه فضل سوى الكيد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافع ومغشوشه المردود لا يقتضى المنى
ومن جملة هذا الصدق : موافقة القول والفعل ، فلا يقول ما لا يفعل
ولا يأمر بما لا يعمل . فمن وعظ ولم يتعظ في نفسه كان كاذباً . ومن هنا
قال امير المؤمنين - عليه السلام - : « انى والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم
اليها ، ولا انهاكم عن معصية الا واتهاى قبلكم عنها ، .

السادس - الصدق في مقامات الدين : من الصبر ، والشكر ،
والتوكل ، والحب ، والرجاء ، والخوف ، والزهد ، والتعظيم ، والرضا
والتسليم ، وغير ذلك . وهو اعلى درجات الصدق واعزها ، فمن اتصف
بحقائق هذه المقامات ولو ازمها وآثارها وغاياتها فهو الصديق الحق ، ومن كان
له فيها مجرد ما يطلق عليه الاسم دون اتصافه بحقائقها وآثارها وغاياتها فهو
كاذب فيها . أما ترى أن من خاف سلطاناً أو غيره كيف يصفر لونه ويتعذر
عليه أكله ونومه ويتنقص عليه عيشه ويتفرق عليه فكره وترتعد فرائضه
وتزلزل اركانه وجوانبه ؟ وقد ينزح عن وطنه ويفترق عن أهله وولده ،
فيستبدل بالانس الوحشة ، وبالراحة التعب والمشقة ، فيعترض للاخطار
ويختار مشقة الاسفار ، كل ذلك من درك المحذور . فمثل هذا الخوف هو
الخوف الصادق المحقق . ثم ان من يدعى الخوف من الله أو من النار ، ولا

يظهر عليه شيء من ذلك عند ارادة المعصية وصدورها عنه ، نخوفه خوف كاذب . قال النبي - صلى الله عليه وآله - : « لم أر مثل النار نام هاربها ، ولم أر مثل الجنة نام طالبها ، » .

ثم لا غاية لهذه المقدمات حتى يمكن لأحد أن ينال غايتها ، بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله ومرتبته ، فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه غير متناهية ، فلذلك لما رأى النبي - صلى الله عليه وآله - جبرئيل على صورته الاصلية ، خر مغشياً عليه ، وقال - بعد عودته الى صورته الاولى وافاقته - : « ما ظننت أحداً من خلق الله هكذا ! قال له : فكيف لو رأيت اسرافيل ؟ إن العرش على كاهله ، وإن رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى ، وأنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع ! ، : أى كالعصفور الصغير . وقال - صلى الله عليه وآله - : « مررت ليلة أسرى بي - أنا وجبرئيل - بالملأ الأعلى كالحلس البالي من خشية الله ، : أى كالكساء الذى يلقى على ظهر البعير . فانظر الى اعظم الملائكة والنبين ، كيف تصير حالهم من شدة الخشية والتعظيم ، وهذا إنما هو لقوة معرفتهم بعظمة الله وجلاله ، وفوق ما لم يدركوه من عظمتهم وقدرته مراتب غير متناهية . فاختلف الناس فى مراتب الخوف والتعظيم والحب والانس إنما هو بحسب اختلافهم فى معرفة الله ، وليس يمكن أن يوجد من بلغ غايتها ، فاختلف الناس إنما هو فى القدر الذى يمكن أن يبلغ اليه ، والبلوغ اليه فى الجميع أيضاً مآدر ، فالصادق فى جميع المقامات عزيز جداً .

ومن علامات هذا الصدق : كتمان المصائب والطاعات جميعاً ، وكراهة اطلاع الخلق عليها . وقد روى : « أن الله تعالى أوحى الى موسى ﷺ : إني إذا أحببت عبداً ابتليته ببلايا لا تقوى لها الجبال ، لأنظر كيف صدقه ، فان

وجدته صابراً اتخذته ولياً وحبیباً ، وان وجدته جزوعاً يشكونى الى خلقتي خذلتته ولم ابال . وقال الصادق - عليه السلام - : « اذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب ، فانظر في صدق معنك وعقد دعواك ، وعيرهما بقسطاس من الله عز وجل كأنك في القيامة ، قال الله عز وجل :

« وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ » (١)

فاذا اعتدل معنك بغور دعواك ثبت لك الصدق . وادنى حد الصدق ألا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع لروحه ، إن لم ينزع فإذا يصنع ، (٢) .

تفصیل

(اللسان أضر الجوارح)

اعلم أن اكثر ما تقدم من الرذائل المذكورة في هذا المقام : من الكذب والغيبة ، والبهتان ، والشهانة ، والسخرية ، والمزاح وغيرها ، وفي المقام الثالث - اعنى التكلم بما لا يعنى والفضول والخوض في الباطل - من آفات اللسان وهو اضر الجوارح بالإنسان ، وأعظمها اهلاكاً له ، وآفاته اكثر من آفات سائر الأعضاء ، وهى وان كانت من المعاصى الظاهرة ، إلا أنها تؤدى الى مساوىء الأخلاق والممسكات . إذ الأخلاق انما ترسخ في النفس بتكرير الأعمال ، والأعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح ، وكل جارحة تصلح لأن تصدر منها الأعمال الحمسة الجالبة للأخلاق الجميلة ، وأن تصدر منها الأعمال القبيحة المورثة للأخلاق السيئة ، فلا بد من مراعاة القلب

(١) الاعراف ، الآية : ٧ .

(٢) هذا الحديث في (مصباح العريفة) : الباب ٧٥ فصحته عليه .

والجوارح مما بصرفهما الى الخيرات ومنعهما من الشرور . وعمدة ما تصدر منه الذمائم الظاهرة المؤدية الى الرذائل الباطنية هو اللسان ، وهو أعظم آفة للشيطان في استغواء نوع الانسان ، فراقبته اهم ، ومحافظته واجب وألزم . والسرفيه - كما قيل - : أنه من نعم الله العظيمة ، ولطائف صنعه الغريبة ، فانه وإن كان صغيراً جرمه ، عظيم طاعته وجرمه ، إذ لا يتبين الايمان والكفر إلا بشهادته ، ولا يهتدى الى شيء من امور النشأتين إلا بدلالته ، وما من موجود او معدوم إلا وهو يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفي ، اذ كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق أو باطل ، ولا شيء إلا والعلم يتناوله . وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء ، اذ العين لاتصل الى غير الالوان والصور ، والاذن لاتصل الى غير الأصوات ، واليد لاتصل الى غير الأجسام ، وكذا سائر الاعضاء ، واللسان رحب الميدان وسيع الجولان ، ليس له مرد ، ولا مجاله منتهى ولا حد ، فله في الخير مجال رحب ، وفي الشر ذيل سحج ، فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان ، وأوقعه في اودية الضلالة والخذلان ، وساقه الله شفا جرف هار ، الى أن يضطره الى الهلاك والبوار ، ولذلك قال سيد الرسل ﷺ : هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ (١) . فلا ينجى من شر اللسان الا أن يقيد بلجام الشرع ، ولا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ، ويكف عن كل ما يخشى غائلته في العاجلة والآجلة ، وعلم ما يحمده اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز ، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير ، وهو اعصى الاعضاء على الانسان ، اذ لاتعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه ، فلا يجوز التساهل في الاحتراز عن آفاته وغوائله ، وفي الحذر

(١) رواه في « اصول الكافي » : باب الصمت وحفظ اللسان ، فصحناه عليه .

عن مصائده وحبائله .

والآيات والأخبار الواردة في ذمه وفي كثرة آفاته وفي الأمر بمحافظته
والتحذير عنه كثيرة ، وهي بعمومها تدل على ذم جميع آفاته بما مر وما يأتي .
قال الله سبحانه :

« مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » (١) . وقال :
« لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ، إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ » (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من يتكفل لي بما بين لحييه
ورجليه ، اتكفل له بالجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من وتى
شر قببه وذنبه ولقلقه ، فقد وتى » (٣) : والقبب : البطن ، والذنب :
الفرج ، والقلق : اللسان . وقيل له - صلى الله عليه وآله - : « ما النجاة ؟
قال : إملك عليك لسانك » . وقال ﷺ : « أكبر ما يدخل الناس النار
الاجوفان : الفم ، والفرج ، والمراد بالفم : اللسان . وقال ﷺ : « وهل
يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ » . وقال له رجل :
« ما أخوف ما يخاف على ؟ فاخذ بلسانه ، وقال : هذا » . وقال ﷺ :
« لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .
وقال ﷺ : « إذا أصبح ابن آدم أصبحت أعضاؤه كلها تكفر اللسان ،
فتقول : اتق الله فينا ، فانما نحن بك ، فان استقامت استقمنا ، وإن اعوججت

(٣) تقدم هذا الحديث في ٤/٢ .

(١) ق ٣ ، الآية : ١٨ .

(٢) النساء ، الآية : ١١٣ .

اعوججنا، (١). « وقال له رجل : أوصني ! فقال ﷺ : أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى ، وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله - وأشار بيده الى لسانه . وقال ﷺ : « ان الله عند لسان كل قائل ، فليتق الله امرؤ على ما يقول . » وقال ﷺ : « من لم يحسب كلامه من عمله ، كثرت خطاياہ وحضر عذابه . » وقال - صلى الله عليه وآله - : « يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذبه به شيئاً من الجوارح ، فيقول : أى رب ! عذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح . فيقال له : خرجت منك كلمة بلغت مشارق الارض ومغاربها ، فسفك بها الدم الحرام ، وانتهب بها المال الحرام ، وانتهك بها الفرج الحرام . وعزتي وجلالى ! لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك ! » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ان كان فى شىء شوم فى اللسان ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل يتكلم بفضول الكلام : « يا هذا ! إنك تملى على حافظيك كتاباً الى ربك ، فتكلم بما يعينك ، ودع ما لا يعينك ، (٢) . وقال امير المؤمنين عليه السلام : « المرء مخبوء تحت لسانه ، فزن كلامك ، واعرضه على العقل والمعرفة ، فان كان لله وفى الله فتكلم ، وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه ، وليس على الجوارح عبادة أخف مؤنة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله كلام فيه رضى الله عز وجل ولو جهه ونشر آلائه ونعمائه فى عباده ، ألا ان الله لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام ، وكذلك بين

(١) صحیحنا الحديث على (كنز العمال) : ١١١ / ٢ .

(٢) صحیحنا الاحاديث الاربعه على (اصول الكافي) : باب الصمت وحفظ اللسان .

وعلى (الوافي) : ٣٤٠ / ٢ . وعلى (البحار) ٣ مج ١٥ / ١٨٨ ، ١٨٩ ، باب السكوت والصمت .

الرسول والامم ، فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل (والكف والعبادة) (١) . وكذلك لامعصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدّها ملامة وأعجلها سامة عند الخلق منه ، واللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب ، وبه ينكشف ما في سر الباطن ، وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة ، والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله ، وليس شيء أحق بطول السجن من اللسان ، (٢) . وقال السجاد - عليه السلام - : « إن لسان ابن آدم يشرف في كل يوم على جوارحه كل صباح ، فيقول : كيف أصبحتم ؟ فيقولون بخير ان تركتنا ! ويقولون : الله الله فينا ! ويناشدونه ويقولون : انما نتاب ونعاقب بك » . وقال الصادق عليه السلام : « ما من يوم إلا وكل عضو من اعضاء الجسد يكفر باللسان ، يقول : نشدتك الله أن نعذب فيك ! » (٣) .

تتميم

(الصمت)

لما علمت كون اللسان شر الأعضاء وكثرة آفاته وذمه ، فاعلم أنه لانجاة من خطره إلا بالصمت ، وقد اشير فيما سبق : أن الصمت ضد لجميع آفات اللسان ، وبالمواظبة عليه تزول كلها ، وهو من فضائل قوة الغضب أو الشهوة ، وفضيلته عظيمة وفوائده جسيمة ، فان فيه جمع الهيم ، ودوام الوقار ،

(١) وفي نسخ (جامع السماعات) : « وألطف العبادة » .

(٢) صححنا الحديث على (مصباح الصريفة) : الباب ٤٦ .

(٣) الحديثان الاخيران مرويان في (الكافي) : ج ٢ باب للصمت . قال في (الوافي)

٣٤٠/٢ : « يكفر اللسان : أى بذلك ويخضع . والتكفير : هو ان ينحني الانسان ويطأطأ

رأسه قريباً من الركوع » .

والفراغ للعبادة والفكر والذكر ، وللسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسناته في الآخرة . ولذا مدحه الشرع وحث عليه ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من صمت نجما » . وقال : « الصمت حكم ، وقليل فاعله » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من كلف لسانه ستر الله عورته » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن : الصمت وحسن الخلق » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو وليسكت » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « رحم الله عبداً تكلم خيراً فغنم ، أو سكت عن سوء فسلم » . وجاء إليه - صلى الله عليه وآله - أعرابي وقال : « دنى على عمل يدخلني الجنة » . قال : اطعم الجائع واسق الظمان ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فإن لم تطق ، فكف لسانك إلا من خير » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اخزن لسانك إلا من خير ، فانك بذلك تغلب الشيطان » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اذا رأيت المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه ، فانه يلقي الحكمة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الناس ثلاثة : غانم ، وسالم ، وشاحب ، فالغانم : الذي يذكر الله ، والسالم : الساكت ، والشاحب : الذي يخوض في الباطل » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن لسان المؤمن وراء قلبه ، فاذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ، ثم أمضاه بلسانه . وإن لسان المنافق امام قلبه ، فاذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أمسك لسانك ، فانها صدقة تصدق بها على نفسك » . ثم قال : « ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه » . وقال - صلى الله عليه وآله - لرجل اتاه : « ألا أدلك على امر يدخلك الله به الجنة ؟ قال : بلى يا رسول الله ! قال : أنزل مما أنالك الله ! قال : فان كنت احوج من انيله ؟ قال : فانصر المظلوم . قال : فان كنت أضعف من

أنصره ، قال : فاصنع الأخرق - يعني أشر عليه - . قال : فان كنت أخرج من أصنع له . قال : فاصمت لسانك إلا من خير ، أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك الى الجنة ؟ . وقال عليه السلام : « نجاة المؤمن - حفظ لسانه ، . وجاء رجل اليه عليه السلام فقال : « يا رسول الله أوصني ا قال : احفظ لسانك . قال : يا رسول الله اوصني ا قال : احفظ لسانك . قال : يا رسول الله اوصني ا قال : احفظ لسانك . ويحك ا وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ . »

وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام : « دلنا على عمل ندخل به الجنة . قال : لا تنطقوا أبداً . قالوا : لانستطيع ذلك . قال : فلا تنطقوا إلا بخير ، . وقال - عليه السلام - أيضاً : « والعبادة عشرة اجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وجزء في الفرار عن الناس ، . وقال : « لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله ، فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولسكن لا يعلمون ، . وقال لقمان لابنه : « يا بني ، إن كنت زعمت أن الكلام من فضة ، فان السكوت من ذهب ، . »

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام : « كان أبو ذر يقول : يامبتغي العلم ، إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك ، . وقال عليه السلام : « إنما شيعتنا الخرس ، . وقال الصادق عليه السلام لمولى له يقال له (سالم) - بعد أن وضع يده على شفثيه - : « يا سالم ، احفظ لسانك تسلم ، ولا تحمل الناس على رقابنا ، . وقال عليه السلام : « في حكمة آل داود : على العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظاً للسانه ، . وقال عليه السلام : « لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكتا ، فاذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً ، . وقال عليه السلام : « النوم راحة للجسد ، والنطق راحة للروح ،

والسكوت راحة للعقل ، . وقال عليه السلام : « الصمت كنز وافر ، وزين الحليم ، وستر الجاهل ، . وقال ابو الحسن الرضا عليه السلام : « احفظ لسانك تعز ، ولا تتمكن الناس من قيادك فتذل رقيبتك ، . وقال عليه السلام : « من علامات الفقه: الحلم ، والعلم ، والصمت ، ان الصمت باب من أبواب الحكمة ، ان الصمت يكسب المحبة ، انه دليل على كل خير ، . وقال عليه السلام : « كان الرجل من بني اسرائيل اذا اراد العبادة صمت قبل ذلك بعشر سنين ، (١) .

وفي (مصباح الشريعة) عن مولانا الصادق عليه السلام قال : « الصمت شعار المحققين بحقائق ماسبق وجف القلم به ، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة ، وفيه رضا الرب ، وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلازل وقد جعله الله سترًا على الجاهل وزيناً للعالم ، ومعه عزل الهوى ، ورياضة النفس ، وحلاوة العبادة ، وزوال قسوة القلب ، والعفاف والمرورة والظرف . فاغلق باب لسانك عما لك منه بد ، لاسيما اذا لم تجد أهلاً للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله . وكان ربيع بن خيثم يضع قرطاساً بين يديه ، فيكتب كل ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه عشية ، ماله وما عليه ، ويقول : آه آه انجا الصامتون وبقينا . وكان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضع الحصاة في فمه ، فاذا اراد ان يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجهما . وان كثيرًا من الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يتنفسون تنفس الغرقى ، ويتكلمون شبه المرضى . وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت . فطوبى لمن

(١) صححنا الاحاديث هنا على (اصول الكافي) : باب الصمت ، وعلى (الوسائل) كتاب الحج ، الباب ١١٧ من احكام العمرة . وعلى (المنتدك) ٢ / ٨٨ ، ٨٩ . وعلى (سفينة البحار) : ٢ / ٥٠ ، ٥١ . وعلى (البحار) ٢ ج ١٥ / ١٨٩ باب السكوت والصمت . وعلى (احياء العلوم) : ٣ / ٩٣ - ٩٥ . وعلى (كنز العمال) : ٢ / ٧٢

رزق معرفة عيب الكلام وهوائه ، وعلم الصمت وفوائده ! فان ذلك من أخلاق الانبياء وشعار الاصفياء . ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت ومن أشرف على مافى لطائف الصمت واؤتمن على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ، ولا يطلع على عبادته هذه إلا الملك الجبار ، . (١)

وقد ظهر من هذه الاخبار : أن الصمت مع سهولته أنفع للانسان من كل عمل ، وكيف لا يكون كذلك ، وخطر اللسان الذى هو أعظم الاخطار وآفاته التى هى أشد المهلكات لا يندسد إلا به ؟ والكلام وان كان فى بعضه فوائد وعوائد ، إلا أن الامتياز بين الممدوح والمذموم منه مشكل ، ومع الامتياز فالإقتصار على مجرد الممدوح عند اطلاق اللسان أشكل ، وحينئذ فالصمت عما لا جزم بتضمنه للخير والثواب من الكلام أولى وأنفع .

وقد نقل : د أن أربعة من أذكيا الملوك - ملك الهند ، وملك الصين ، وكسرى ، وقبصر - تلاقوا فى وقت ، فاجتمعوا على ذم الكلام ومدح الصمت فقال أحدهم : أنا أندم على ماقلت ولا أندم على ما لم أقل . وقال الآخر : إني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها ، واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني . وقال الثالث : عجبت للمتكلم ، ان رجعت عليه كلمته ضرته ، وان لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ماقلت . ومنها :

حب الجاه والشهرة

والمراد بالشهرة : انتشار الصيت ، ومعنى الجاه : ملك القلوب

وتسخيرها بالتعظيم والاطاعة والانقياد له . وبعبارة اخرى : قيام المنزلة في قلوب الناس ، وانما تصير القلوب مملوكة مسخرة للشخص ، باشتغالها على اعتقاد اتصافه بكل حقيقى ، أو بما يظنه كمالا ، من علم وعبادة ، أو ورع وزهادة ، أو قوة وشجاعة ، أو بذل وسخاوة ، أو سلطنة وولاية ، أو منصب ورياسة ، أو غنى ومال ، أو حسن وجمال ، أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالا . وتسخير القلوب وانقيادها على قدر اعتقادها ، وبحسب درجة ذلك الكمال عندها ، فبقدر ما يعتقد أرباب القلوب تدعن له قلوبهم ، وبقدر ادعائها تكون قدرته عليهم ، وبقدر قدرته يكون فرحه ووجهه للجاه . ثم تلك القلوب تبعث أربابها على المدح والثناء ، فان المعتقد للكمال لايسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه ، وعلى الخدمة والاعانة ، فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده ، وعلى الايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والابتداء بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد .

(تنبيه) : حب الجاه والشهرة إن كان من حيث إيجابها الغلبة والاستيلاء حتى ترجع حقيقة الى حبهما ، وكان طالبها طالبا لها ، فهو من رذائل قوة الغضب ، وان كان من حيث التوصل بهما الى قضاء الشهوات وحظوظ النفس البهيمية ، فهو من رذائل قوة الشهوة ، وإن كان من الحيثيتين فهو من رذائلهما بالاشتراك ، بمعنى مدخلية كل منهما في حدوث خصوص هذه الصفة . والاصل اشتراك القوتين في حدوث حب الجاه والشهرة - كما ذكرناه في جملة ما يتعلق بهما معا - بخلاف حب المال ، فان الغالب أن حبه من حيث التوصل به الى قضاء حظوظ القوة الشهوية ، وكونه مجرد الاستيلاء عليه بالمالكية والتمكن على التصرف فيه نادر ، ولذا ذكرناه فيما يتعلق بقوة الشهوة .

فصل

(ذم حب الجاه والشهرة)

اعلم ان حب الجاه والشهرة من المهلكات العظيمة ، وطالبيها طالب الآفات الدنيوية والاخروية ، ومن اشتهر اسمه وانتشر صيته لا يكاد أن تسلم دنياه وعقباه ، إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه . ولذا ورد في ذمها ما لا يمكن احصاؤه من الآيات والاخبار : قال الله سبحانه :

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْمَعُ لَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فسادًا » (١) . وقال : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٢)

وهذا بعمومه متناول لحب الجاه ، لأنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكبر زينة من زينتها .

وقال رسول الله ﷺ : « حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ، . وقال ﷺ : « ما ذنبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم باكثر فساداً من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم ، . وقال ﷺ :

« حسب امرى من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس إليه بالأصابع » .
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « تبذل ولا تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر ،
وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تسر الأبرار وتغيظ الفجار » . وقال الباقر
- عليه السلام - . « لا تطلبن الرياسة ولا تكن ذنباً ، ولا تأكل الناس بنا
فيفقرك الله » . وقال الصادق - عليه السلام - : « اياكم وهؤلاء الرؤساء
الذين يتراسون ، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك » .
وقال - عليه السلام - : « ملعون من ترأس ، ملعون من هم بها ، ملعون
من حدث بها نفسه ! » . وقال - عليه السلام - : « من أراد الرياسة هلك » .
وقال - عليه السلام - : « أترى لأعرف خياركم من شراركم ؟ بلى والله إن
شراركم من أحب أن يوطأ عقبه ، أنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأى » (١) .
والأخبار بهذه المضامين كثيرة ، وللكثرة آفاتنا لا يزال اكابر العلماء
وأعظم الاتقياء يفرون منهما فرار الرجل من الحية السوداء ، حتى أن
بعضهم اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام من مجلسه ، وبعضهم يبكي لأجل
أن اسمه بلغ المسجد الجامع ، وبعضهم اذا تبعه اناس من عقبه التفت اليهم
وقال : « على م تتبعونى ، فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابى ماتبعنى منكم
رجلان » . وبعضهم يقول : « لا أعرف رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب
دينه وافتضح » . وآخر يقول : « لا يجد حلاوة الآخر رجل يحب أن يعرفه
الناس » . وآخر يقول : « والله ما صدق الله عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه » .
ومن فساد حب الجاه : أن من غلب على قلبه حب الجاه ، صار مقصور
الهم على مراعاة الخلق ، مشغوفاً بالتودد اليهم والمرآة لأجلهم ، ولا يزال

(١) الاحاديث الخمسة الاخيرة صححتها على (اصول الكافي) : باب طلب الرياسة .

و (الوسائل) : كتاب الجهاد ، الباب ٤٩ من ابواب جهاد النفس .

في أقواله وأفعاله متلفتاً الى ما يعظم منزلته عندهم ، وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ، ويجر لاجالة الى التساهل في العبادات والمرآة بها ، والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص القلوب ، ولذلك شبه رسول الله حب الشرف والمال وفسادهما للدين بذئبين ضارين ، وقال : « إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل » ، إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل ، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس يضطر الى النفاق معهم ، والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها ، وذلك عين النفاق .

فصل

(الجاه أحب من المال)

إن لملك القلوب ترجيح على ملك المال بوجوه :
 الأول — أن المال معرض التلف والزوال ، لأنه يفسد ويسرق وتطمع فيه الملوكة والظلمة ، ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة ، وتتطرق اليه أخطار كثيرة . وأما القلوب اذا ملكت ، فهي من هذه الآفات محفوزة نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقي أو الوهمي .

الثاني — ان التوصل بالجاه الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه ، فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب ، لو قصد اكتساب المال ييسر له بسهولة ، لأن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ، ومبذولة لمن اذعنت له بالانقياد واعتقدت فيه أوصاف الكمال ، وأما الخسيس العارى عن الكمال اذا ظفر بكثرة من المال ولم يكن له جاه يحفظ به ماله وأراد ان يتوصل به الى الجاه ، لم ييسر له .

الثالث - أن ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومشقة ، إذ القلوب اذا أذعنت بشخص واعتقدت اتصافه بعلم او عمل أو غيره ، أفصححت الالسنه بما فيها لالمحالة ، فيصف مايعتقده لغيره وهو أيضا يذعن به ويصفه لآخر ، فلا يزال يستطار في الاقطار ، ويسرى من واحد الى واحد ، الى أن يجتمع معظم القلوب على التعميم والقبول . وأما المال ، فمن ملك شيئاً منه فلا يقدر على استنائه إلا بتعب ومقاساة . ولهذه الوجوه تستحقر الأموال في مقابلة عظم الجاه وانتشار الهيبه وانطلاق الالسنه بالمدح والثناء .

فصل

(لا بد للانسان من جاه)

كما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والملبس والمسكن ومثله ليس بمذموم ، فكذلك لا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق ، إذ الانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال الذي يباع به الطعام فكذلك لا يستغنى عن خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار ، فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المنزلة ما يدعوه الى الخدمة وفي قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ، وفي قلب السلطان من المحل ما يدفع به الشر عنه ، ليس بمذموم . إذ الجاه كالمال وسيلة الى الاغراض ، فلا فرق بينهما ، إلا أن هذا يقضى الى ألا يكون المال والجاه محبوبين باعيا بينهما بل من حيث التوصل بهما الى غيرهما . ولا ريب في أن كل ما يراد به التوصل الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه دون الوسيلة .

ومثل هذا الحب مثل حب الانسان أن يكون في داره بيت الخلاء لقضاء حاجته ، ولو استغنى عن قضاء الحاجة ولم يضطر اليه ، كره اشتغال داره على بيت الخلاء ، ومثل أن يحب زوجته ليدفع بها فضلة الشهوة ، ولو كفى مؤنة الشهوة لأحب مهاجرتها ، وإذا كان حبهما لضرورة البدن والمعيشة لاذاتهما ، لم يكن مذموماً ، والمذموم أن يحبهما لذاتهما . وفيما يجاوز ضرورة البدن كحب زوجته لذاتها حب العشاق حتى لو كفى مؤنة الشهوة لبقى مستصحباً لحبها .

ثم حبهما باعيانتهما وان كان مذموماً مرجوحاً ، لكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية ، وما لم يتوصل الى اكتسابهما بالكذب وخداع وتلبيس ، كأن يظهر للناس قولاً أو فعلاً اعتقدوا لأجله اتصافه بوصف ليس فيه ، مثل العلم والورع أو علو النسب ، وبذلك يطلب قيام المنزلة في قلوبهم ، وما لم يتوصل الى اكتسابهما بعبادة ، إذالتوصل الى المال والجاه بالعبادة جنائية على الدين وهو حرام ، واليه يرجع معنى الرياء المحظور ، كما يأتي .

وأما طلبهما بصفة هو متصف بها ، فهو مباح غير مذموم ، وذلك

كقول يوسف عليه السلام :

« اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم » (١)

حيث طلب المنزلة في قلب الملك بكونه حفيظاً عليمًا ، وكان صادقاً في قوله . وكذا طلبهما باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه ، حتى لا يعلمه فلا تنزل به منزلته في قلبه ، مباح غير مذموم ، إذ حفظ الستر على القبائح

جائز ، بل لا يجوز هتك الستر و اظهار القبيح ، وهذا ليس فيه كذب و تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لافائدة للعلم به ، كالذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع ، فان قوله إنه ورع تلبيس ، و عدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع ، بل يمنع العلم بالشرب ، وهو جائز شرعا و عقلا .

فصل

(دفع اشكال فى حب المال و الجاه)

إن قيل : الوجه فى حبهما بالعرض و فى حب قدر ما يضطر اليهما فى المعيشة و ضرورة البدن ظاهر ، فما الوجه فى حبهما باعيانهم و فى حب الزائد عن قدر الضرورة منهما ؟ كحب جمع المال ، و كئز الكنوز ، و ادخار الذخائر ، و استكثار الخزائن وراء جميع الحاجات ، و حب اتساع الجاه و انتشار الصيت الى اقاصى البلاد التى يعلم قطعاً أنه قط لا يطؤها ولا يشاهد أهلها ليعظموه و يعينوه على غرض من أغراضه ، فانه مع ذلك يلتذ به غاية الالتذاد و يسر به غاية السرور ، حتى لا يجد فى نفسه لذة أقوى منه ، و يراه فوق جميع لذاته و ابتهاجاته .

قلنا : الوجه فى ذلك أمران :

الاول — دفع ألم الخوف الناشئ من سوء الظن و طول الامل . فان الانسان وإن كان له من المال ما يكفيه فى الحال ، إلا أنه لطول أمله قد يخاطر بهاله ان المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره ، فاذا خطر ذلك بهاله ، هاج الخوف فى قلبه ، ولا يزول ألم الخوف إلا بالأمن الحاصل من وجود مال آخر يفزع اليه إن أصابت هذا المال آفة ، فهو أبداً لحبه للحياة

وشفقته على نفسه يقدر طول الحياة وهجوم الحاجات ، ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك ، فيطلب ما يدفع خوفه ، وهو كثرة المال ، حتى ان اصيب بطائفة من ماله يفرغ الى الاخرى . وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال ، ولذلك لم يكن لميله موقف الى أن يملك جميع ما في الدنيا ، ولذلك قال ﷺ : « من هو مان لا يشبعان : مفهوم العلم ، ومفهوم المال » . ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده ، فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزججه عن الوطن ، أو يزجج أو ائلك عن أوطانهم الى وطنه ، ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهمها كان ذلك ممكناً ، كان للنفس لذة وسرور بقيام المنزلة في قلوبهم ، لما فيه من الأمان من هذا الخوف .

الثانى - أن الانسان مركب من اصول مختلفة : هي القوة الشهوية ، والقوة السبعية ، والقوة الشيطانية ، والروح الذى هو أمر ربانى ، ولذلك له ميل الى صفات بهيمية ، كالأكل والوقاع ، والى صفات سبعية ، كالقتل والايذاء ، والى صفات شيطانية ، كالمكر والخديعة والاعواء ، والى صفات ربوبية ، كالعلم والقدرة والكبر والعز والفخر والاستعلاء . فهو لما فيه من الأمر الربانى يحب الربوبية بالطبع ، ومعنى الربوبية التوحد بالكمال ، والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال ، والاستيلاء على جميع الأشياء بالغلبة ، واستناد الكمل اليه بالصدور منه والمعلولية .

وبالجملة : مقتضى الربوبية التفرد بالوجود والكمال ورجوع كل وجود وكال اليه ، إذ هو التام فوق التمام ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتفرد بالوجود والكمال والقدرة والاستيلاء على جميع ما عداه . إذ المشاركة في الوجود نقص لا محالة ، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها ، فلو كانت معها

شمس اخرى كان ذلك نقصاناً في حقها ، إذ لم تكن متفردة بكل معنى الشمسية فاذا كان معنى الربوبية هو التفرد بالوجود والسكال ، وكل انسان كان فيه أمر رباني ، فالتفرد بالوجود والسكال محبوب له بالطبع ، وضده - اعنى العبودية - قهر على نفسه ، لأنه علم أن المتفرد بالوجود والسكال هو الله تعالى ، إذ ليس معه موجود سواه ، فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته ، بل هو قائم به ، وليس له معية بالوجود بالنسبة اليه تعالى ، إذ المعية توجب المساواة في الرتبة ، وهي نقصان في السكال ، إذ السكامل الحقيقي من لانظير له في الوجود ، والسكال بوجه من الوجوه وان كان لغيره وجود وكال بعد كونه صادرآ منه معلولآ له ، إذ تحقق الموجودات وذوات الممكنات لا يوجب نقصاناً في ذاته سبحانه بعد استنادها جميعها اليه ، وكونها أضعف منه بمراتب غير متناهية في الوجود والسكال شدة وقوة ، فكما ان اشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصاناً في الشمس ، بل هو من جملة كمالها ، وانما نقصانها بوجود شمس أخرى مساوية لها في الرتبة مستغنية عنها ، فكذلك وجود كل ما في العالم إذا كان من اشراق نور القدرة الإلهية تابعاً لها ، لم يكن ذلك نقصاناً في الواجب سبحانه ، بل كان كمالاً له .

ولما علم ذلك ، وتيقن بأن التفرد بالوجود والسكال والاستيلاء التام على جميع الاشياء لا يليق به ، لأنه عبد مملوك مقهور تحت القدرة الإلهية ، عرف أنه عاجز عن درك منتهى السكال الذي هو التفرد بالوجود والاستيلاء أى كون وجود غيره منه . إلا أنه لم تسقط شهوته للسكال ، بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء السكال ، وطالب لتحصيل ما يتمكن منه . فمطلق السكال محبوب عنده ، إلا أن طلبه إنما يتعلق بالسكال الممكن في حقه ومن السكال الممكن في حقه أن يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات ،

فكان ذلك محبوباً عنده ومطلوباً له . ولما كانت الموجودات منقسمة الى مالا يقبل التغيير ، كذات الواجب وصفاته وعالم المجرّدات ، والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق بالتصرف ، كالأفلاك والكواكب وملكوّات السماوات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وغير ذلك ، والى ما يقبل التغيير وتستولى عليه قدرة العباد ، كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ، ومن جعلتها قلوب الأدميين ونفوسهم لسكونها قابلة للتغيير والتأثير مثل أجسادهم وأجساد سائر الحيوانات - فلم يكن للانسان أن يتصور إمكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه ، فلم يتعرض لطلب ذلك ، بل أحب في كل منها نوع الاستيلاء الذي يمكن في حقه والاستيلاء الذي يمكنه في حقه بالنظر الى القسمين الاولين هو الاحاطة عليه بالعلم والاطلاع على اسراره ، لأن ذلك نوع استيلاء . اذ المعلوم المحاط به تحت القدرة ، والعالم كالمستولى عليه . ولذلك أحب الانسان ان يعرف الواجب تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب ومعجائب الملك والملكوّات ، لأن ذلك نوع استيلاء ، والاستيلاء نوع كمال .

وأما القسم الثالث ، فيمكنه أن يستولى عليه بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الأراضى والاملاك بأن يتصرف فيها بالحيازة والضبط والزرع والغرس ، وعلى الأجساد الأرضية الحيوانية والنباتية والجمادية بالركوب والضبط والحمل والرفع والوضع والتسليم والمنع ، وعلى نفوس الأدميين وقلوبهم بأن تكون مسخرة متصرفّة تحت اشارته وارادته وصيرورتها محبة له باعتقاد الكمال فيه . ولكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال ، أحب الانسان هذا الاستيلاء على الأموال والقلوب ، وإن كان لا يحتاج اليهما في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ، ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد

الأحرار ولو بالقهر والغلبة . وقد ظهر مما ذكر : أن محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم والقدرة ، والمال والجاه محبوب لكونه من أسباب القدرة . ولما كانت المعلومات والمقدورات غير متناهية ، فلا يكاد أن تقف النفس الى حد من العلم والقدرة ، ولها درجات غير متناهية ، فسرو كل نفس ولذاتها بقدر الدرجة التي تدركها .

فصل

(الكمال الحقيقي في العلم والقدرة والمال والجاه)

لما عرفت أن المحبوب عند الانسان هو العلم والقدرة والمال والجاه لكونها كالا ، فاعلم أنه اشتبه الأمر عليه باغواء الشيطان ، حيث التبس عليه الكمال الحقيقي بالوهمي ، وتيقن بكون جميع ذلك كالا وأحبه . إذ التحقيق أن بعضها كمال حقيقي وبعضها كمال وهمي لا أصل له ، والسعي في طلبه جهل وخسران وتضييع وقت وخذلان .

بيان ذلك : أنه لا ريب في عدم كون المال والجاه كالا ، لأن القدرة والاستيلاء على أعيان الأموال بوجوه التصرف وعلى القلوب والأبدان بالتسخير والانقياد ينقطع بالموت ، فمن ظن ذلك كالا فقد جهل . فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل ، فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة ، وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى ، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال . ولما اعتقدوا كون ذلك كالا أحبوه ، ولما أحبوه طلبوه ، ولما طلبوه شغلوا به ونهاكوا عليه ، فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ، اعنى العلم والحرية كما يأتي . فهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا

يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى :
« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا » (١).

فالعلم والحرية وفضائل الأخلاق هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالا
للنفس بعد خراب البدن ، والمال والجاه هو الذي ينقضى على القرب ، وهو
كما مثله الله تعالى ، حيث قال :

« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ
بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ... » (٢).

وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا ، وكل ما لا يقطعه
الموت فهو من الباقيات الصالحات .

فقد ظهر أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا أصل له ، وأن من
قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل ، إلا قدر البلغة منها الى
الكمال الحقيقي .

وأما العلم ، فلا ريب في كون ما هو حقيقة العلم كالا حقيقياً ، إذ
الكمال الحقيقي هو الذي يقرب من يتصف به من الله ويبقى كالا للنفس بعد
الموت . ولا شك في أن العلم بالله وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت
السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو المقرب للعبد
الى الله ، إذ هو علم ثابت لا يقبل التغيير والانقلاب ، إذ معلوماته أزلية
أبدية وليس لها تغيير وانقلاب ، حتى يتغير العلم بتغيرها مثل التغيرات التي
يتغير العلم بها بتغيرها وانقلابها ، كالعالم بكون زيد في الدار .

فهو علم ثابت أزلا وأبداً من دون تغير واختلاف ، كالعلم بجواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات . فهذا العلم - اعني معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله - هو السكال الحقيقي الذي يبقى بعد الموت وينطوى فيه العلم بالنظام الجملي الأصلح وجميع المعارف المحيطة بالموجودات وحقائق الاشياء ، اذ الموجودات كلها من أفعاله ، فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة ، كانت هذه المعرفة من تكملة معرفة الله التي تبقى كالا للنفس بعد الموت ، وتكون نوراً للعارفين بعد الموت يسمى بين أيديهم وإيمانهم : « يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ، وهي رأس مال يوصل الى كشف مالم ينكشف في الدنيا ، كما أن من معه سراج خفي ، فإنه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه ، فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ، ومن ليس معه أصل السراج لا مطمع له في ذلك . فمن ليس له أصل معرفة الله لم يكن له مطمع في هذا النور ، بل هو في « ظلمات في بحر لحي ، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض » .

وما عدا هذه المعرفة من المعارف ، إما لافائدة فيه أصلاً ، كمعرفة الشعر وأنساب العرب ومثلها ، أو له منفعة في معرفة الله ، كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقهاء والأخبار ، ومعرفة طريق تزكية النفس التي تفيد استعداداً لقبول الهداية الى معرفة الله ، كما قال تعالى :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » (١) . وقال : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا

فِينَا لَنَسُدَّنَّهُمْ سُبُلَنَا » (٢) .

فهو من حيث إنه وسيلة الى معرفة الله والى تحصيل الحرية بما لا بد منه بالعرض .

ثم ان المعرفة التي هي كمال حقيقى للانسان ليس كمال العلم وغايته ، إذ لا يتصور كمال العلم ونهايته إلا للواجب تعالى، إذ كمال العلم انما يتحقق بامور ثلاثة: الأول - أن يحيط بكل المعلومات ، ولا يتحقق ذلك في علم البشر . إذ ما أوتى من العلم إلا قليلا ، بل العلم الذى يحيط بجميع المعلومات هو علم الله تعالى ، وعلم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات ، وكلما كانت معلوماته اكثر كان علمه أقرب الى علم الله تعالى .

الثانى - ان يتعلق بالمعلوم على ما هو به ، ويكون المعلوم منكشفاً واضحاً في غاية الإنكشاف والوضوح ، بحيث لا يقبل انكشافاً أتم منه . وهذا أيضاً غير ممكن التحقيق في حق الانسان ، إذ علمه لا يخلو عن كبدرة وابهام ، بل الكشف التام الذى هو غايه الظهور والانجلاء مختص بعلم الله تعالى ، إذ معلوماته مكشوفة بأنواع الكشف على ما هي عليها ، وعلم العبد له ببعض مراتب الانكشاف ، فكلما كان اجلى وأوضح وأتقن وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفاته ، كان أقرب الى علم الله .

الثالث - أن يكون باقياً أبداً الآباد ، بحيث لا يتغير ولا يزول . وهذا أيضاً مختص بعلم الله تعالى ، إذ علمه تعالى باق لا يتصور أن يختلف ويتغير ويزول ، وعلم الانسان يتغير ويزول ، فكلما كان علمه بمعلومات لا تقبل التغير والانقلاب ، كان أقرب الى علم الله تعالى .

هذا ، ومن الكمالات للانسان : التحلى بفضائل الأخلاق والصفات، لإيجابها صفاء النفس المؤدى الى البهجة الدائمة والحرية ، أعنى الخلاص من أسير الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر ، تشبهاً بالملائكة الذين

لا تستغرقهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب ؛ اذ رفع آثار الشهوة والغضب من النفس كمال حقيقى ، لانه من صفات الملائكة . ومن صفات الكمال لله سبحانه عدم تطرق التغيير والتأثير على حريم كبرياته ، فمن كان عن التغيير والتأثر بالعوارض أبعد كان الى الله أقرب .

وأما القدرة ، فقد قال بعض العلماء : أما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد ، إذ القدرة الحقيقية لله ، وما يحدث من الأشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته ، فهى حادثة باحداث الله تعالى . نعم ، له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال ، وهى وسيلة الى كمال العلم ، كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ، ورجله للمشى ، وحواسه الادراك ، فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم ، وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس ، وذلك الى قدر معلوم ، فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه ألبتة ، إلا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ، ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته ، إذ قدرته على كل شىء من الأرضيات ، كالمال والأبدان والنفوس ، تنقطع بالموت .

وأنت خير بأن تحقق نوع قدرة للعباد مما لا ريب فيه ، وإن كانت أسبابها وأصلها من الله سبحانه ، إلا أن القدرة على الامور الدنيوية الفانية كالمال والأشخاص وغير ذلك ، ليست كمالاً حقيقياً ، لزوالها بالموت . نعم ، الحق ثبوت القدرة النفسية للعبد - اعنى تأثير نفسه فى الغير من الكائنات تأثيراً روحانياً معنوياً ، كما هو ظاهر من تأثير بعض النفوس فى الانسان والحيوان والنبات والجماد بأنواع التأثيرات ، ومثل هذه القدرة تبقى للنفوس بعد الموت ولذا ترى أن من يستغيث ببعض النفوس الكاملة من الأموات يرى منها

عجائب التأثيرات والاستفاضات ، فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدرة للنفوس بعد الموت محل النظر .
وقد ظهر بما ذكر : أن السكالم الحقيقي للانسان هو العلم الحقيقي وفضائل الأخلاق والحرية والقدرة .

فصل

(علاج حب الجاه)

اعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم وعمل . وعلاجه العلمى : أن يعلم أن السبب الذى لأجله أحب الجاه - وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم ان صفا وسلم - فأخره الموت ، فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض الى خمسين سنة أو اكثر لا بد بالآخرة من موت الساجد والمسجود له ، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له . ولا ينبغي للعاقل أن يترك بمثل ذلك الدين الذى هو الحياة الأبدية التى لا انقطاع لها . ومن فهم السكالم الحقيقي والسكالم الوهمى - كما سبق - صغر الجاه فى عينه ، إلا أن ذلك انما يصغر فى عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحققر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ، وأبصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ، كما قال الله تعالى :

« بَلْ تُوۡرَوۡنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرًا وَأَبۡقَى » (١).

وقال : « كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ » (٢).

فمن هذه مرتبته ، فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بمعرفة الآفات العاجلة ، وهو أن يتفكر في الأخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذى جاه محسود مقصود بالإيذاء ، وخائف على الدوام على جاهه ، ولا يزال فى الاضطراب والخوف من أن تتغير منزلته فى القلوب . مع أن قلوب الناس أشد تغيراً وانقلاباً من القدر فى غليانه ، وهى مردهة بين الاقبال والاعراض ، فكما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له . والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الأعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقتته فى العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكيدة للذة الجاه ، فلا يبقى فى الدنيا أيضا مرجوها بمخوفها ، فضلا عما يفوت فى الآخرة . فبهذا ينبغى أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوى إيمانه فلا التفات له الى الدنيا . فهذا هو العلاج العالى .

وأما العلاج العملى : فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بضد الجاه الذى هو الخمول ويقنع بالتبول من الخساق ، وأقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول ، لا مجرد الاعتزال فى بيته فى البلدة التى هو فيها مشهور ، لأن المعتزل فى بيته فى البلدة التى هو فيها مشهور عند أهلها لا يخلو بسبب عزلته عن حب المنزلة التى ترسخ له فى القلوب ، فربما يظن أنه ليس محباً لذلك الجاه وهو مغرور ، وإنما سكنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها ، ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه ودموه أو نسبه الى امر غير لائق ، ربما جزعت نفسه وتألمت وتوصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم ، وربما يحتاج فى إزالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتليس ولا يزال به ، وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ، ولا يمكنه ألا يحب

المنزلة في قلوب الناس مادام يطمع في الناس ، ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة . فمن قنع استغنى عن الناس ، وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب وزن عنده ، بل من لم يطمع في الناس وكان من أهل المعرفة ، كان الناس عنده كالبهايم ، فكيف يكون طالباً لقيام منزلته في قلوبهم ؟ .

والحاصل : أن الغالب والباعث على قيام المنزلة في قلوب الناس هو الطمع منهم ، ولذا ترى أنك لا تطلب قيام منزلتك في قلوب من في أقصى المشرق أو المغرب ، لعدم طمع لك فيهم ، ثم ينبغي أن يستعين على المعالجة بالأخبار الواردة في ذم الجاه - كما مر - وفي مدح الخمول ، كما يأتي .

فصل

(حب الخمول)

ضد حب الجاه والشهرة حب الخمول ، وهو شعبية من الزهد ، كما أن حب الجاه شعبية من حب الدنيا . فحب الدنيا والزهد ضدان .

ثم الخمول من صفات المؤمنين وخصال الموقنين ، وقد كانت طوائف العرفاء المتوحدين ومن يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالبين إياه ، وكل من عرف الله وأحبه وأنس به ، كان محباً للخمول متوحشاً من الجاه وانتشار الصيت ، كما تنادى به كتب السير والتواريخ . وقد وردت بمدحه أخبار كثيرة ، كقول رسول الله ﷺ : « إن اليسير من الرياء شرك ، وإن الله يحب الاتقياء الأخفياء ، الذين إذا غابوا لم يفقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ، يتحول من كل غبراء مظلمة ، وقوله ﷺ :

« رب ذى طمرين لا يؤوبه له لو أقسم على الله لأبره ، لو قال : اللهم أسألك الجنة ! لأعطاها الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً ، . وقوله ﷺ : « ألا أدلكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « إن أهل الجنة كل اشعث أغبر ذى طمرين لا يؤوبه له ، الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، واذا قالوا لم ينهت لهم . حوائج أحدهم تتدخل فى صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم ، . وقوله ﷺ : « إن من امتى من لو اتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ، أو يسأله درهما لم يعطه إياه ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاها إياه ، ولو سأل الدنيا لم يعطها إياه ، وما منعها إياه لوانه عليه ، . وقوله ﷺ : « قال الله عز وجل : ان من أغبط أوليائى عندى رجلاً حفيف الحال ، ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب ، وكان غامضاً فى الناس ، جعل رزقه كنفافاً فصبر عليه ، عجبت منيته فقل ترائه وقل بواكيه ، (١) . وورد : « أن الله تعالى يقول فى مقام الامتنان على بعض عبده : ألم أنعم عليك ؟ ألم استرك ؟ ألم أخجل ذكرك ؟ . وقال بعض خيار الصحابة : « كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الهدى ، احلاس البيوت ، سرج الليل ، جدد القلوب ، خلقان الثياب : تعرفون فى أهل السماء ، وتخفون فى أهل الأرض ، . ومن اطلع على أحوال اكابر الدين والسلف الصالحين من ايثارهم الخمول والذل على الجاه والشهرة والغلبة ، ثم فى ماورد فى مدحهما من الأخبار ، تيقن بأنهما من أوصاف المؤمنين ، ولا بد للمؤمن من الاتصاف بهما ، ولذا ورد : « أن المؤمن لا يخلو عن ذله او علة أو قلة .

(١) تقدم الحديث فى ٢ / ٥٩ ، وذكرنا فى التعليل تفسير معنى (حفيف) .

ومنها :

حب المدح

وكرهة الذم . وهما من نتائج حب الجاه ، ومن المهلكات العظيمة ،
 إذ كل محب للمدح والثناء خائف من الذم ، يجعل أفعاله وحركاته على ما يوافق
 رضا الناس ، رجاء المدح وخوفا من الذم . فيختار رضا المخلوق على رضا
 الخالق ، فيرتكب المحظورات ويترك الواجبات ، ويتهاون في الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويتعدى عن الانصاف والحق ، وكل ذلك
 من المهلكات ، وايس للمؤمن أن يحوم حولها ، بل المؤمن من لم يؤثر قط
 رضا المخلوق على رضا الخالق ، ولا تأخذه في الله لومة لأثم . ولعظم فساد
 حب المدح وبغض الذم ورد في ذمها ما ورد في الأخبار ، قال رسول الله
 - صلى الله عليه وآله - : « إنما هلك الناس بأتباع الهوى وحب الثناء » . وقال
 - صلى الله عليه وآله - : « رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى » .
 وقال عليه السلام : « لو كان صاحبك حاضراً فرضى
 بالذي قلت فمات على ذلك ، دخل النار » . وقال عليه السلام : « لما مدح آخر :
 « ويحك ! قطعت ظهره ! ولو سمعت ما أفلح الى يوم القيامة » . وقال
 - صلى الله عليه وآله - : « ألا لا تمدحوا ! وإذا رأيتم المداحين فاحشوا في
 وجوههم التراب » . وقال عليه السلام : « ويل للصائم ! وويل للقائم ! وويل
 لصاحب التصوف ! إلا من ... فقيل : يا رسول الله ، إلا من ؟ فقال :
 إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا ، وأبغض المدحة واستحب المذمة » .

فصل

(مراتب حب المدح وكرهه الذم)

اعلم أن حب المدح وكرهه الذم مرتبتين : أولاهما : أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ، ويبغض من الذم ويحقد على الذام ، ويكافيه أو يجب مكافاته . وهذا حال أكثر الخلق ، ولا حد لاتبها . وأخرهما : أن يفرح باطنه ويرتاح للمادح ، ولكنه يحفظ ظاهره من اظهار السرور ، ويتبعض في الباطن على الذام ، ولكنه يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته . وهذه وإن كانت نقصاناً ، إلا أنها بالنظر الى الاولى كمال .

وباعتبار آخر ، لحب المدح درجات :

الاولى - أن يتعنى المدح وانتشار الصيت بحيث يتوصل الى نيلهما بكل ممكن ، حتى يرأى بالعبادات ولا يبالي بمفارقة المحظورات ، لاستمالة قلوب الناس واستنطاق أسنتهم بالمدح . وهذا من الهالكين .

الثانية - أن يريد ذلك ويطلبه بالمباحات لا بالعبادات وارتكاب المحظورات ، وهذا على شفا جرف الهلاك . اذ حدود الكلام والأعمال التي يستميل بها القلوب لا يمكنه أن يضبطها ، فيوشك أن يقع فيما لا يحل له ليتوصل به الى نيل المدح . فهو قريب من الهالكين .

الثالثة - ألا يريد المدح ولا يسمى لطلبه ، ولكنه اذا مدح سر وارتاح ، من غير وجدان كراهة في نفسه لهذا السرور والارتياح . وهذا أيضاً نقصان ، وإن كان أقل أثماً بالاضافة الى ما قبله .

الرابعة - أن يسر ويرتاح ، ولكنه كره هذا السرور والارتياح ، وكلف قلبه كراهة المدح وبغضه ، وهو في مقام المجاهدة ، ولعل الله يسامحه

إذا بذل جهده . ومع ذلك لم يقدر على ربط نفسه على كراهة المدح دائماً .

فصل

(أسباب حب المدح)

حب المدح والثناء له أسباب :

الأول — شعور النفس بكمالها ، فإن الكمال لما كان محبوباً فمحبها شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت ، والمدح يشجر نفس الممدوح بكمالها ، فإن كان مابيه المدح وصفاً مشكوكاً فيه صادر عن خبير بصير لا يجازف في القول ، كالوصف بكمال العلم والورع وبالحسن المطلق ، فاللذة فيه عظيمة لأن الإنسان ربما كان شاكياً في كمال علمه وكمال حسنه ويكون شائقاً لروال هذا الشك ، فاذا ذكره غيره ، (لا) سيما إذا كان من أهل البصيرة ، أورث ذلك طمأنينة وثقة بوجود ذلك الكمال ، فعظمت لذته ، ولو كان صادراً ممن لأبصيرة له ، كانت لذته أقل لقلة الاطمئنان بقوله . وإن كان مابيه المدح وصفاً جلياً ، كاعتدال القامة وبياض اللون ، كانت لذته في غاية القلة ، لأن ثناءه لا يورث ما ليس له من الطمأنينة والثقة ، إلا أنه لا يخلو عن لذة ما ، إذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته ، فتنبهها عليه بالمدح يورث لذة ما واضد هذه العلة يبغض الذم أيضاً ، لأنه يشعر بنقصان في نفسه ، والنقصان ضد الكمال .

الثاني — أن المدح يدل على أن قلب المادح ملك الممدوح ، وأنه مرید له معتقد فيه ومسيخر تحت مشيئته ، وملك القلوب محبوب ، والشعور بحصوله لذية ، ولذلك تعظم اللذة مهبها صدرت عن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالمملك والأكابر ، ولضد هذه العلة يكره الذم ويتألم القلب به .

الثالث — أن المدح سبب اصطیاد قلب كل من يسمعه ، لاسبيا اذا

كان المادح بمن يعنى بقوله ، وهذا يختص بمدح يقع على الملأ .
 الرابع - أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى
 اطلاق اللسان بالثناء عليه طوعا أو قهراً ، والحشمة محبوبة لما فيها من الغلبة
 والقدرة ، فشعور النفس بها يورث لذة ، وهذه اللذة تحصل وان علم الممدوح
 ان المادح لا يعتقد بما يقوله ، اذ ما يطلبه يحصل منه ، وارضد هذه العلة يفيض
 الذم أيضاً .

وهذه الأسباب قد تجتمع في مدح واحد فيعظم به الالتذاذ ، وقد
 تفرق فينتقص ويندفع استشعار الكمال ، بأن يعلم الممدوح أن المادح غير
 صادق في مدحه ، فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة
 الثانية أيضاً ، وهو استيلاءه على قلبه ، وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على
 اضطرار لسانه الى النطق بالمدح .

فصل

(علاج المدح وكراهة الذم)

اذا علم أن حب المدح وكراهة الذم من المهلكات ، فيجب أن يبادر
 الى العلاج .

وعلاج الأول : أن يلاحظ أسبابه ، ويعلم أن شيئاً منها لا يصلح
 حقيقة لأن يكون سبباً له . أما استشعار الكمال بالمدح ، فلأن المادح ان
 صادق فليكن الفرح من فضل الله حيث أعطاه هذه الصفات ، وإن كذب
 فينبغي أن يغمه ذلك ولا يفرح به لأنه استهزاء به ، مع أن الفرح مطلقاً في
 صورة الصدق من السفاهة ، اذ الوصف الذي مدح به إن كان مما لا يستحق

الفرح به ، كالثروة والجاه وغيرهما من المطالب الدنيوية ، فالفرح به من قلة العقل ، لأنها كالات وهمية لا أصل لها ، وان كان مما يستحق الفرح به كالعلم والورع ، فالفرح إنما هو لكونه مقرباً الى الله ، وهذا فرع حسن الخاتمة وهو غير معلوم . ففي الخوف من خطر الخاتمة شغل شاغل من الفرح بكل شيء . وأما دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سبباً لتسخير قلب من يسمعه ، فحب ذلك يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب ، وقد سبق طريقه عالجتته . وأما دلالاته على الحشمة ، فانها ليست إلا قدرة عارضة ناقصة لا ثبات لها ، والعاقل لا يفرح بمثمها .

وأما علاج الثاني : - اعنى كراهة الذم - فيعلم بالمقايسة على علاج حب المدح . والقول الوجيز فيه : ان من يذمك إن كان صادقاً وقصده النصح والارشاد ، فلا ينبغي أن تبغضه وتغضب عليه ، بل ينبغي أن تفرح وتجتهد في ازالة الصفة المذمومة عن نفسك ، وما أقبح بالمؤمن أن يغضب على من يحسن اليه ويريد هدايته . وان كان قصده الإيذاء والتعنت ، فلا ينبغي لك أيضاً أن تبغضه وتكره ذلك ، لأنه أرشدك الى عيبك إن كنت جاهلاً به ، وذكرك إياه إن كنت غافلاً عنه ، وقبحه في عينك إن كنت متذكراً له . وعلى التقادير قد استفدت منه ما تنتفع به ، وينبغي لك أن تغتنمه وتبادر الى ازالة عيبك . وإن كان كاذباً مفترياً عليك بما أنت منه برى ، فينبغي لك أيضاً ألا تكره ذلك ولا تشتغل بذهمه ، لأنك وإن خلوت من ذلك العيب ، إلا أنك لا تخلو من عيوب اخر مساوية له وأخفش منها ، فاشكر الله تعالى على أنه سترها ولم يطلع أحداً عليها ، ودفعها بذكر ما أنت منه برى ، مع أنه كفارة لبقية مساويك . ومن ذمك أهدي اليك حسناته وجنى على دينه ، حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافتراءه عليك ، فما بالك تحزن بحظ

ذنوبك واهداء الحسنات اليك ؟ ولم تغضب عليه ، مع أن الله سبحانه غضب عليه وأبعده من رحمته ؟ فان ذلك كافي لانتقامك منه .

وصل

(ضد حب المدح)

ضد حب المدح وكرهه الذم: إما كراهة المدح وحب الذم، أو مساواتهما عنده بحيث لا تسره المدحة ولا تغمه المذمة . وقد تقدم بعض الأخبار الدالة على ذم من لم يتصف بالحالة الاولى . وهي وإن كانت نادرة الوجود ، إذ ما أقل على بسائط الأرض - (لا) سيما في هذه الاعصار - من تستوى عنده المدحة والمذمة ، فضلاً عن يكره المدح ويسر بالذم ، إلا أن تحصيلها يمكن إذكل من عرف أن المدح مضر بدينه وقاصم لظهره ، فلا بد أن يكرهه ويبغض المادح ، لو كان عاقلاً مشفقاً على نفسه . وكذا من عرف أن الذم له يرشده الى عيوبه ويهدى اليه بعض حسناته ، لا بد أن يحبه ويسر بذمه . وأما الحالة الثانية ، فهي أولى درجات السكال ، ومن لم يتصف بها فهو ناقص . فالإتصاف بها لازم على كل مؤمن . وربما ظن بعض الناس إتصافه بها ، مع كونه فاقداً لها . فن ظن ذلك من نفسه ، فلا بد أن يمتحن نفسه بهلاماتها ، حتى يظهر له صدق ظنه وكذبه ، وعلاماته : ألا يكون سعيه ونشاطه في قضاء حوائج المادح أكثر منها في قضاء حوائج الذام ، وألا يتفاوت همه وحزنه لأجل موتها وابتلائها بمصيبة ، وألا تكون ذلة المادح أخف في قلبه وعينه من ذلة الذام ، وألا يكون جلوس الذام عنده أثقل ولا قيامه أهون من جلوس المادح وقيامه . وبالجملة : أن يستويا عنده من

كل وجه . فمن وجد نفسه استواءهما في جميع الجهات ، فهو بمن يتساوى
عنده المدح والنم .
ومنها :

الرياء

وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير أو ما يدل عليها من
الآثار . فهو من أصناف الجاه ، إذ هو طلب المنزلة في القلوب بأي عمل
اتفق ، والرياء طلب المنزلة بادائه خصال الخير أو ما يدل على الخير . ثم
خصال الخير يشمل أعمال البر بأسرها ، وهي أعم من العادات إن خصت
العبادة بمثل الصلاة والصوم والحج والصدقة وأمثال ذلك ، ومساوقة لها إن
أريد بالعبادة كل فعل يقصد به التقرب ويرتب عليه الثواب . إذ على هذا
كل عمل من أعمال الخير ، سواء كان من الواجبات أو المندوبات أو المباحات
في الاصل إذا قصد به القرية كان طاعة وعبادة ، وإن لم يقصد به ذلك لم يكن
عبادة ولا عمل خير ، ولو كان مثل الصلاة . وربما خص الرياء عادة بطلب
المنزلة في القلوب بالعبادة بالمعنى الأخص .

والمراد بالآثار الدالة على الخيرية هي كل فعل ليس في ذاته برأ وخيراً،
ولمما يستدل به على الخيرية .

وهي إما متعلقة بالبدن ، كإظهار النحول والصفار ليستبدل بهما على
قلة الأكل أو الصوم وسهر الليل ، ويومئ بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن
على أمر الدين وغلبة الخوف من الله ومن أهوال الآخرة ، وكخفض الصوت
ليستدل به على أن وقار الشرع قد خفض صوته ... وقس عليها غيرها من

الأمور المتعلقة بالبدن ، الدالة على الخيرية تصدأ الى تحصيل المنزلة في قلوب الناس ، وكل ذلك يضر بالدين وينافي الورع واليقين ، ولذا قلل عيسى عليه السلام :
 و اذا صام أحدكم ، فليدهن رأسه ، ويرجل شعره ، ويكحل عينيه ، ، خوفاً من نزع الشيطان بالرياء . ثم هذه مراآة أهل الدين بالبدن ، وأما أهل الدنيا فيراؤن في البدن باظهار السمن و صفاء اللون ونظافة البدن وحسن الوجه وأمثال ذلك .

أو متعلقة بالزى والهيمنة كتحلق الشارب وإطراق الرأس في المشى ، والهدوء في الحركة ، وأبقاء أثر السجود في الجبهة ، ولبس الصوف أو التوب الخشن أو الأبيض وتعميم العمامة ولبس الطيلسان والدراعة ، وأمثال ذلك مما يدل على العلم والتقوى أو الانخلاع عن الدنيا .

والمراؤن من أهل الدين بالزى واللباس على طبقات : منهم من يرى طلب المنزلة بالثياب الخشنة ، ومنهم من يرى بالثياب الفاخرة ، ومنهم من يرى بالتوسخة ، ومنهم من يراه بالنظيفة ، وللناس فيما يعشقون مذاهب . وأما أهل الدنيا فلا ريب في أنهم يراؤن في اللباس بلبس الثياب النفيسة وركوب المراكب الرقيقة وأمثال ذلك .

أو متعلقة بالقول والحركات كأظهار الغضب والاسف على المنكرات ومقازفة الناس للمعاصي ، ليستدل بها على حمايته للدين وشدة اهتمامه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع ان قلبه لم يكن متأثراً عن ذلك ، وكارخام الجفون وتنكيس الرأس عند الكلام واظهار الهدوء والسكون في المشى ، ليستدل بذلك على وقاره ، وربما اسرع المرائي في المشى الى حاجة فلذا اطلع عليه واحد رجع الى الوقاخ خوفاً من أن ينسب الى عدم الوقار ، فلذا غاب الرجل عاد الى مجلته .

أو متعلقة بغير ذلك كمن يتكلف ان يكثر الزائرين له ولو اردون عليه
(لا) سيما من المعلماء والعباد والامراء ليقال إن أهل الدين والعطاء
يتبركون بزيارته .

فصل

(ذم الرياء)

الرياء من الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة وقد تماضت الآيات
والأخبار على ذمه ، قال سبحانه :

« فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » (١) . وقال سبحانه : « فَمَنْ

كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

رَبِّهِ أَحَدًا » (٢) . وقال سبحانه : « يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ

اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا » (٣) وقال : « كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ » (٤)

وقال رسول الله ﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ،

قللوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة

للمرائين إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا

فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ، . وقال ﷺ : « استعينوا بالله من

جب الحزن ، قيل : وما هو يارسول الله ؟ قال : « واد في جهنم أعد للقراء

(١) الماعون ، الآية : ٤ - ٧ .

(٢) الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٣) النساء ، الآية : ١٤٢ .

(٤) البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

المرائين ، وقال عليه السلام : « يقول الله تعالى : من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كاه ، وأنا أغني الأغنياء عن الشرك » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لا يقبل الله تعالى عملاً فيه مثقال ذرة من رياء » . وقال عليه السلام : « إن أدنى الرياء الشرك » . وقال عليه السلام : « إن المرأى ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأى ضل عملك وحبط اجرک اذهب نخذ اجرک بمن كنت تعمل له » . وكان عليه السلام يبكي ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال « إني تخوفت على امتي الشرك أما انهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قرأ ولا حجراً ولكنهم يراون باعمالهم » . وقال عليه السلام : « سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم ، يكون دينهم رياء لا يخاطبهم خوف ، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم ، وقال : « إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به فإذا حمد بحسناته يقول الله عز وجل : اجعلوها في سبعين إنه ليس إياي اراد به » (١) وقال عليه السلام : « ان الحفظة تصعد بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع ، لها دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك ، فيجاوزون به الى السماء السابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه ، اقللوا به على قلبه ، إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي ، إنه أراد بعمله غير الله ، إنه أراد رفعة عند الفقهاء وذكراً عند العلماء وصيتاً في المدائن ، أمرني أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري ، وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ، ولا يقبل الله عمل المرأى ، قال

(١) صححنا الحديث وكذا ما قبله على (اصول الكافي) . باب الرياء . وباقى الاحاديث

- صلى الله عليه وآله - : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطع الحجب كلها الى الله فيقفون به بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله ، قال : فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه ، انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنة فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا ، وتقول السماوات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا ، وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : داخسوا الله خشية ليست بتعذير (١) واعملوا بغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله يوم القيامة ، وقال الباقر عليه السلام : « الا بقاء على العمل أشد من العمل ، ، قيل : وما الا بقاء على العمل ؟ قال : يصل الرجل بهصلة وينفق نفقة لله وحده لاشريك له فتكتب له سرأثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى فتكتب له رياء . »
وقال الصادق عليه السلام : « قال الله تعالى انا خير شريك فمن عمل لي ولغيري فهو لمن عمل لغيري . » وقال عليه السلام : « قال الله تعالى : أنا أغنى الاغنياء عن الشريك فمن اشرك معي غيري في عمل لم أقبله إلا ما كان لي خالصا . » وقال عليه السلام : « كل رياء شرك ، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله . » وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : .

« فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

(١) قال في الروافى في باب الرياء ٣/٤٠٠ : بيان (بتعذير) - بحذف المضاف - اى

ذات تعذير ، وهو باامين المهمة والذال المعجمة بمعنى التقصير .

قال : « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية الناس ، يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ، ثم قال : « ما من عبد أسر خيراً فذهبت الايام أبداً حتى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسر شراً فذهبت الايام حتى يظهر الله له شراً ، . وقال عليه السلام : « ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسر شيئاً أليس يرجع الى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عز وجل يقول : « بل الانسان على نفسه بصيرة ، . ان السريرة اذا صححت قويت العلانية ، . وقال عليه السلام : « من أراد الله بالقليل من عمله اظهر الله له اكثر مما أراد به ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله إلا أن يقلله في عين من سمعه ، . وقال عليه السلام - لعباد البصرى : « ويلك يا عباد ! إياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له ، . وقال عليه السلام : « اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فهو لا يصعد الى الله ، . وقال الرضا عليه السلام لمحمد بن عرفة : « ويحك يا بن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل ، ويحك ما عمل أحد عملاً إلا أراد الله به إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، (١) .

وكفى للرياء ذماً انه يوجب الاستحقاق لله وجعله أهون من عبادة الضعفاء الذين لا يقدرون نقماً ولا ضراً ، اذ من قصد بعبادة الله عبداً من عباده فلا ريب في أن ذلك لأجل ظنه بأن هذا العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب اليه منه تعالى واى استحقاق بمالك الملوك اشد من ذلك .

(١) صححنا الاحاديث عن آل البيت عليهم السلام على (اصول الكافي) باب الرياء وعلى

(البحار) ج ١٥ : ٤٣/٣ . وعلى (الوسائل) - ج ١ ، الباب ١١ ، ١٢ ، ١٤ من

أبواب مقدمة العبادات - .

فصل

(أقسام الرياء)

الرياء إما في العبادات أو في غيرها (والاول) حرام مطلقاً وصاحبه ممقوت عند الله وهو يبطل أصل العبادة ولأن الاعمال بالنيات ، والمرأى بالعبادة لم يقصد امتثال أمر الله بل قصد ادراك مال أو جاه أو غرض آخر من الأغراض فلا يكون ممتثلاً لأمر الله خارجاً عن عهدة التكليف ، ثم مع بطلان عبادته وعدم خروجه عن عهدة التكليف يكون له اهم على حدة لأجل الرياء ، كما دلت عليه الآيات والاختبار ، فيكون أسوأ حالاً ممن ترك العبادة رأساً ، كيف لا والمرأى بالعبادة جمع بين الاستمزاز بالله والتلبس والمكر لأنه خيل الى الناس أنه مطيع لله من أهل الدين وليس كذلك .

وأما الرياء بغير العبادات ، فقد يكون مذموماً ، وقد يكون مباحاً ، وقد يكون مستحباً ، وقد يكون واجباً ، إذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وألا يفعل ما يعاب عليه ، فلا يليق بذوى المرات أن يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم ذلك في الخلوة ، ومن زين نفسه باللباس او غيره في أعين الناس حذراً من لومهم واستثقالهم أو استقذارهم اياه كان ذلك مباحاً له ، إذ الحذر من ألم الذم غير مذموم ، إلا أن ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والأشخاص من العباد ، فربما كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات مذموماً بالنظر الى وقت او شخص أو بلد غير مذموم بالنظر الى آخر . روى : « ان رسول الله ﷺ أراد يوماً أن يخرج على أصحابه ، فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته

وشعره ، ففعل له : أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لأخوانه إذا خرج إليهم . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة ، وقال الصادق عليه السلام : « الثوب النقي يكبت العدو . وروى : « أنه عليه السلام نظر الى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحى منه ، فقال عليه السلام : اشتريته لعيالك وحملته إليهم ، أما والله لولا أهل المدينة لاحتببت أن اشترى لعيالي الشيء ثم احمله إليهم ، (١) أراد عليه السلام لولا مخافة أن يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله ، إلا أنه لما كان في زمان يعاب عليه بمثله لم يحز له أن يرتكبه ، ولما لم يكن ذلك مما يعاب عليه في زمن أمير المؤمنين عليه السلام كان يرتكبه وكان ذلك منقبة له وتعليماً . فظهر أن ارتكاب بعض الامور وعدم ارتكاب بعض الافعال قد يكون رياء محبوباً وقد يكون رياء مذموماً .

فصل

(تأثير الرياء على العبادة)

الرياء إما أن يكون مجرداً عن قصد القربة والثواب بحيث لولاه وانفرد صاحبه لترك العمل وهو أشد درجات الرياء واعظمها اثماً ، أو يكون مع قصدتها فان كان قصداً ضعيفاً مرجوحاً بحيث لو كان خالياً عن قصد الرياء لم يبعثه على العمل ، ولو كان قصد الرياء خالياً عنهما بعثه عليه ، كان قريياً من

(١) تقدم هذا الحديث في ١ / ٣٥٨ ، والاحاديث الثلاثة الاخيرة صححناها على

(الوسائل) - كتاب الصلاة ، ابواب احكام الملابس ، الباب ٤ - ٦ .

سابقه وان كان مساوياً لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل ، فالحق كونه مفسداً للعمل أيضاً لظواهر الاخبار . وان كان راجحاً على قصد الرياء غالباً عليه بأن يكون قصد الرياء واطلاع الناس مرجحاً ومقوياً لنشاطه بحيث لو لم يكن لم يترك العمل ، ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم على العمل ، (فبعض العلماء) على أنه لا يحبط أصل العمل والثواب بل ينقص من الثواب أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء ، ويثاب على مقدار قصد الثواب و (فيه نظر) إذ ظواهر الاخبار تفيد ابطاله اصل العمل والثواب لصدق الرياء عليه وصدق المرأى على صاحبه ، لقول أمير المؤمنين عليه السلام : « ثلاث علامات للمرأى : ينشط اذا رأى الناس ، ويكسل اذا كان وحده ، ويجب أن يحمد في كل اموره ، وما تقدم من الاخبار الدالة على أن كل عمل اشرك مع الله تعالى غيره كان الله منه بريئاً ولم يقبله ، صريح في المطلوب . وحملها على ما اذا تساوى القصد أو كان قصد الرياء ارجح خلاف الظاهر . ثم الظاهر ان البطلان في هذه الصورة إنما هو اذا رجع قصده الى حبه اطلاع الناس عليه لتسع منزلة له في قلوبهم ، ليتوسل بها الى نيل غرض من الاغراض الدنيوية ، وأما اذا كان سروره وقصده من اطلاع الناس لاحد المقاصد الصحيحة الآتية فلا بأس به ولا يبطل العمل .

تعبير

(السرور بالاطلاع على العبادة)

من كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ، فاذا اتفق اطلاع الناس على طاعته فلا بأس بالسرور به ، من حيث علمه بأن الله اطعمهم عليه واظهر

الجميل من حاله ، فيستدل به على حسن صنع الله به من حيث انه ستر الطاعة والمعصية ، والله تعالى ابقى معصيته على الستر وأظهر طاعته ، فيكون فرحه بجميل نظر الله وفضله له لا بمدح الناس وقيام المنزلة في قلوبهم ، وقد قال الله تعالى :

« قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا » (١) .

وكانه ظهر له بظهور طاعته أنه عند الله مقبول ففرح به . أو من حيث استدلاله باظهار الله الجميل وستره القبيح في الدنيا أنه كذلك يفعل به في الآخرة ، قال رسول الله ﷺ : « ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة ، فالأول فرح بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل . أو من حيث ظنه رغبة المطلعين في الاقتداء في الطاعة ، فيتضاعف بذلك اجره . إذ يكون له اجر السر بماقصده أولاً ، واجر العلانية بما اظهره آخرأ ، ومن اقتدى الناس به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير أن ينقص من اجورهم شيء . أو من حيث فرحه بطاعة المطلعين لله في مدحهم وحبهم للطيع ، وميل قلوبهم الى الطاعة ، إذ من الناس من يمقت أهل الطاعة ويحسدهم أو يستهزئ بهم وينسبهم الى الرياء ، فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله ، وعلامة الاخلاص فيه : أن يكون سروره بمدحهم غيره مثل سروره بمدحهم اياه .

ويدل على عدم البأس بالسرور فيما ذكر ماروى : « أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : انى اسر العمل لا أحب أن يطلع عليه أحد فيطلع عليه فيسرنى ! قال : لك أجران : أجر السر وأجر العلانية ، وما روى : « أنه سئل الباقر عليه السلام عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره

ذلك ، قال : لا بأس ، مامن احد إلا وهو يجب أن يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك . . وهذان الخبران باطلاقهما يدلان على نفي البأس بالسورور لأجل المقاصد المذكورة ، ويخصص منهما ما هو المذموم من الفرح الحاصل من اطلاع الناس ، وإن كان قصده الاخفاء أولاً ، وهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يدحوه ويعظموه ويقوموا بحوائجهم ، وإنما يخص ذلك منهما مع شمول اطلاقهما له ايضاً لمعارض أقوى . هذا وقد تقدم أن قصده أولاً - أى في حال عقد الطاعة - اطلاع الناس عليه وارتياحه به لأحد المقاصد المذكورة لا بأس به أيضاً ، فعدم البأس لا يختص بطرو القصد والارتياح بعد العقد أو بعد تمام العمل .

ثم كما لا بأس بالسورور من ظهور الطاعات للمقاصد المذكورة ، فكذلك لا بأس بكتمان المعاصي واغتمامه باطلاع الناس عليها لاسباب نذكرها ، بل الحق رجحان الكتمان ومنزبته بعد ارتكابها ، وان كان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلائية . ولذا قال بعض الاكابر : « عليك بعمل العلانية وهو ما اذا ظهر لم تستح منه » . وقال بعضهم : « ما عملت عملاً ابالي ان يطلع الناس عليه إلا اتيانى اهلى والبول والغائط » . إلا أن ذلك درجة عظيمة ليست شرعة لكل وارد ، ولا يصل اليها إلا واحد بعد واحد . إذ كل انسان - إلا من عصمه الله - لا يخلو من ذنوب باطنة ، (لا) سيما ما يختلج بباله من الامانى الباطلة والامور الشهوية ، والله مطلع عليها وهى مخفية عن الناس ، والسعى في اخفائها وكراهة ظهورها جائز بل راجح ، بشرط ألا يكون باعث اخفائها قصد أن يعتقدوا فيه الورع والصلاح ، بل كان باعث :
١ - إما كون السر مأموراً به .

٢ - أو كون الهتك واظهار المعاصي منهياً عنه . قال رسول الله

- صلى الله عليه وآله- : « من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستره بستر الله تعالى » . ويعرف صدق ذلك بكرامة ظهورها عن الغير ، أو كون ستر الله عليه في الدنيا دليلاً على ستره في الآخرة ، لما ورد في الخبر: « أن من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة » .

٣ - أو كون ظهور المعاصي موجباً لذم الناس ، والذم يؤلم القلب ويشغله عن طاعة الله ، ويصد عنه الاشتغال بتحصيل ما خلق لأجله ، وليكون التآلم بالذم جبلياً غير ممكن الدفع بسهولة يكون اخفاء مآظموه يؤدي الى حدوثه جائزاً . نعم ، كمال الصدق استواء المدح والذم ، إلا أن ذلك قليل جداً ، وأكثر الطباع تتآلم بالذم ، لما فيه من الشعور بالنقصان . وربما كان التآلم بالذم ممدوحاً اذا كان الزام من أهل البصيرة في الدين ، فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه ، فينبغي أن يتآلم منه ويتشمر لدفعه .

٤ - أو كون الناس شهداءه يوم القيامة ، كما ورد فيجوز الاخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيامة .

٥ - أو خوف ان يقصد بشر او سوء اذا عرف ذنبه .

٦ - أو خوف صيرورة الزام عاصياً بذمه ، وهذا من كمال الايمان ، ويعرف بتسوية ذمه وذم غيره .

٧ - أو خوف سقوط وقع المعاصي من نفسه أو اقتداء الغير به فيها وهذه العلة هي المبيحة لاطهار الطاعة ، ويختص ذلك بمن يقتدى به من الأئمة وامثالهم ، ولهذا العلة ينبغي أن يخفى العاصي معصيته من أهله وولده أيضاً ، لئلا يقتدوا به فيها .

٨ - أو حبه محبة الناس له لا للتوسل بها الى الاغراض الدنيوية ، بل ليستدل بها على محبة الله تعالى له ، لأن من أحبه الله تعالى جعله محبوباً

في قلوب الناس .

٩ - أو مجرد الحياء من ظهور قبائحهم ، وهو غير خوف الذم والقصد بالشر ؛ إذ هو من فضائل الاخلاق ومن كريم الطبع ، قال رسول الله ﷺ :
 « الحياء خير كله ، . وقال الصادق عليه السلام : « الحياء شعبة من الايمان ، . وقال
 - صلى الله عليه وآله - : « الحياء لا يأتي إلا بالخير ، . وقال عليه السلام : « ان
 الله تعالى يحب الحيي الحليم ، . ومن صدر عنه فسق ولم يبالي بظهوره للناس ،
 فقد جمع الى الفسق الهتك وعدم الحياء - أعنى الوقاحة - ، فهو أسوأ حالا
 ممن يفسق ويستحي فيستره .

ثم كثيراً ما يشتهب الحياء بالرياء ، فيدعى من يرأى بأنه يستحي ، وأن
 تركه السيئات أو إخفاءها أو تحسينه للعبادات إنما هو لأجل الحياء من الناس
 دون الرياء ، وذلك كذب . وبيان ذلك : أن الحياء خلق ينبعث من الطبع
 الكريم ، ويمكن أن يهيج عقبيه داعية الرياء فيرأى معه ، ويمكن أن يهيج
 داعية الاخلاص فيجمعه اليه . مثلاً من طلب من صديقه قرصاً ، فان رده
 صريحاً من غير مبالاة ومن دون أن يتعلم ارتكب الوقاحة وعدم الحياء . وان
 اعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهة من دون رغبة في
 الثواب ولا خوف من ذمه أو حب الى مدحه حتى لو طلبه مراسلة أو بتوسط
 غيره من الأجانب لرده ، فاعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحياء من دون ترتب
 رياء أو اخلاص عليه . وان تعسر عليه الرد للحياء وكان ما في نفسه من
 البخل مانعاً من الاعطاء فحدث خاطر الرياء ، ويخاطب نفسه بأنه ينبغي أن
 تعطيه حتى يمدحك بالسخاء ولا يذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الرياء
 بالحياء ، والمحرك للرياء هو هيجان الحياء . وان تعسر عليه الرد للحياء
 والاعطاء للبخل ، فهيج باعث الاخلاص ، ويقول له : ان الصدقة بواحدة

والقرض بثمانية ، ففيه اجر عظيم ، وادخال السرور على قلب مسلم حديق من أقرب القربات ، فسخت نفسه بالاعطاء ، فهو جمع بين الحياء والاخلاص ثم الحياء لا يكون إلا في القبائح الشرعية أو العقلية أو العرفية ، كالبخل ومقارفة الذنوب والظلم وصدور بعض الحركات القبيحة عرفا في المحافل ، والرياء يكون في المباحات أيضا ، حتى أنه لو عاد الضاحك الى الانقباض والمستعجل في المشي الى الهدوء بعد اطلاع الناس كان مرائياً ، وربما ظن أن باعث ذلك هو الحياء وهو الجهل ، إذ باعثه مجرد الرياء . وما قيل : إن بعض الحياء ضعف ، فالمراد أن الحياء مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس ، كالحياء من وعظ الناس واقامة الصلاة ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الا إذا وجد عذر يحسن الحياء معه ، كأن يشاهد معصية من شيخ فيستحي من شيبته أن ينكر عليه ، لأن من اجلال الله اجلال ذي الشبهة المسلم ، ولو استحي من الله ولا يضيع الأمر بالمعروف لمكان أحسن . وأقوياء النفوس من أهل الايمان يؤثرون الحياء من الله على الحياء من الخلق ، وأما ضعفاء النفوس منهم فقد لا يقدرّون على ذلك .

فصل

(متعلقات الرياء)

الرياء إما باصل الايمان ، وهو اظهار الشهادتين مع التكذيب باطناً ، وهذا هو كفر النفاق ، وقد كان في صدر الاسلام كثيراً ، وقل ما يوجد في أمثال زماننا ، وإن كثرت فيه انكار بعض ضروريات الدين ، كالجنة والنار والثواب والعقاب واعتقاد طي بساط أحكام الشرع باطناً ، مبيلا الى قول

الملاحدة وأهل الاباحة ، مع اظهار الخلاف ظاهراً ، وهذا أيضاً معدود من كفر النفاق ، وصاحبه ينسل عن الدين مخلد بالنار . وصاحب كفر النفاق مطلقاً أسوأ حالا من الكافر المحارب ، لأنه جمع بين الكفر الباطن والنفاق الظاهر . أو باصول العبادات مع التصديق باصل الدين ، كأن يصلى في الملاء دون الخلوة ، ويصوم مع اطلاع الناس عليه ويفطر بدونه ، ومثله فإن لم ينسل من أصل الدين ، إلا أنه شر المسلمين ، لترجيحه الخلق على الخالق ، وكون التقرب اليهم أحب من التقرب لديه ، وكون خوفه من ذمهم أشد من خوفه من عقابه سبحانه . أو بالنوافل والسنن ، وهذا أيضاً مذموم مهلك ، وليكنه دون ما قبله ، لأن صاحبه وان قدم مدح الخلق على مدح الخالق ، إلا أنه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه ، لعدم ترتب عقاب على ترك النافلة . أو بأوصاف العبادة الواجبة أو المستحبة ، كفعل ما في تركه نقصان أو كراهة أو ترك ما في فعله أحدهما أو بزيادات خارجة عن نفس النوافل ، كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول ، وأمثال ذلك . وكل ذلك مذموم ، إلا أن بعضه أشد من بعض .

فصل

(بواعث الرياء)

بواعث الرياء إما التمكن من المعصية ، كإظهار الورع والتقوى لتفويض اليه الحكومة والقضاء ، لينال الجاه والاستيلاء ، ويحكم بالجزور ، ويأخذ الرشا ، أو تسلم اليه الودائع والصدقات وأموال اليتامى وأمثال ذلك ، فيأخذ لنفسه منها ما يقدر عليها ، وكحضوره مجالس العلم والوعظ والتعزية لملاحظة

النسوان والصبيان ، وهذا أشد درجات الرياء اثماً ، ويقرب منه اظهار
الديانة والتقوى ليدفع عن نفسه تهمة ما اقترفه من الجرائم ، أو نيل حظ
مباح من حظوظ الدنيا ، كالاشتغال بالوعظ والتذكير والامامة والتدريس
واظهار الصلاح والورع ، لتستبذل له الاموال وترغب في تزويجه النسوان
أو خوف أن ينظر اليه بعين النقص والحقارة ، أو ينسب الى الكسالة والبطالة
كترك العجلة والضحك بعد اطلاع الناس عليه ، خوفاً من أن يعرف باللهو
والهزل فيستحقق ، وكالقيام للتمجد واداء النوافل اذا وقع بين المتهمجين
والمتنفلين لكلا ينسب الى الكسالة ، ولو خلى بنفسه لم يتنفل مطلقاً ، وكذا
الامتناع من الاكل والشرب في اليوم الذي يصام فيه تطوعاً ، وتصريحه بأني
صائم ، خوفاً من أن ينسب الى البطالة ، وربما لم يصرح بكونه صائماً ، بل
يقول : لي عذر ، وحينئذ قد جمع بين رياءين : الرياء بكونه صائماً ، والرياء
بكونه مخلصاً غير مرأى . ثم إن ألبائتة الكسالة والشهوة الى عدم القيام الى
النوافل وعدم الصبر عن الاكل والشرب ، ذكر لنفسه عذراً ، تصريحاً
أو تعريضاً ، كأن يتعلل الترك بمرض أو ضعف أو شدة العطش أو تطيب
خاطر فلان ، وقس عليها غيرها من الكلمات والاعذار ، فانها لاتسبق الى
اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في النفس ، والمخلص لا يريد غير الله والتقرب
اليه ، ولا يعتنى بالخلق وحصول المنزلة في قلوبهم ، فان لم يصم لم يجب أن
يعتقد غيره فيه ما يخالف علم الله ليكون ملبساً ، وان صام قنع بعلم الله ولم
يشرك فيه غيره . ثم هذه البواعث لما كان بعضها صادراً من رداءة قوة الغضب
وبعضها من رداءة قوة الشهوة ، فيكون بعض أنواع الرياء من رذائل الاولى
وبعضها من رذائل الثانية .

تفسير

(الرياء الجلى والخفى)

الرياء جلى وخفى ، والجلى : ما يبعث على العمل لولا قصد الثواب ،
والخفى : ما لا يبعثه بمجردة إلا أنه يخفف العمل الذى أريد به التقرب فى
الخلوة ، ويعرف بالسرور اذا اطلع عليه الناس ، لا للمقاصد المتقدمة ،
بل لطلب نوع منزلة فى قلوب الناس ، ويتوقع التعظيم والتوقير وقضاء الحوائج
منهم ووجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر فى احترامه ، كأن نفسه تتقاضى
الاکرام والاحترام على الطاعة التى اخفاها مع أنه لم يطلع عليه أحد. ولا شك
أن هذا التقاضى لا ينفك عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب النمل ،
ولو كان عنده وجود الطاعة كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق وقنع بعلم الله فيها
لم يكن لهذا التوقع وجه . فعلامة خلوص العمل من الرياء ألا يجند تفرقة بين
أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ، ومهما وجد تفرقة فى ذلك فلا يكون
منفكا عن توقع ما (عن) (١) الناس فى طاعته ، وذلك مما يحبط العمل .
قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة : ألم يكن
يرخص عليكم السعر ؟ ألم تكونوا تبدؤون بالسلام ؟ ألم تكونوا تقضى لكم
الحوائج ؟ فلا اجر لكم ، قد استوفيتم اجرکم ! » .

فصل

(كيف يفسد الرياء العمل)

لو عقد العمل على الاخلاص واستمر الى الفراغ ، لم يحبطه السرور

(١) كذا فى النسخ ، ولعل (عند) مكان (عن) .

بظهوره بعده ، لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفة . ولا يعصى به أيضاً إن كان لأجل أحد المقاصد السالفة ، ويكتب له معصية إن كان لظنه حصول منزلة له في القلوب . ولو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبة والسرور بذلك ، فربما قيل باحباطه العمل ، إذ حب التحدث به يدل على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد خفي من الرياء . وقد أيد ذلك بما روى : « أن رجلاً قال للنبي ﷺ : إني صمت الدهر . فقال ﷺ : لا صمت ولا افطرت ا » . وما روى : « أن ابن مسعود سمع رجلاً يقول : قرأت الباردة سورة البقرة . فقال : ذلك حظها منها » .

والظاهر أنه لا يحبط عمله ، بل يثاب عليه ، وإن عوقب على ما صدر منه بعد الفراغ من الرياء . والتعليل لو تم لا يفيد البطلان ، إذ العقد الذي لم يشهر به صاحبه لا يؤاخذ به ، وإلا لزم التكليف بالمحال . والخبر لو صح فأنكاره ﷺ لأجل كراهية صوم الدهر لا لاظهاره . وقول ابن مسعود لو ثبت لا حجية فيه .

ولو عقد العمل على الاخلاص ، وورد في اثباته وارد السرور باطلاع بعض الناس عليه ، فإن لم يكن باعثاً على العمل ومؤثراً فيه بحيث لو لم يحدث لأتم العمل على الاخلاص من غير فتور ، وكان أيضاً لأحد المقاصد الصحيحة المتقدمة ، فلا بطلان ولا اثم ، لما تقدم من الاخبار . وإن لم يكن باعثاً واسكن لم يكن لشيء من المقاصد المذكورة ، بل كان لظنه نيل الجاه أو المال بالظهور ، فالحق بطلان العمل وكونه آثماً للعمومات السالفة . وإن كان باعثاً ومؤثراً فهو الرياء المحرم ، سواء كان غالباً على قصد التقرب أو مساوياً له أو مغلوباً عنه ، فيحبط العمل وعليه الاعادة لو كان فريضة ، لما تقدم من العمومات ، ولقوله ﷺ : « العمل كالوعاء ، إذا طاب آخره طاب أوله » .

وقوله **بطلان العمل** : من رأى بعمله ساعة ، حبط عمله الذى كان قبله ، ثم هذا فى العمل المركب الذى له اجزاء ، ويتوقف صحته على صحة كل واحد منها ، كالصوم والصلاة والحج . وأما العمل الذى كل جزء منه منفرد ، كالصدقة والقراءة ، فما يطرأ من الرياء فى اثنايه إنما يفسد الباقي دون الماضى فطرؤه فيه فى الاثنايه بالنسبة الى الماضى كطروته بعد الفراغ فى الاول . وهذا حكم الرياء الطارى بعد عقد الطاعة على الاخلاص أو قبله ، سواء لم يرجع عنه حتى يتمها ، أو ندم بعده فى الاثنايه أيضاً ورجع واستغفر وأما المقارن حال العقد ، بأن يبتدى بالصلاة مثلاً على قصد الرياء ، فان اتمها عليه فلا خلاف فى كونه اثمًا وعدم الاعتداد بها . وان ندم عليه فى الاثنايه ورجع واستغفر ، فان مجرد القصد الى الغير الباعث الى اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمة وارتياحه به فلا بأس به ولا يحبط العمل ، وان كان غير ذلك أفسده ، سواء فى ذلك جميع شقوقه المتقدمة ، كما علم وجهه .

فائدة

(شوائب الرياء مبطله للعمل)

لما كان المناط فى الاعمال ، صحة وفساداً ، هو القصد والنية ، إذ الاعمال بالنيات ، وليكل امرئ ما نوى ، فكل عمل تدخله شوائب الرياء فهو فاسد ، سواء وقع سراً او علانية ، وكل عمل كان خالصاً لله وأمن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا بأس باسرايه ولا باظهاره . ثم لو تعلق قصد صحيح باظهار نفس العمل أو التحدث به بعد الفراغ عنه ، كترغيب الناس فى الخير وتنبيههم على الاقتداء به فيه ، كان اظهاره أفضل من اسرايه

بشرط عدم اشتغاله على رياء أو فساد آخر ، كاهانة الفقير في التصدق ، ولو اشتمل على شيء من ذلك ، كان اسراره أفضل من اعلانه ، وبذلك يجمع بين الاقوال والَاخبار .

والحاصل : أنه متى انفك القلب عن شوائب الرياء ، بحيث يتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين ، فما فيه القدوة وهو العلانية أفضل ومهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره ، لسكونه مهلكاً له ، فالسر أفضل منه . فعلى من يظهر العمل أن يعلم أو يظن أنه يقتدى به ، وان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الرياء الخفي ، فربما اظهر العمل لعذر الاقتداء وكان في نفسه قصد التجميل بالعمل وكونه مقتدى به ، وهذا حال كل من يظهر العمل ، إلا من أیده الله بقوة النفس وخلص النية ، فلا ينبغي لضعيف النفس أن يمدح نفسه فيفضل ويضل ويهلك ويهلك من حيث لا يشعر . فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يعلم سباحة ضعيفة ، فينظر الى جماعة من الغرقى فيرحمهم ، وأقبل عليهم اينجيتهم ، فتشبهوا به ، وهلك وهلكوا . وهذه المواضع مزال أقدام العلماء والعباد ، فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص ، فتحبط اجورهم بالرياء . ودرك ذلك غامض جداً لا يبلغه إلا الخائضون في غمرات علم الاخلاق . ويعرف الخلوص في ذلك بالألا يتفاوت حاله باقتداء الناس به وبغيره من اقرانه وأمثاله ، فان كان قلبه أميل الى أن يكون هو المقتدى به ، فاظهاره العمل غير خال عن شوائب الرياء .

ابقاظ

لما عرفت أن المناط في صحة الأعمال وفسادها هو القصد والنية ، تعلم

أن كل عمل لم يكن خالصاً لوجه الله وأريد به غيره سبحانه ينبغى أن يترك ويعرض عنه ، وإن كان خالصاً له تعالى مقصوداً على قصد صحيح ، لا ينبغى تركه لمجرد بعض الوسوس والخواطر الشيطانية . فإن الشيطان يدعو أولاً الى ترك العمل فإن لم يجب يدعو الى الرياء ، فاذا أيس منه يقول : هذا العمل ليس خالصاً ، بل هو رياء ، فأى فائدة منه ١٤ .

ثم الاعمال إما من الطاعات اللازمة التي لاتعلق لها بالغير ، كالصلاة والصوم والحج وأمثالها ، أو من الطاعات المتعمدية التي لها تعلق بالخلق ، كالامامة والقضاء والحكومة والافتاء والوعظ والتذكير والتعليم والتدريس وانفاق المال وغير ذلك .

والقسم الاول : إن دخله الرياء قبل الفعل ، بأن يكون باعته الرياء دون الخلوص والقربة ، فينبغى أن يترك ولا يشرع فيه ، وإن دخله بعد العقد أو معه ، فلا ينبغى أن يترك ، لأنه وجد له باعث ديني ، وإنما طراه باعث الرياء ، فليجاهد في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص ، ويرد نفسه اليه قهراً بالمعالجات التي نذكرها . ومهما كان في مقام المجاهدة مع نفسه معاتباً لها قاهراً عليها في ميلها الى الرياء ، ووجد من طبعه كراهية هذا الميل ، فالنجاة في حقه مرجوة ؛ ولعل الله يسامحه بعظيم رحمته . وأما اذا لم يكن في مقام المجاهدة ، ولم يكن كارهاً مما يجد في نفسه من الميل الى الرياء ، بل أعطى زمام الاختيار الى النفس الامارة ، وهي ترأى في الاعمال ، وهو يتبعها في ذلك من غير قهر عليها وكراهية لفعالها ، فلا ريب في فساد أعماله وألوية تركها ، وإن كان باعثها ابتداء محض القربة ودخلها الرياء مع العقد أو بعده .

وأما القسم الثاني : المتعلق بالخلق - اعنى امامة الصلاة والقضاء والتدريس والافتاء والوعظ والارشاد وأمثال ذلك - فاخطارها عظيمة ،

ومثوبتها جسيمة . فمن له أهليه ذلك من حيث العلم - ان كان ذا نفس قوية لا يعتنى بالناس ولا تزعمها وساوس الخناس وله معرفة تامة بعظمة ربه وقدرته وسائر صفاته الكمالية ، بحيث شغله ذلك عن الالتفات الى الخلق وما في أيديهم حتى يرأى لاجلهم أو يختار رضاهم على رضاه - فالأولى لمثله ألا يترك هذه المناصب ليفوز بمثوبتها العظيمة . وإن كان ذا نفس ضعيفة ، كخيط مرسل في الهواء تفيئها (١) الريح مرة هكذا ومرة هكذا ، فهو لا يأمن الرياء وسائر أخطارها . فاللازم لمثله تركها . ولذلك كان أهل اليقين من السلف يتدافعون هذه المناصب ما وجدوا اليه سبيلا . وورد ما ورد من الأخبار في عظم خطرها كثرة آفاتها ولزوم التثبت والاحتياط لمن يزاؤها وما ورد من الوعيد الشديد في حق علماء السوء يكفي للزوم الحذر عن فتن العلم وغوائله . وما يقصم ظهور أمثالنا من الذين يقولون ما لا يعملون ويأمرون بما لا يفعلون ، قول عيسى بن مريم - عليهما السلام - : « يا علماء السوء ! تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون او تدرسون ما لا تعلمون فيا سوء ما تحكمون ! تتوبون بالقول والاماني ، وتعملون بالهوى ، وما يغني عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة ! بحق أقول لكم : لا تكونوا كالمخمل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة ! كذلك انتم ! تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم ! يا عبيد الدنيا ! كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته ! بحق أقول لكم : إن قلوبكم تبكى من أعمالكم ، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم : أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم ، فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة ! فإي ناس أخس منكم لو تعلمون ! ويلكم ! حتى متى

تصفون الطريق للمدجلين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركبوها لكم ! مهلاً مهلاً ! ويلكم ! ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ! كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بافواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة . ياعبيد الدنيا ! توشك الدنيا أن تقلعكم عن اصولكم فتلقبكم على وجوهكم ، ثم تكبكم على مناخركم ، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ! يدفعكم العلم من خلفكم ، ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى ! فيوقفكم على سواتكم ، ثم يخزيكم بسوء أعمالكم !! ، (١) هذا ويعرف الصادق المخلص من أهل هذه المناصب بأنه اذا ظهر من هو أعدل وأحسن وعظاً وأكثر علماً منه وأشد قبولا للناس فرح به ولم يحسده ، واذا حضر الأكابر والأعاضم مجلسه أو اقتدوا به لم يتغير كلامه ولم يتفاوت حاله ، بل يبقى على ما كان عليه ، وينظر الى عباد الله بعين واحدة .

﴿ تنبيه ﴾ : لما عرفت حقيقة الرياء ، تعلم أنه اذا صار عمل بعض الصالحين أو قولهم محركا لغيرهم على الاشتغال بالطاعة لم تكن هذه الطاعة رياء اذا عقدت على الخلوص ، وان لم يكن هذا الغير ليفعل هذه الطاعة اذا لم يشاهدها من بعض الصالحين أو لم يسمعها منه . فمن لم تكبر عاداته التمجيد وبات مع قوم متمجدين في موضع ، فاذا قاموا للتمجيد انبعث نشاطه للوفاقه ووافقهم في التمجيد ، ولم يكن ذلك رياء بعد أن يكون قصده منه الثواب والتقرب الى الله ، إذ كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل ، ولكنه قد تموقه العوائق وتمنعه الغفلة ، فاذا شاهد قوما يتمجدون ربما صارت مشاهدة طاعتهم سبباً لزوال غفلته ، كما يصير قولهم ووعظهم سبباً لذلك ،

(١) روى هذا الحديث في (احياء العلوم) : ٣ / ٢٨١ ، فصحة عليه . وهو يرويه

عن (الحارث المحاسبي) .

فيتحرك باعث الدين دون الرياء ويدعوه الى موافقتهم . وربما كان الموضوع مما ليس فيه عائق ، فيغتنم الفرصة ويبيعه ما فيه من الايمان الى الطاعة . وقس على التهجيد غيره : من الصوم ، والتصدق ، والقراءة ، والذكر ، وغيرها من أعمال البر .

فصل

(علاج الرياء)

لما كانت الاسباب الباعثة على الرياء هي حب لذة المدح والفرار من ألم الذم والطمع بما في أيدي الناس ، فالطريق في علاجه أن يقطع هذه الاسباب وقد تقدم طريق العلاج في قطع الاولين ، ويأتي طريق ازالة الثالث . وما نذكره هنا من العلاج العلمي للرياء ، هو أن يعلم أن الشيء إنما يرغب فيه لكونه نافعاً ، واذا علم أنه ضار ليعرض عنه البتة . وحينئذ ، فينبغي لكل مؤمن أن يتذكر مضره الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من المقت والعذاب ومتى تذكر ذلك وقابل ما يحصل له في الدنيا من الناس الذين رامى لأجلهم بما يفوته في الآخرة من ثواب الاعمال ، لتترك الرياء لامحالة . مع أن العمل الواحد ربما تترجح به كفة حسناته لو خالص ، فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات ، فتترجح به ويهوى الى النار . هذا مع أن المرأتى في الدنيا متشمتت الهم متفرق البال بسبب ملاحظة قلوب الناس ، فان رضاهم غاية لا تدرك ، وكلما يرضى به فريق يسخط به فريق ، ومن طلب رضاهم في سخط الله يسخط الله عليه وأسخطهم أيضاً . ثم اى غرض له في مدحهم

وايثار ذم الله لأجل مدحهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلالا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يرم القيامة ! ومن كان رباؤه لأجل الطمع بما في ايدي الناس ، ينبغي أن يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء ، وان الخلق مضطرون فيه ، ولا رازق إلا الله ، ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخسة ، وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة ، واذا قرن ذلك في نفسه ولم يكن منكرا لألمسه ، زالت غفلته وفترت عن الرياء رغبته وأقبل على الله بقلبه ، وانقطع بشراشره الى جناب ربه . ويكفيه أن يعلم أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واطهار الاخلاص لمقتوه ، وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه اليهم ، ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له ، وأطلق أسلنتهم بمدحه وثنائه ، مع أنه لا يحصل له كمال بمدحهم ولا نقصان بدمهم .

ثم من تنور قلبه بنور الايمان وانشرح صدره باليقين والعرفان، وعرف معنى الواجب وحقيقة الممكن ، وتيقن بأن الواجب - أى الحقيقة التي تقتضى بنفس ذاته التحقق والبقاء ، وهو صرف الوجود - يجب أن يكون تاما فوق التمام ، ولا يتصور حقيقة أنه كالألمنة ، والحقيقة التي هذا شأنها يجب أن يكون ماسواها باسره مستندا اليها وصادرا عنها على أشرف انحاء الصدور وأقواها . وهذا النحو الأشرف الأقوى الذي لا يتصور نحوه أقوى منه في الاختراع وأدل منه على كمال عظمة الموجد وقدرته ، وهو كون ماسواه سبحانه من الموجودات ، إما اعتبارات وشئون لدرجات ذاته واشراقات لتجليات صفاته ، كما ذهب اليه قوم ، أو كونها ماهيات امكانية اختراعية علما وعينا ، صادرة عنه سبحانه بوجودات خاصة متعددة ارتباطية

بمحض ارادته ومشيته ، كما ذهب اليه آخرون (١) . ولو لم يكن غيره من الموجودات مستنداً اليه على أقوى أنحاء الاستناد ، لم يكن تاماً فوق التمام ، اذ تكون الذات التي يستند اليها باحد النحويين اكمل منه وأشرف . واذا عرف أنه سبحانه كذلك ، يعرف أنه ليس في الوجود حقيقة أحد سواه وغيره حقيقة العدم وما له من الوجود والظهور منه سبحانه ، وبعد هذه المعرفة لا يختار غيره تعالى عليه ، ويعلم أن العباد كلهم معجزة لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ، فلا يتغير قلبه بمشاهدة الخلق ، ولا يلتفت اليهم إلا بخطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها ، فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمله .

وأما العلاج العملي ، فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها ، كما تغلق الابواب دون الفواحش ، حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ، ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به . وذلك وإن شق في بداية المجاهدة ، لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله وما يمد به عبادة من حسن التوفيق والتأييد:

(١) القول الاول مبني على اصالة الوجود ، والثاني على اصالة الماهية . وهذا البحث الذي ذكره المؤلف من دقائق الفلسفة الالهية واعلاها ، ولقد أحسن فيه البيان جداً . فانه مبني على فهم معنى واجب الوجود لذاته ، وهو الذي يكون ذاته بذاته . مع قطع النظر عن كل ماعداه ، ومن حيث هو هو منقأ لا يتزاع انه موجود ، فلذلك يجب ان يكون صرف الوجود انه لاشيء له الوجود ولا يمكنه الا ليكون ممكناً ، ويجب ان يكون منصفاً بجميع الكمالات بل اكمل الكمالات ومن جعلتها ان تكون الموجودات مستندة اليه على أقوى أنحاء الاستناد . واذا لم يتصرف بجميع الكمالات لا يتصف باعدامها ، فيدخل في حقيقته العدم ؛ فلم يكن صرف الوجود ، فلم يكن واجب الوجود لذاته ، وهذا خلاف الفرض ، او بهذه الطريقة يستدل على اتصافه بجميع صفات الجمال والجلال .

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (١).

فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية :

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» (٢).

تعبير

القالع مغارس الرياء من قلبه بقطع الطمع واستحقار مدح الناس وذمهم ربما يتركه الشيطان ، (لا سيما في اثناء العبادة ، فعارضه بخطرات الرياء ونزعاته ، حتى احدث في قلبه ميلا خفياً الى الرياء وحباً له . والحق أن ذلك ليس من الرياء المحرم ، ولا تفسد به العبادة ، مع كونه كارها لهذا الميل والحب وقاهر آ على نفسه ماقتاً لها في تأثرها وتغيرها عن نزعات الشيطان ومنازعا للشيطان ومجاهداً اياه لدفع خطراته ، لأن الله لم يكلف عباده الا ما يطيقون ، وليس في وسعهم منع الشيطان عن نزعاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى شهواته ، وغاية ما يقدرون عليه أن يقابلوا نزعاته ويميل الطبع بالكرهه والقهر على النفس في هذا الميل ، مع المجاهدة في دفع ذلك بتذكر المعالجات المقررة لدفع الرياء والوساوس ، واذا فعلوا ذلك أدوا ما يجب عليهم . ويدل على ذلك أيضاً ما تقدم من الأخبار الدالة على عدم المؤاخذه بمجرد الوسوسة ، وقول النبي ﷺ : « الحمد لله الذي ردكيد الشيطان الى الوسوسة » . فوسوسة الشيطان وميل النفس لا يضران مع ردها بالكرهه والاباء ، اذ الوسواس والخواطر والتذكرات والتخييلات المهيجة للرياء من الشيطان ، والميل والرغبة بعد تلك الخواطر من النفس ، والاباء والكرهه من الايمان ومن آثار العقل

فلا يضر ما من النفس والشيطان اذا قوبل بما من العقل والايان . ولذا قال بعض الاكابر : وما كان من نفسك فكبرهته نفسك لنفسك ، فلا يضر ك ما هو من عدوك ، وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه . ثم الطرق المتصورة في دفع خطرات الرياء في اثناء العبادة مع كراهتها أربع :

الاولى — أن يشتغل بمجادلة الشيطان في رد نزعاته ، ويطيل معه الجدل .
الثانية — أن يقتصر على تكذيب الشيطان ودفعه من غير اشتغال بمجادلته .

الثالثة — ألا يشتغل بتكذيبه أيضا ، بل يكتفي بما قرر في عقد ضميره من كراهة الرياء وكذب الشيطان ، فيستمر على ما كان عليه مستصحبا له غير مشتغل بالمخاصمة والتكذيب .

الرابعة — أن يزيد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله ، أو ما يؤدي اليهما ، كاخفاء العبادة والصدقة غيظا للشيطان ، لأن ذلك يغيظ الشيطان ويوجب يأسه ، ومهما عرف من العبد هذه العادة ، كيف عنه خوفا من أن يزيد في حسناته .

ولا ريب في أن الاشتغال بالمجادلة والتكذيب واطالتهما يمنع الحضور ويصد عن التوجه الى الله ، وهو نقصان لأهل السلوك ، فالصواب لاسكل مؤمن ان يقرر دائما في عقد ضميره كراهية الرياء وتكذيب الشيطان ، ويعزم أبدا على أنه اذا تهجم عليه الشيطان وعارضه بنزغات الرياء زاد ما هو فيه مما يغيظ الشيطان ويوجب يأسه ، فاذا حدثت خطرات الشيطان في الاثناء ، اكتفى بما عقد عليه أولا مستصحبا له ، وزاد في الاخلاص وما يؤدي اليه فان ذلك يوجب قنوط الشيطان . واذا عرف العبد بهذه الصفة لا يتعرض له

لئلا يزيد فيما يغيظه . وينبغي لسلك مؤمن أن يكون هذا ديدنه في جميع الصفات والملاكات ، مثلا اذا حصل اليقين والعقيدة الجازمة بالمبدأ وصفاته الكمالية ، وقرر ذلك في نفسه ، وأثبت في قلبه كراهية الشك وخطور الوسوس ، فاذا حدث بعض الوسوس في اثناء عبادة أو غيرها ، ينبغي ألا يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان ، ويكتفي بما تقرر في قلبه من اليقين وكراهية الشك والوسوسة ، معتقداً بأن هذه الوسوس لأصل لها ولا عبرة بها . وكذا اذا قرر في نفسه النصيحة للمسلمين وكراهية الحسد ، فاذا أوقع الشيطان نزغات الحسد في قلبه ، ينبغي ألا يلتفت اليها ، ويستصحب ما كان عليه من النصيحة والكراهية ، وقس عليها سائر الصفات والأخلاق .

ثم مثل من يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان مثل من قصد مجلساً من مجالس العلم والوعظ لينال فائدة وهداية فعارضه ضال فاسق ودعاه الى مجلس فسق فابى وانكر عليه ، فاذا عرف الضال إباه ، اشتغل بالمجادلة معه ، وهو أيضاً يساعده على ذلك ليرد ضلاله ، ظاناً أن ذلك مصلحته ، مع أنه غرض الضال إذ قصده من المجادلة أن يؤخره عن نيل مقصوده . ومثل من يشتغل بالتكذيب مثل من لا يشتغل بالقتال مع الضال بعد دعوته الى مجلس الضلال ، بل وقف بقدر أن يدفع في منحره ، وذهب مستعجلاً ، ففرح الضال بقدر توقفه للدفع . ومثل من يكتفي بعقد الضمير مثل من لم يلتفت الى الضال بعد دعوته أصلاً ، واستمر على ما كان عليه من المشي . ومثل من يزيد فيما كان له من الاخلاص أو ما يؤدي اليه مثل من يزيد في عجلته بعد دعوته ليغيظه . ولا ريب في أن الضال يمكن أن يعاود الجميع في الدعوة الى الضلالة اذا مروا عليه مرة اخرى إلا الأخير ، مخافة أن يزداد فائدة باستعجاله .

وصل

(الاخلاص وحقيقته)

ضد الرياء الاخلاص ، وهو تجريد القصد عن الشوائب كلها . فمن عمل طاعة رياء فهو مرء مطلق ، ومن عملها وانضم الى قصد القرابة قصد غرض دنيوى انضماما غير مستقل فعمله مشوب غير خالص ، كقصد الانتفاع بالحمية من الصوم ، وقصد التخلص من مؤنة العبد أو سوء خلقه من عتقه ، وقصد صحة المزاج أو التخلص من بعض الشرور والاحزان من الحج ، وقصد العزة بين الناس أو سهولة طلب المال من تعلم العلم ، وقصد النظافة والتبريد وطيب الرائحة من الوضوء والغسل ، والتخلص عن ابرام السائل من التصدق عليه ، وهكذا . فمتى كان باعث الطاعة هو التقرب وليكن انضافت اليه خطرة من هذه الخطرات ، خرج عمله من الاخلاص . فالاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها ، كثيرها وقليلها . والمخلص من يكون عمله لمحض التقرب الى الله سبحانه ، من دون قصد شىء آخر أصلا .

ثم أعلى مراتب الاخلاص - وهو الاخلاص المطابق واخلاص الصديقين - ارادة محض وجه الله سبحانه من العمل ، دون توقع غرض فى الدارين . ولا يتحقق إلا لمحبة لله تعالى مستهتراً به ، مستغرق الهم بعظمته وجلاله ، بحيث لم يكن ملتفتاً الى الدنيا مطلقاً . وأدناها - وهو الاخلاص الاضافى - قصد الثواب والاستخلاص من العذاب ، وقد أشار سيد الرسل - صلى الله عليه وآله - الى حقيقة الاخلاص بقوله : « هو أن تقول ربى الله الله ثم تستقيم كما امرت (١) ، تعمل لله ، لاتحب أن تحمد عليه ! اى لاتعبد

(١) اشارة الى قوله تعالى ، مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وآله : « فاستقم كما امرت » .

هواك ونفسك ، ولا تعبد إلا ربك ، وتستقيم في عبادتك كما أمرت ، . وهذا إشارة الى قطع ماسوى الله سبحانه عن مجرى النظر ، وهو الإخلاص حقاً . ويتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد في الآخرة ، بحيث ما يغلب ذلك على القلب والتفكير في صفات الله تعالى وافعاله والاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله وعظمته ، ويستولى عليه حبه وأنسه ، وكمن أعمال يتعب الانسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله تعالى ، ويكون فيها مغروراً لعدم عثوره على وجه الآفة فيها ، كما حكى عن بعضهم أنه قال : « قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول ، لاني تأخرت يوماً لعذر وصليت في الصف الثاني ، فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني ، فعرفت أن نظر الناس الى في الصف الأول كان يسرنى ، وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا أشعر ، . وهذا دقيق غامض ، وقلها تسلم الأعمال من أمثاله ، وقل من ينتبه له ، والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كما سيئات ، وهم المرادون بقوله تعالى :

« وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا » (١) . « وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ

مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ » (٢) . وبقوله : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ

أَعْمَالًا ؟ الَّذِينَ ضَلَّ سَفْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ

أَنْهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » (٣) .

(٣) الكهف ، الآية : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(١) الجاثية ، الآية : ٣٣ .

(٢) الزمر ، الآية : ٤٧ .

فصل

(مدح الاخلاص)

الاخلاص منزل من منازل الدين ، ومقام من مقامات الموقنين . وهو الكبريت الاحمر ، وتوفيق الوصول اليه من الله الاكبر ، ولذا ورد في فضيلته ما ورد من الآيات والَاخبار ، قال الله تعالى :

« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » (١).
 وقال : « أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » (٢). وقال : « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ » (٣). وقال :
 « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (٤) .

نزل فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه .

وفي الخبر القدسي : « الاخلاص سر من اسرارى ، استودعته قلب من أحببت من عبادى ، . وقال رسول الله ﷺ : « اخلص العمل يجزئك منه القليل ، . وقال ﷺ : « ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، . وقال ﷺ : « ثلاث لا يغفل عليهن ، : وعد منها قلب رجل مسلم أخلص العمل لله عز وجل . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لانهتموا لقلة العمل ، واهتموا للقبول ، . وقال

(١) البينة ، الآية : ٥ . (٣) النساء ، الآية : ١٤٦ .
 (٢) الرمز ، الآية : ٣ . (٤) الكهف ، الآية : ١١٠ .

أمير المؤمنين عليه السلام : « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم يفس ذكر الله بما تسمع اذناه ، ولم يحزن صدره بما اعطى غيره ا . . . » وقال الباقر عليه السلام : « ما أخلص عبد الايمان بالله أربعين يوماً - أوقال : ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً - إلا زهده الله تعالى في الدنيا وبصره داما ودوامها ، وأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه ، . . . » وقال الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل :

« لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » :

« ليس يعنى اكثركم عملا ، ولكن اصوبكم عملا . وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ، .. » ثم قال : « الايفاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص الذى لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عز وجل ، والنية أفضل من العمل ، ألا وان النية هى العمل ، .. » ثم تلا قوله عز وجل « قل كل يعمل على شاكلته » : يعنى على نيته .

وقال الصادق عليه السلام : « الاخلاص يجمع فواضل الاعمال ، وهو معني مفتاحه القبول وتوفيقه الرضا ، فمن تقبل الله منه ورضى عنه فهو المخلص وان قل عمله ، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثير عمله ، اعتباراً بأدم عليه السلام وابليس . وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة علم كل حركة وسكون ، والمخلص ذائب روحه باذل مهجته في تقويم مابه العلم والأعمال والعامل والمعمول بالعمل ، لأنه اذا ادرك ذلك فقد أدرك ذلك السلك ، واذا فاته ذلك فاته السلك ، وهو تصفية معانى التنزيه في التوحيد كما قال الاول : هلك العاملون إلا العابدون ، وهلك العابدون إلا العالمون

(١) صححنا الاخبار المروية عن أهل البيت - عليهم السلام - على (الكافي) : باب

الاخلاص . وعلى (الوافي) : ٣ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ باب الاخلاص .

وهلك العالمون إلا الصادقون ، وهلك الصادقون إلا المخلصون ، وهلك المخلصون إلا المتقون ، وهلك المتقون إلا الموقنون ، وأن الموقنين لعلى خطر عظيم ! قال الله لنبيه ﷺ : واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . وأدنى حد الأخلص بذل العبد طاقته ، ثم لا يعمل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربه مكافأة بعمله ، لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز ، وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة في جميع الآثام ، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة ، (١) .

ومن تأمل هذه الاخبار وفي غيرها مما لم يذكر ، يعلم أن الاخلص رأس الفضائل ورئيسها ، وهو المناط في قبول الأعمال وصحتها ، ولا عبادة بعمل لا اخلص معه ، ولا خلاص من الشيطان إلا بالاخلص ، لقوله : «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» (٢) .

وما ورد في الاسرائيليات من حكاية العابد والشيطان والشجرة مشهور وفي الكتتب مشطور (٣) .

فصل

(آفات الاخلص)

الآفات التي تكدر الاخلص وتشوشه لها درجات في الظهور والخفاء اجلاها الرياء الظاهر ، وهو ظاهر . ثم تحسين العبادة والسعي في الخشوع

(١) صححنا الرواية على (مصباح الفريمة) : الباب ٧٧ وعلى (البحار) : ج ١٥ :

٢ / ٨٦ باب الاخلص عن (مصباح الفريمة) .

(٢) الحجر ، الآية . ٤٠ . (٣) راجع (احياء العلوم) . ٤ / ٣٢٢ .

فيها في المملأ دون الخلو ليتأسى به الناس ، ولو كان عمله هذا خالصاً لله لم يتركه في الخلو ، إذ من يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضى لغيره تركه ، فكيف يرتضى ذلك لنفسه في الخلو ؟ ثم تحسبها في الخلو أيضاً بقصد التسوية بين الخلو والمملأ ، وهذا من الرياء الغامض ، لأنه حسن عبادته في الخلو ليحسنها في المملأ ، فلا يكون فرق بينهما في التفاته فيهما الى الخلق ، إذ الاخلاص الواقعي ان تكون مشاهدة الخلق لعبادته كشاهدة البهائم لها ، من دون تفاوت اصلا ، فكان نفسه لا تسمح باسائة العبادة بين اظهر الناس ، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرأتين ، ويظن أن ذلك يزول باستواء عبادته في الخلو والمملأ ، وليس كما ظنه ، إذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاته الى الخلق في المملأ والخلو كما لا يلتفت الى الجمادات فيهما مع أنه مشغول الهم بالخلق فيهما جميعاً . واخفاها أن يقول له الشيطان - وهو في العبادة في المملأ بعد يأسه عن المكائد السابقة - : أنت واقف بين يدي الله سبحانه ، فتفكر في جلاله وعظمته ، واستحي من أن ينظر الى قلبك وهو غافل عنه ! فيحضر بذلك قلبه وتخضع جوارحه ، وهذا أخفى مكائد الشيطان وخداعه ، ولو كانت هذه الخطرة ناشئة عن الاخلاص لما انفكت عنه في الخلو ولم يخص خطورها بحالة حضور غيره ، وعلامة الامن من هذه الآفة : أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلو كما يألفه في المملأ ، ولا يكون حضور الغير سبباً لحضوره ، كما لا يكون حضور بهيمة سبباً له ، فما دام العبد يفرق في أحواله وأعماله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة ، فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، كما ورد به الخبر ولا يسلم منه إلا من عصاه الله

بحق لطفه ، اذ الشيطان ملازم للمتشمسين لعبادة الله ، لا يغفل عنهم لحظة ليحملهم على الرياء في كل واحد من أفعالهم وأعمالهم .

تتبعهم

الحق - كما أشير إليه - أن الشوب الممزوج بالاخلاص إن كان من المقاصد الصحيحة الراجعة شرعا ، لم يبطل العمل والاخلاص ولم ينقص الأجر والثواب . اذ نية الخيرات المتعددة توجب تضاعف الثواب بحسبها وان كان من الاغراض الدنيوية الراجعة الى حب جاه أو طمع مال فهو مبطل للعمل والثواب ، سواء كان الباعث الديني أضعف من الباعث النفسى أو مساويا له أو أقوى منه ، لظواهر الاخبار المتقدمة . ومع ابطاله العمل ، يترتب عليه عقاب على حدة أيضاً ، إذ الرياء في العبادة في نفسه منهي عنه محرم ، سواء كان هو الباعث وحده أو انضم الى نية التقرب انضماما مستقلا أو غير مستقل ، فمن ارتكبه كان آثماً لأجل الرياء في نفسه وتاركا للعبادة من حيث دخول الرياء فيها ، فان كانت واجبة ترتب اثم آخر على تركها إلا أن يسقطه بقضائها ، وان كانت مستحبة لم يلزم قضاؤها ولم يترتب اثم على تركها ، بل كان اثمها منحصراً بما يترتب على الرياء في نفسه . ثم الاثم المترتب على الرياء المحض أشد واغلظ من المترتب على الرياء الممزوج بالقربة ، ويتزايد اثم الممزوج بحسب ازدياد قوة باعث الرياء بالنظر الى باعث الاخلاص ، وينقص بحسب نقصان ذلك .

وعلى ما ذكرناه ، فما انعقد عليه اجماع الائمة من أن من خرج حاجباً ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه ، مع أن سفره ليس اخصاصاً للحج ،

فالوجه فيه أن التجارة تعرض للرزق ، وهو أيضاً عبادة . وقد تقدم أن نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها ، فلا حاجة إلى ما قيل : « إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص ، وإنما المشترك طول المسافة ، ولا ثواب فيه مهما قصد تجارة ، ، ولا إلى ما قيل : « مهما كان الحج هو المحرك الأصلي ، وكان غرض التجارة كالمعين والتابع ، فلا ينفك نفس السفر عن الثواب ، . نعم ، إذا كانت التجارة للجمع والادخار من غير حاجة ، فلا يبعد أن يقال ذلك ، وكذا إذا انضم إلى قصد الحج قصد التفرج ودفع التوحش عن الأهل انضماماً غير مستقل ، ومثله إذا انضم إلى نية الوضوء التبرد ؛ وإلى نية الصوم قصد الحمية ، وإلى نية العتق الخلاص من المؤنة وسوء الخلق ، إلى غير ذلك ، إذا لم تكن المنضمات مستقلة .

ومن العلماء من قال : « إن الباعثين إن تساويًا تساقطاً ، وصار العمل لاله ولا عليه ، وإن كان باعث الزيادة أقوى لم يكن العمل نافعاً ، بل كان مضراً وموجباً للعقاب ، وإن كان عقابه أخف من عقاب الذي تجرد للزيادة وإن كان باعث التقرب أقوى فله ثواب بقدر ما فضل من قوته ، لقوله تعالى : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (١) . وقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ » (٢) .

فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير ، بل إن كان قصد التقرب غالباً على الزيادة حبط منه القدر الذي يساويه وبقية زيادة ، وإن كان مغلوباً سقط

بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد . والسر : أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها ، فداعية الرياء من المهلكات ، وقوة هذا المهلك بالعمل على وفقه ، وداعية الخير من المنجيات ، وقوته بالعمل على وفقه ، فإذا اجتمعت الصفات في القلب فهما متضادتان ، فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء قويت تلك الصفة ، وإن عمل على وفق داعية الخير قويت أيضاً تلك الصفة ، واحدهما مهلك والآخر منج . فإن كانت تقويته لهذا بقدر تقويته للآخر فقد تقاوما ، وإن كان أحدهما غالباً زاد تأثيره بقدر الفاضل من قوته ، كما في تأثير الأدوية والأغذية المتضادة ، انتهى (١) .

وفيه : أن إطلاق الظواهر يفيد كون شوب الرياء محبطاً للعمل والثواب وقد تقدم بعضها . ومنها ما روى : « أن رجلاً سأل النبي ﷺ : عن يصطنع المعروف - أو قال يتصدق - فيجب أن يحمد ويؤجر ، فلم يدر ما يقول له ، حتى نزل قوله تعالى :

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (٢) .

ولا ريب في أنه قصد الحمد والأجر جميعاً ، ومع ذلك نزلت في حقه هذه الآية .

(١) أبو حامد التزالي : (أحياء العلوم) : ٤ / ٣٢٨ . ونقله المؤلف باختصار وتصرف

قليلين .

(٢) هذه مروية في (البحار) : مج ١٥ = ٥٩/٣ ، باب ذم السمعة والافتقار بمدح الناس ، عن عدة الداعي بضمون يقارب ما هنا . ونحوه عن سعيد بن جبيرة قال : « جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وآله - فقال : أتني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله فيذكر عنى واحمد عليه ، فأسر في ذلك وأعجب به . فسكت رسول الله - صلى الله عليه وآله - ولم يقل شيئاً ، فنزل قوله تعالى : إنما أنا بهر ٠٠ الآية » .

ومنها ماروى : « أن اعرابياً أتاه صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، الرجل يقا تل حمية ، والرجل يقا تل شجاعة ، والرجل يقا تل ليرى مكانه فى سبيل الله ! فقال صلى الله عليه وسلم : من قا تل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ، وحملها على صورة تساوى القصدىن أو غلبة قصد الرياء خلاف الظاهر . وما ذكره من أن لكل قصد وفعل تأثيراً خاصاً على حدة ، ففيه أن ذلك اذا لم يبطله ضده . ونحن نقول : إن مقتضى الاخبار كصريح العقل يدل على أن قصد الرياء يبطل قصد القربة اذا تواردا على فعل واحد ، فلا يبقى لقصد التقرب تأثير حتى يتصف بالزيادة على تأثير قصد الرياء .
ومنها :

النفاق

وهو مخالفة السر والعلان ، سواء كان فى الايمان أو فى الطاعات أو فى المعاشرات مع الناس ، وسواء قصد به طلب الجاه والمال أم لا . وعلى هذا فهو أعم من الرياء مطلقاً ، وان خص بمخالفة القلب واللسان أو بمخالفة الظاهر والباطن فى معاملة الناس ومصاحبتهم ، فبينهما عموم وخصوص من وجه . وعلى التقادير ، إن كان باعته الجبن فهو من رذائل قوة الغضب من جانب التفريط ، وان كان باعته طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الافراط وإن كان منشأ تحصيل مال أو منكح فهو من رذائل قوة الشهوة . ولا ريب فى أنه من المهلكات العظيمة ، وقد تعاضدت الآيات والأخبار على ذمه . وأشد أنواع النفاق - بعد كفر النفاق - كون الرجل ذا وجهين ولسانين ، بأن يمدح أخاه المسلم فى حضوره ويظهر له المحبة والنصيحة ، ويذمه فى غيبته ويؤذيه بالسب والسعاية الى الظالمين وهتك عرضه واتلاف ماله وغير ذلك ،

وبأن يتردد بين متعددين ويتكلم لكل واحد بكلام يوافقه ، ويحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعادة مع صاحبه ويمدحه (١) على ذلك ، أو يعد كل واحد منهما أنه ينصره ، أو ينقل كلام كل واحد الى الآخر . وهذا شر من النميمه التي هي النقل من أحد الجانبين . وبالجملة : هو بجميع أقسامه مذموم محرم ، قال رسول الله ﷺ : « من كان له وجهان في الدنيا ، كان له لسانان من نار يوم القيامة » . وقال ﷺ : « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » . وقال ﷺ : « يجي يوم القيامة ذو الوجهين دالماً لسانه في قفاه وآخر من قدمه يلتهبان ناراً حتى يلتهبان خده » ، ثم يقال : هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين ، يعرف بذلك يوم القيامة . وورد في التوراة : « بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين ، يملك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين » . وعن علي بن اسباط ، عن عبد الرحمن بن حماد ، رفعه قال : قال الله تبارك وتعالى لعيسى : « يا عيسى ، ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً ، وكذلك قلبك ، إني احذرك نفسك ، وكفى بي خبيراً ! لا يصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد ، وكذلك الاذهان ! » . وقال الباقر عليه السلام : « لبس العبد عبيد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطرى أخاه شاهداً ويأكله غائباً ، إن أعطى حسده وإن ابتلى خذله » .

ثم لا يخفى أن الدخول على المتعادين والمجامله مع كل منهما قولاً وفعلًا لا يوجب كونه منافقاً ولا ذا لسانين اذا كان صادقاً ، إذ الواحد قد يصادق متعددين ، وليكن صداقة ضعيفة ، إذ الصداقة التامة تقتضى معادة الاعداء

(١) وفي النسخ (اثناه) بدل (يمدحه) ، ولم نر لها وجهاً .

وكذا من ابتلى بذي شريخاف شره ، يجوز أن يجامله ويتقيه ويظهر له في حضوره من المدح والمحبة ما لم يعتقد به قلبه ، وهو معنى المداراة ، وهو وان كان نفاقاً إلا أنه جائز شرعاً للعذر ، قال الله سبحانه :

« ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةِ » . (١) .

وروى : « أنه استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال : ائذنوا له فبئس رجل العشيرة . فلما دخل ، ألان له القول ، حتى ظن أن له عنده منزلة . فلما خرج ، قيل له : لما دخل قلت الذي قلت ، ثم ألنت له القول؟! فقال : إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من أكرمه الناس اتقاء لشره . ويدل على جواز ذلك جميع أخبار التقية وأخبار المداراة . وفي خبر : « ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة » . وقال بعض الصحابة : « كنا نبشر في وجوه أقوام نلعنهم بقلوبنا » . ثم جواز ذلك إنما إذا اضطر إلى الدخول على ذي الشر ومدحه مظنة الضرر ، أما لو كان مستغنياً عن الدخول والثناء أو عن أحدهما ، ومع ذلك أبدى بلسانه ما ليس في قلبه من المدح ، فهو نفاق محرم .

ثم ضد النفاق استواء السر والعلانية ، أو كون الباطن خيراً من الظاهر ، وهو من شرائف الصفات ، وكان الاتصاف به والاجتناب من النفاق أهم مقاصد المؤمنين من الصدر الأول . ومن تأمل في ماورد في ذم النفاق وفي مدح موافقة الباطن مع الظاهر ، وتقدم الروية في كل قول وفعل لم يصعب عليه أن يحافظ نفسه من رذيلة النفاق .

انتهى الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث ، وأوله (ومنها : الغرور)

فهرست الجزء الثانى من (جامع السعادات)

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|-------------------------------|--------|---|--------|
| غوائل المال وفوائده | ٥٠ | المقام الثالث | |
| الامور المنجية من غوائل المال | ٥٣ | فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل | |
| الزهد | ٥٥ | الشهره | ٤ |
| مدح الزهد | ٥٦ | فوائد الجوع | ٨ |
| اعتبارات الزهد ودرجاته | ٦٥ | الشهوية الجنسية | ٨ |
| الزهد الحقيقي | ٧٥ | الخمود | ١٣ |
| (٣) الغنى | ٧٥ | العفة | ١٥ |
| ذم الغنى | ٧٦ | الانواع والنتائج والآثار المتعلقة | |
| الفقر | ٧٧ | بالقوة الشهوية ، وهي (١١) نوعا: | |
| اختلاف أحوال الفقراء | ٧٨ | (١) حب الدنيا | ١٧ |
| مراتب الفقر ومدحه | ٨١ | لا بد للمؤمن مكسب | ٢٠ |
| الموازنة بين الفقر والغنى | ٨٨ | الدنيا المذمومة هي الهوى | ٢١ |
| ما ينبغي للفقير | ٩٢ | ذم الدنيا وانها عدوة الله والانسان | ٢٣ |
| وظيفة الفقراء | ٩٣ | خسائس صفات الدنيا | ٣٥ |
| موارد قبول العطاء وردها | ٩٤ | تشبيهات الدنيا وأهلها | ٣٩ |
| لا يجوز السؤال من غير حاجة | ٩٥ | عاقبة حب الدنيا وبعضها | ٤١ |
| (٤) الحرص | ١٠٠ | (٢) حب المال | ٤٥ |
| القناعة | ١٠١ | ذم المال | ٤٦ |
| علاج الحرص | ١٠٣ | الجمع بين ذم المال ومدحه | ٤٩ |

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|-------------------------------------|--------|--------------------------------|--------|
| الامور المستحبة من الانفاق | | (٥) الطمع | ١٠٦ |
| الداخلة تحت السخاء، و (٩) انواع: | | الاستغناء عن الناس | ١٠٧ |
| ١ - صدقة التطوع | ١٤٥ | (٦) البخل | ١٠٨ |
| فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة | ١٤٧ | ذم البخل | ١٠٩ |
| ٢ - الهدية | ١٥٠ | السخاء | ١١٢ |
| ٣ - الضيافة | ١٥١ | معرفة ما يجب أن يبذل | ١١٦ |
| ما ينبغي أن يقصد في الضيافة | ١٥٤ | الايثار | ١١٨ |
| آداب الضيافة | ١٥٥ | علاج مرض البخل | ١٢٠ |
| ٤ - الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاذ | ١٥٦ | الامور الواجبة (٣) أنواع: | |
| ٥ - القرض | ١٥٩ | ١ - الزكاة | ١٢٣ |
| ٦ - انظار المهسر والتحليل | ١٦٠ | سر وجوب الزكاة وفضيلة سائر | ١٢٥ |
| ٧ - بذل الكسوة والسكنى ونحوهما | ١٦٠ | الانفاقات | |
| ٨ - ما يبذل لوقاية العرض والنفس | ١٦٢ | الحث على التعجيل في الاعطاء | ١٢٧ |
| ٩ - ما ينفع في المنافع العامة | ١٦٢ | فضيلة اعلان الصدقة الواجبة | ١٢٨ |
| الفرق بين الانفاق والبر والمعروف | ١٦٢ | ذم المن والاذى في الصدقة | ١٢٩ |
| (٧) طلب الحرام | ١٦٥ | ما ينبغي للمعطي | ١٣١ |
| عزة تحصيل الحلال | ١٦٨ | ما ينبغي للفقراء في اخذ الصدقة | ١٣٦ |
| انواع الاموال | ١٦٩ | زكاة الابدان | ١٣٧ |
| الفرق بين الرشوة والهدية | ١٧١ | ٢ - الخس | ١٣٨ |
| الورع عن الحرام | ١٧٤ | ٣ - الانفاق على الاهل والعيال | ١٤٠ |
| مدح الورع | ١٧٦ | ما ينبغي في الانفاق على العيال | ١٤٢ |

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|------------------------------------|--------|------------------------------------|--------|
| (٢) الايذاء والاهانة والاحتقار | ٢١٤ | مداخل الحلال | ١٧٩ |
| كيف الاذى عن المسلمين | ٢١٦ | درجات الورع | ١٨٠ |
| ذم الظلم بالمعنى الاخص | ٢١٩ | (٨) الغدر والخيانة | ١٨١ |
| العدل بالمعنى الاخص | ٢٢٣ | (٩) انواع الفجور | ١٨٣ |
| (٣) اخافة المؤمن | ٢٢٥ | (١٠) الخوض في الباطل | ١٨٣ |
| ادخال السرور في قلب المؤمن | ٢٢٥ | (١١) التكلم بما لا يعنى او الفضول | ١٨٥ |
| (٤) ترك اعانة المسلمين | ٢٢٨ | حد التكلم بما لا يعنى | ١٨٧ |
| قضاء حوائج المسلمين | ٢٢٩ | علاج الخوض بما لا يعنى | ١٨٨ |
| (٥) التهاون والمراهنة | ٢٣٢ | الصمت | ١٨٩ |
| السمي في الامر بالمعروف | ٢٣٧ | المقام الرابع | |
| وجوب الامر بالمعروف وشروطه | ٢٤٠ | فيما يتعلق بالقوى الثلاث او باثنين | |
| عدم اشتراط العدالة فيه | ٢٤٣ | منها من الرذائل والفضائل وهي (٣٢) | |
| مراتب الامر بالمعروف | ٢٤٦ | نوعاً | |
| معنى وجوبها كفاثياً | ٢٤٨ | (١) الحسد | ١٩٢ |
| ما ينبغى في الامر بالمعروف والناهي | ٢٤٨ | ذم الحسد | ١٩٣ |
| عن المنكر | | المنافسة والغبطة | ١٩٦ |
| انواع المنكرات | ٢٤٩ | بواعث الحسد | ١٩٩ |
| (٦) الهجرة والتباعد | ٢٥١ | لاتحاسد بين علماء الآخرة والعارفين | ٢٠٣ |
| التزاور والتآلف | ٢٥٢ | علاج الحسد | ٢٠٦ |
| (٧) قطع الرحم | ٢٥٦ | القدر الواجب في نفي الحسد | ٢٠٩ |
| | | النصيحة | ٢١٢ |

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|----------------------------|--------|-----------------------------|--------|
| المذموم من المزاح | ٢٩١ | صلة الرحم | ٢٥٨ |
| (١٦) الغيبة | ٢٩٣ | المراد بالرحم | ٢٦١ |
| لا تنحصر الغيبة باللسان | ٢٩٦ | (٨) عقود الوالدين | ٢٦٢ |
| بواعث الغيبة | ٢٩٩ | بر الوالدين | ٢٦٤ |
| ذم الغيبة | ٣٠٢ | حق الجوار | ٢٦٧ |
| علاج الغيبة | ٣٠٧ | حدود الجوار وحقه | ٢٦٨ |
| مسوغات الغيبة | ٣١١ | (٩) طلب العثرات | ٢٦٩ |
| كفارة الغيبة | ٣١٤ | ستر العيوب | ٢٧١ |
| البهتان | ٣١٥ | (١٠) افشاء السر | ٢٧٢ |
| المدح ومواضع حسنه وقبحه | ٣١٦ | اكتتمان السر | ٢٧٣ |
| (١٧) التكذب | ٣١٩ | النميمة | ٢٧٤ |
| ذم الكذب | ٣٢١ | السعاية | ٢٧٩ |
| مسوغات الكذب | ٣٢٤ | (١١) الافساد بين الناس | ٢٨٠ |
| التورية والمبالغة | ٣٢٧ | الاصلاح | ٢٨٠ |
| شهادة الزور واليمين الكاذب | ٣٣٠ | (١٢) الشماتة | ٢٨١ |
| وخلف الوعد | | (١٣) المرء والجدال والخصومة | ٢٨٢ |
| علاج الكذب | ٣٣٢ | علاج المرء | ٢٨٦ |
| الصدق ومدحه | ٣٣٢ | طيب الكلام | ٢٨٦ |
| أقسام الصدق | ٣٣٥ | (١٤) السخرية والاستهزاء | ٢٨٧ |
| اللسان أضر الجوارح | ٣٣٩ | (١٥) المزاح | ٢٩٠ |

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|-----------------------------|--------|---------------------------------|--------|
| الرياء (٢٠) | ٣٧٣ | الصمت | ٣٤٣ |
| ذم الرياء | ٣٧٥ | (١٨) حب الجاه والشهرة | ٣٤٧ |
| أقسام الرياء | ٣٧٩ | ذم حب الجاه والشهرة | ٣٤٩ |
| تأثير الرياء على العبادة | ٣٨٠ | الجاه أحب من المال | ٣٥١ |
| السرور بالاطلاع على العبادة | ٣٨١ | لا بد للانسان من جاه | ٣٥٢ |
| متعلقات الرياء | ٣٨٦ | دفع اشكال في حب المال والجاه | ٣٥٤ |
| بواعث الرياء | ٣٨٧ | الكمال الحقيقي في العلم والقدرة | ٣٥٨ |
| الرياء الجلي والخفي | ٣٨٩ | والمال والجاه | |
| كيف يفسد الرياء العمل | ٣٩٠ | علاج حب الجاه | ٣٦٣ |
| شوائب الرياء مبطله للعمل | ٣٩١ | حب الخمول | ٣٦٥ |
| علاج الرياء | ٣٩٠ | (١٩) حب المدح | ٣٦٧ |
| الاخلاص وحقيقته | ٣٩٧ | مراتب حب المدح وكرهه الذم | ٣٦٨ |
| مدح الاخلاص | ٣٩٩ | أسباب حب المدح | ٣٦٩ |
| آفات الاخلاص | ٤٠١ | علاج المدح وكرهه الذم | ٣٧٠ |
| (٢١) النفاق | ٤٠٦ | ضد حب المدح | ٣٧٢ |